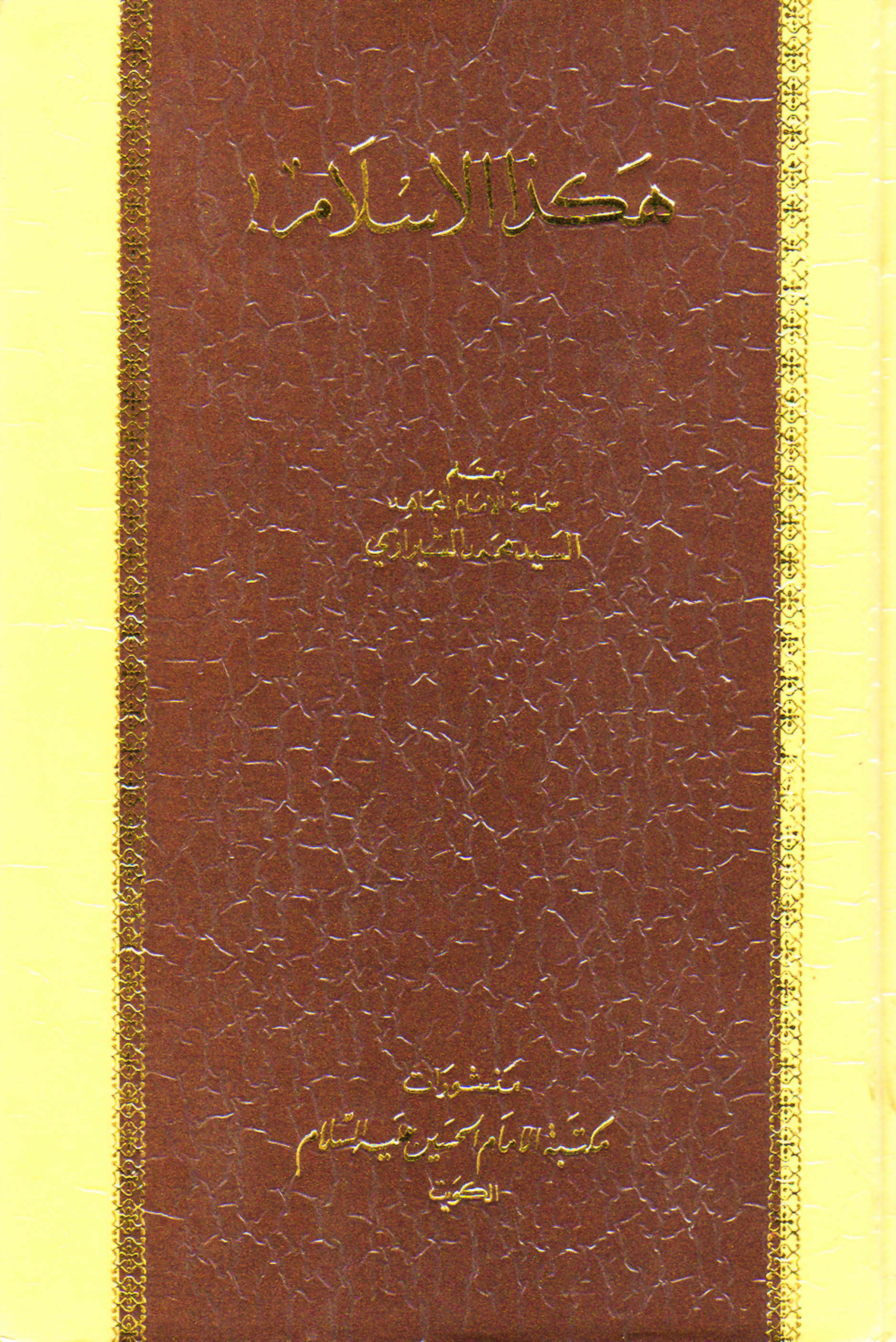

هكذا الإسلام!
بقلم
سماحة الإمام المجاهد
السيد محمد الشيرازي
منشورات
مكتبة الإمام الحسين عليه السلام
الكويت

هكذا الاسلام

هكذا الاسلام!

بقلم

سماحة الامام المجاهد

السيد محمد الشيرازي

منشورات

مكتبة الامام الحسين عليه السلام

الكويت



طبع واخراج :
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان
ص.ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشرين

« هكذا .. الاسلام » .!

كتاب قيّم يضم ثلاثـــة كتب طبعت سابقـاً بشكل مجزأ تحت الأسماء التاليـة :

١ — ما هو الاسلام ؟

٢ — في ظل الإسلام .

٣ — عبادات الاسلام .

ونظراً للطلب المتزايد عليها من قبل المغتربين والمثقفين من مختلف البلاد .. فقد عمدت مكتبة الإمام الحسين عليه السلام العامة الى جمعها في كتاب واحد ، ليكون باكورة انتاجها الثقافي من أجل نشر الوعي الاسلامي والمساهمة في تحمل مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتأتي اهمية هذا الكتاب ، في انــه يعطي صورة كاملة للايديولوجية الاسلامية في عمق ، ووضوح وشمول .

فالكتاب الأول : عرض مبسط ، وشامل للاسلام في كافة جوانبه ، ويمكن اعتباره « فهرسا » لما يتعرض له الاسلام من قضايا الحياة .

أما الكتاب الثاني ، فهو شرح لوضع الانسان ، والمجتمع في ظل الاسلام ، مع المقارنة بالايديولوجيات الاخرى .

والكتاب الثالث : بيان لفلسفة الاسلام في العبادات يجمع بين التحليل العلمي ، والشرح الديني ...

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب إلى القراء الكرام ، لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى سماحة آية الله العظمى الإمام السيد محمد الشيرازي ، على تفضله بقبول جمع هذه الكتب ، ورعايته لمختلف الشؤون الفكرية والثقافية وتشجيعه على العمل وتحمل المسؤولية ..

ونسأل الله العظيم التوفيق لما فيه رضاه ، انه قريب مجيب الدعاء ..

١ محرم ١٣٩٩ هـ

ادارة
مكتبة الإمام الحسين عليه السلام العامة
في
حسينية الرسول الاعظم
الكويت

ما هو الاسلام ؟



مقدمة المؤلف



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم إلى قيام يوم الدين .

وبعد : في عالم اليوم الذي أخذت المادة فيه بالأكظام ، وطغت البهارج فيه على كل شيء ، وانعدم فيه الإطمئنان والهدوء ، وقامت فيه الثورات والحروب ، مما أزعج الكل ، وسلب الإستقرار والأمن عن الجميع .. أخذ الناس يلتمسون المخرج الذي يوجب الهدوء والسكينة ، والدواء الذي يشفي هذا المرض العام ويذهب بالآلام والأسقام .

وقد كنت أفكر منذ زمن بعيد أنه لو عمل الناس بالإسلام ، كما أنزله إله السماء لكان منه العلاج التام ، وإزالة كل قلق واضطراب ومرض وهيام ، فالإسلام حياة ونور واطمئنان وسلام كما قال سبحانه في القرآن الحكيم : [إذا دعاكم لما يحييكم]. وقال تعالى : [والنور الذي أنزل]. وقال عز شأنه: [ألا بذكر الله تطمئن القلوب] . وقال جلت آلائه : [يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام] ، بالإضافة إلى أن الإسلام يحل مشاكل الحياة كلها كما قال الله تعالى : [يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم] .

لكن الجماهير الكثيرة من المسلمين ، فكيف بغير المسلمين ، يجهلون هذه الحقيقة ، ولذا يعانون كل هـذه الويلات كالذي يعيش فوق كنز ، في .. جوع وعري وشقاء .

إذاً من الضروري ، تعريف النـاس بالإسلام ، وتعريف الإسلام للناس علّه يوجب لهم الأخذ به ، فالسعادة في الدنيـا ، فالفوز بجنة عرضها السموات والأرض .. في الآخرة .

هذا ما حداني الى تأليف هذا الكتاب (ما هو الاسلام ؟) وحيث كان الغرض هو : (التعريف) فحسب ، اقتصرنا فيه على الموجز جداً ، من كل شيء .. ليكون أقرب إلى المطالعة ، لكافة الطبقات ، والله سبحانـه هو المسؤول في أن يقرنـه برضاه ، ويجعله وسيلة للهداية ، وهو الموفـق المستعان .

كربلاء المقدسة　　　　　　　　　　محمد

الفصل الأول

في الإسلام

س : ما هو الإسلام ؟

ج : الإسلام : عقيدة وشريعة تكفل جميع ما يحتاج إليه البشر ، في مختلف مراحل الحياة .

س : من نظّم الإسلام ؟

ج : الإسلام ليس من تفكير البشر ، وإنما أنزله (الله) تعالى ، كاملاً غير منقوص .

س : هل الإسلام صالح للبقاء إلى الأبد ؟. وهل يصلح لكل زمان ، ومكان ، وأمة ؟ .

ج : أنزل الله تعالى الإسلام ليكون دين البشر الى الابد ، في جميع الأزمان والبلاد ، ولجميع الامم .

س : على من أنزل الإسلام ؟.

ج : أنزل الله الاسلام ، على آخر انبيائه محمد ﷺ .

س : في أي وقت كان نبي الاسلام ؟ .

ج : قبل (أربعة عشر قرناً) وبعد المسيح عليه السلام بما يقارب (خمسة قرون) ففي هذه السنة وهي سنة (١٣٨٧) هجرية ، يمضي من عمر الإسلام ، ألف وأربعمائة سنة ، وتصادف السنة (١٩٦٧) من ميلاد المسيح عليه السلام .

س : ما هو الفرق بين دين الإسلام ، ودين المسيح ، ودين موسى الكليم وسائر الاديان ؟ .

ج : الأديان التي انزلها الله تعالى من السماء الى الارض كثيرة وكل دين كان يلائم الزمان الذي شرّع ذلك الدين له ، فإذا جاء الدين المتأخر ، نسخ الدين السابق ، وهكذا الإسلام فإنه آخر الاديان المنزلة من السماء لهداية البشر . والفرق بين الاديان كالفرق بين المدارس المتدرجة (الإبتدائية ، الثانوية ، الكلية) وهكذا كلما ترقى الإنسان جاء دين أكمل يناسب رقيه ، حتى جاء الإسلام الذي هو دين البشرية إلى الابد .. والاديان ليست مختلفة في جوهرها ، وإنما تختلف في بعض المزايا . والخصوصيات، حسب اختلاف مراتب تحول البشر .

س : هل الإسلام متطور ، أم لا ؟

ج : للاسلام جانبان :

١ — الجانب الثابت الذي لا يصح فيه التطور ، وهو الجانب الذي إن تسرب اليه التطور سبب الخبال والفساد ، مثلاً : حسن (الصدق) و (الامانة) وقبح .. (الظلم) و (البخل) وحرمة (الاحتكار) و (القتل) ووجوب (الصلاة) و (الصيام) ولزوم (رضى المتعاملَين) وما أشبه ذلك .

٢ — الجانب المتطور الذي يصح فيه التبديل والتغيير ، فإن الإسلام ذكر

قواعد عامة تنطبق على الامور المتطورة ، مثلاً : إذا تبدلت وسائل النقل من (دواب) إلى (عربات) الى (سيارة) الى (قطار) الى (طائرة) الى (صاروخ) ، وتبدلت وسائل ... الإنارة من (شمع) إلى (زيت) الى (كهرباء) إلى (ذرة) وهكذا فإن الاسلام أباح هذا التطور ، بل حث عليه ، في مختلف الحاجات .

س : هل الإسلام كاف لجميع حاجيات البشر ؟. و كيف ذلك ؟

ج : الاسلام يكفي لجميع حاجات البشر ، لانه دين أنزله الله بكل الامور .

أما أنه كيف يكون الاسلام كافياً ؟ . فذلك لان (القرآن الحكيم) و (السنة .. المطهرة) بيّنا قسمين من التشريع :

١ – التشريعات الخاصة التي تنص على المواضيع المخصوصة ، نحو حرمة (شرب الخمر) .

٢ – التشريعات الكلية ، التي تتكفل الموضوعات العامة ، نحو حرمة (شرب كل مسكر) .

س : كيف تقولون بأن الإسلام يكفي لجميع حاجات البشر كلها ، وقد نرى أموراً جديدة ، لم يكن لها ذكر في (القرآن) و (السنة) مثلاً : (المصارف) و ... (التأمين) مما لم يكن له عند نزول الإسلام عين ولا أثر .

ج : حيث أن الإسلام دين الله الذي أنزله لهداية البشر إلى الابد ، والله عالم بكل شيء لذا كان كافلاً لجميع حاجات البشر ، حتى المتجددة منها.. والمثالين الذين ذكرتم ، بيّن الاسلام حكمهما بتشريعاته الكلية ، فـ (المصرف) عبارة عن عدة أمور ذكرها الإسلام في تشريعاته (قرضاً) و (كفالة) و (حوالة) وما اشبه .. و (التأمين) مشمول لقوله سبحانه : [إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم] .

ولقوله سبحانه [اوفوا بالعقود] . بالشرائط المذكورة في كتب (الفقه) .

س : ما هو الإحتياج الى الإسلام ؟.

ج : الاسلام ـ كما تقدم ـ عقيدة وشريعة :

أما العقيدة الإسلامية ، فهي (أولاً) حقيقة ، فالذي لا يعتقد بها ، كان معتقداً للخرافة ، و (ثانياً) ان الذي لا يعتقد بالعقيدة الإسلامية يكون في الآخرة خاسراً .

وأما الشريعة الإسلامية ، فالذي لا يلتزم بها ، يوجب هدم حياته الدنيوية ــ فضلاً عن العقاب في الآخرة ــ إذاً فالشريعة الإسلامية هي أحسن من جميع الشرائع... والقوانين ، التي تصلح حال البشر ، في مختلف مراحل الحياة ... وبالجملة فإن سعادة البشرية في الدنيا والآخرة تتوقف على الإسلام .

س : (أولاً) كيف نعرف أن وراء هذا العالم عالماً آخر يسمى بـ (الآخرة) تتوقف سعادة الانسان فيها على الإسلام ..؟ و (ثانياً) ما الدليل على أن الشريعة الإسلامية هي خير من جميع الشرائع والقوانين ، فهي الأصلح بحال البشر دون سواها...؟

ج : أما وجود العالم الآخر ، بعد هذا العالم ، فتدُل عليه الأدلة العلمية المذكورة في كتب (الكلام) كما تدل عليه الابحاث (النفسية) ــ كالتنويم المغناطيسي وتحضير الارواح ، وما اشبه ــ الدالة على خلود الروح بعد الموت[1] .

---

(١) راجع (العقائد الإسلامية) و (كيف عرفت الله) و (هل تحب معرفة الله) المؤلف .

وأما أن الشريعـة الإسلاميـة احسن من جميع الشرائع و (القوانين) فذاك يظهر بالمقارنة بين قوانين الإسلام وبين سائر القوانين الموضوعة لمختلف حاجات البشر[1] .

واليك موجز من شهادة علماء الغرب حول هذا الموضوع .

يقول (برنارد شو) : « أنه لو تولى العالم الأوروبي رجل كمحمد لشفـــاه من علله كافة ، بل يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية ... إني اعتقد ان الديانة المحمدية هي الديانة الوحيدة التي تكون حائزة لجميع الشرائط اللازمة ، وتكون موافقة لشتى مرافق الحياة .. لقد تنبئت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوروبا غداً وقد بدى يكون مقبولا لديها اليوم ... ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد يحل مشاكل العالم » .

ويقول(الدكتور جرينه الفرنسي عضو مجلس النواب) :

« تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية التي درستها من صغري ، وفهمتها جيداً ، فوجدتها منطبقـة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأني تيقنت أن محمداً أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة ، من غير أن يكون له معلم أو مدرس من البشر ، ولو أن صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم ، قارن كل الآيات المرتبطة بما يعلمه جيداً ، كما قارنت أنا لأسلم بلا شك ، إن كان عاقلاً ، خالياً من الاغراض »

ويقول (ماركس دكتوراه في الفلسفة) :

« محمد هو أول رسول سُجّلت جميع أقواله . ومن هنا يتبنى الإنسان المركز الممتاز الذي يتمتع به محمد ، وما تتمتع به أحاديثه من الصحة

---

(١) راجع (التشريع الجنائي الإسلامي) : عبد الرزاق عودة .

والدقة .. والصدق ، والحقيقة الثابتة هي أنه قد بُعِث رسولا ليجدد للعالم رسالة هي صفوة الرسالات السالفة ، رسالته هي الدستور الثابت العالم ، فكل ما جاءَ به محمد تستسيغه الافهام الحديثة » .

ويقول (شيرل عميد كلية الحقوق بجامعة فينا) :

« إن البشرية تفتخر بانتساب (رجل كبير كمحمد) إليها إذ أنه رغم أمنيته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الاوروبيون أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد ألفي عام » .

ويقول (الدكتور المؤرخ ريتين) :

« دين محمد قد أكد إذاً من الساعة الاولى لظهوره في حياة النبي أنه دين عام ، فإذا كان صالحاً لكل جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل ، ولكل درجة من درجات الحضارة » .

ويقول (الفيلسوف كيرللس الأول) :

« إن في الشرق قانوناً قد نظمه وأسسه الفيلسوف العربي « محمد » لو ان العالم بجميع عناصره أتبع نهج هـذا الفيلسوف العربي والتزموا جميعاً بقانونه لم يك في العالم كله دولتان بل دولة واحدة ، ولم يختلف اثنان ولم يفتقر أحد الى أحد » .

الى غيرها من التصريحات الكثيرة ، من مفكري الغرب وفلاسفتها .

س : كم عدد مسلمي عالم اليوم ؟

ج : غير معلوم بالضبط ، لكن الإحصاءات المذكورة في بعض الكتب والمجلات ، تشير الى أن عددهم يقارب (الثمانمائة مليون) نسمة .

س : أين يسكن المسلمون ؟

ج : المسلمون منتشرون في كل بلاد العالم تقريباً ، وأكثرهم في (آسيا) و (أفريقيا) .

س : هل يعتقد المسلمون أن دينهم سيصبح دين أهل العالم كله ؟ .

ج : نعم يعتقد المسلمون أن دينهم سيصبح دين أهل العالم حتى لا يبقى غير مسلم إطلاقاً ، كما وعد القرآن الحكيم حيث قال : « ليظهره على الدين كله » وفي أحاديث متواترة عن النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام أن في آخر الزمان يظهر رجل من نسل نبي الإسلام يسمى بـ (الإمام المهدي) عليه السلام يعمم الإسلام في كل الأرض .

س : ما هي نظرة الإسلام إلى « الحياة الدنيا » ؟. وهل الإسلام دين (المادة) أو (الروح) أو لهما ؟ .

ج : نظرة الإسلام إلى الحياة ، وإلى المادة والروح تتلخص في قوله سبحانه في .. القرآن الحكيم : [ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا] وفي الحديث الشريف : « ليس منا من ترك دنياه لآخرته ، وليس منا من ترك آخرته لدنياه » .

وفي الحديث الآخر ، « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

س : ما هي حدود البلاد الإسلامية ، في القرون السابقة ، وفي هذا القرن ؟ وكيف انتشر الإسلام ؟

ج : يحتاج الإطلاع على هذين الموضوعين إلى مطالعات كثيرة في كتب متعددة ، ويكفي الاطلاع على موجز ذلك بمطالعة كتاب : (خارطة العالم الاسلامي) وكتاب (الدعوة الى الإسلام) .

الفصل الثاني

العقيدة الاسلامية

س : ما هي العقيدة الاسلامية ؟

ج : العقيدة الاسلامية تحتوي على أصول ثلاثة ، وما يتبع تلك الأصول .

س : ما هي الأصول الثلاثة ؟

ج : الأول — الاعتقاد بأن لهذا الكون إلهاً عالماً قديراً حكيماً سميعاً بصير ، كان من الأزل ويبقى الى الأبد . مستجمعاً لجميع صفات الكمال ، خالياً عن كل نقص وعيب ، وهذا الإله واحد لا شريك له ، ولا يشبهه شيء من خلقه ، ولا يمكن رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة ... وقد دلت الأدلة والبراهين على (توحيده) .

س : ما معنى التوحيد ؟

ج : التوحيد على أربعة أقسام :

١ — توحيد الذات : بمعنى أن الله سبحانه واحد لا شريك له ، وليس مركباً له جزء كالانسان الذي هو مركب من أجزاء .

٢ — توحيد الصفات : بمعنى أن صفاته عين ذاته ، لا أثنينية بين الذات

والصفات فليس الله سبحانه كالانسان الذي علمه غير ذاته وقدرته غير ذاته ، بل ذاته تعالى عين علمه وعين قدرته وهكذا ...

٣ — توحيد الافعال ، بمعنى أن كل ما في الكون من المخلوقات إنما هي من خلقه تعالى .

٤ — توحيد العبادة ، بمعنى أنه لا تحق العبادة إلا له تعالى .

س : ما هو الثاني من أصول العقيدة الاسلامية ؟

ج : هو النبوة، ومعناها أن الله سبحانه أرسل أنبياء الى البشر، للهداية الى الحق والى صراط مستقيم .

س : — من هو أول الأنبياء ؟

ج : أول الأنبياء أبونا (آدم) عليه السلام ، فقد خلقه الله سبحانه من (الطين) ثم خلق (زوجته) (حواء) عليهما السلام ، ورزقهما ولدين هما (هابيل ، وقابيل) ثم خلق سبحانه (فتاتين) لا من آدم وحـــواء ، بل خلقا ابتدائياً ، وتزوج هابيل وقابيل بهـاتين الفتاتين ، وصار لهما أولاد ، فأخذ ابناء العم بنات العم وابتدأ يكثر النسل البشري .

س : من هو آخر الانبياء ؟

ج : آخر الأنبياء ، نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

س : كم عدد الأنبياء ؟

ج : عددهم « ١٢٤ ٠٠٠ » نبي... ومن أولئك الأنبياء (نوح) و(ابراهيم) و(موسى) و(عيسى) وهؤلاء الأنبيـاء الأربعة مع نبي الاسلام هم أعظم من سائر البشر .

س : ما هو الفرق بين الانبياء وبين سائر البشر ؟

ج : الفرق هو أن الأنبياء يوحى اليهم من قبل الله تعالى، ويؤمرون بأوامر،

لأنفسهم أو لتبليغ تلك الأوامر الى البشر ... بخلاف سائر الناس الذين لا يوحى اليهم بل إنهم مأمورون باتباع الأنبياء .

س : من أين نعرف أن الذي يدعي النبوة صادق في كلامه ؟

ج : نعرف صدق مدّعي النبوة بـ (المعجزة) والمعجزة عبارة عن جريان خرق العادة على يد النبي ، مما يدل أنه من قبل الله تعالى ، وإلا لما تمكن من هذا العمل .

س : مثلوا المعجزة ؟

ج : مثلاً :

١ – (ابراهيم) عليه السلام ، أُلقيَ في النار فلم يحترق .

٢ – (موسى) عليه السلام ، كان يلتقي عصاه فتنقلب ثعباناً عظيماً ، ثم اذا أخذه رجع الى حالته الأولية .

٣ – (عيسى) عليه السلام ، كان يبرىء الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله .

٤ – (محمد) صلى الله عليه وآله ، شق القمر نصفين ، وجاء بالقرآن ... الكريم ، الذي عجز الخلق عن الإتيان بمثله .

س : كيف عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن ؟

ج – (القرآن) الكريم ، تحدى البشر في الإتيان بمثله فقال :

[قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً] ولما عجزوا عن ذلك تحداهم بأن يأتوا بمثل عشر سور من القرآن ، فقال : [فأتوا بعشر سور مثله مفتريات] ولما عجزوا عن ذلك تحدّاهم بأن يأتوا بمثل سورة القرآن ، فقال: «فأتوا بسورة من مثله»... لكنهم عجزوا عن ذلك كله مع أنهم كانوا فصحاء بلغاء ، وصلوا الى قمة الشعر والبيان، وأخيراً حاربوا الرسول

لما لم يتمكنوا من الإتيان بمثل القرآن حتى أقصر سورة منه ، كسورة الكوثر ، وهي :

[بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر ، ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الابتر] .

س : ما هي صفات الأنبياء ؟

ج : يشترك الأنبياء ، والأئمة والملائكة في صفة تعمهم جميعاً وهي (العصمة) ... ومعناها أنهم لا يعصون الله تعالى من أول عمرهم الى آخره ، وذلك لأنهم يعرفون عظمة الله تعالى ، كما يدركون قبح المعصية تماماً ، وهذان يمنعانهم عن العصيان ، كما أن الأنبياء والأئمة يتصفون بفضائل الأخلاق ، كالشجاعة والسخاء والغيرة ... والشهامة وغيرها ، وهم منزهون عن الرذائل .

ويلزم أن يكونوا أفضل أهل زمانهم – اطلاقاً – ولذا يجب على الناس اتباعهم .

س : هل يوجد في الأنبياء والأئمة جانب إلهي ، كما قال النصارى بالنسبة الى المسيح عليه السلام ؟

ج : كلا ، فإن الأنبياء والأئمة بشر ، منتهى الامر ، انه يوحى اليهم من قبل الله تعالى ... ويتصفون بالعصمة ، وسائر الصفات الحسنة ، والمسيح عليه السلام لم يكن إلا بشراً خلقه الله سبحانه وتعالى من (ام) فقط بدون (أب) كما خلق (آدم) و (حواء) بدون أب ولا ام .

س : ما هو الثالث من اصول العقيدة الاسلامية ؟

ج : الثالث من اصول العقيدة الاسلامية هو : (المعاد) ، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى بعد فناء العالم ، وموت كل ذي روح ، يعيد الناس الى الحياة ، ليجزيهم بما عملوا في دار الدنيا فمن آمن وأحسن كان جزاؤه

الجنة ، ومن كفر أو عصى كان مصيره النار .

س : كثير من الناس لا يعلمون الحق ، وهم قاصرون عن معرفة الحقائق ، إما لقلة إدراكهم كالمجانين والسفهاء ، وإما لأنهم بعيدون عن مراكز الايمان ، فلا يسمعون لقلة اتصالهم بالحق ، فهل هؤلاء كفار يدخلون النار ؟

ج : كلا ، لا يدخل النار إلا من تمت عليه الحجة ، أما المجانين والقاصرون فإنهم يُمتحنون في (المعاد) يوم القيامة ، فمن نجح هناك كان مصيره الجنة ، ومن سقط كان مصيره النار .

س : هل الانسان اذا مات بطل ، حتى يوم القيامة ؟

ج : كلا ، بل ان الانسان اذا مات يفسد جسمه ، أما روحه فتبقى حية ، فإن كان مؤمناً ، محسناً في الدنيا ، تنعّم بعد الموت ، وإن كان كافراً وعاصياً ، عُذبت روحه بعد الموت .

س : ما اسم هذا العالم الذي هو بعد الدنيا، وقبل يوم القيامة ؟

ج : اسم هذا العالم (البرزخ) ، وعلى هذا فالانسان من بدئه الى ختمه يمر بعوالم ستة :

١ — العالم قبل الانسانية ، فان كل انسان يكون أولاً تراباً ، ثم نباتاً وحيواناً ، فإذا أكلهما الانسان انعقدت نطفته .

٢ — عالم الانسانية ، يبتدىء بانعقاد النطفة في رحم الأم ، الى ان يأتي وليداً الى دار الدنيا .

٣ — عالم الدنيا ، التي نحن الآن فيها ، ونُكلّف بتكاليف ، تقرر تلك التكاليف مصيرنا .

٤ — عالم البرزخ .

٥ — عالم المعاد (القيامة) التي مدتها خمسون الف سنة ، كما في القرآن

الحكيم .

٦ ــ أخير العوالم ، وهي (الجنة) أو (النار)

س : هل هناك دليل على بقاء الروح؟

ج : اليوم أصبح العـــلم ببقاء الروح ، من العلوم المتداولة ، حتى ان لها مدارس خاصة في البلاد الغربية وغيرها ، ويمكن ان يراجـع ذلك في كتاب (على حافة العالم الأثيري) و(التنويم المغناطيسي) تأليف: (وليم سرجوس) وتأليف : (بول جاغو) وتأليف : (أبو مدين) ، وغيرها من الكتب الكثيرة المؤلفة حـول النفس والروح والتحضير والطيف وما أشبه .

هذا كله من الناحية التجريبية ، أما من الناحيتين العقلية والسمعية فالأدلة على بقاء الروح والمعاد كثيرة ، مذكورة في الكتب الكلامية .

س : ما هي الجنة ؟

ج : الجنة محل أعدّها الله سبحانه للمؤمنين الذين عملوا الصالحات ، يدخلها الانسان بعد ان تعود روحه الى هذا الجسد الدنيوي . وفي الجنة توجد كل لذة ، من بساتين وقصور ، وهواء نقي ، وصحة جسدية ، وأزواج مطهرة ، وأطعمة لذيذة ، وأشربة سائغة ، والانسان اذا دخلها يبقى مخلـــداً الى الأبد . وليس في الجنة ما ينغص عيش الانسان ، كالفقر والامراض والتعب ، والحسد ، والبلايا ، والظلم ، والضعف ، والجوع ، والعري والعطش والهموم والاحزان ، والعداوات ، والحزازات ، وأهلها أبـداً شباب في فرح وسرور ، وهي وسيعة جداً ، حتى أنه يعطى الانسان مكاناً أكبر من الدنيا ، ويصبح هنـــاك مالكاً على شعوب من الملائكة ، وفوق ذلك كله أن الله راض عن الانسان [ورضوان الله أكبر] .

ولذا يجب على الانسان أن يعمل طول عمره ، لهناك ، وأن يأخذ من الدنيا بالمقدار الذي يكفيه، ولا يعمل بالكفر والمعاصي حتى يفوته ذلك الثواب الأبدي الخالد .

س : ما هي جهنم ؟

ج : جهنم عكس الجنـــة ، محل أعدها الله للكفار والعصاة ، وفيها أشد أنواع الشقاء والآلام الجسدية والروحية ، فالانسان فيها ، في عـــذاب ونكال ، وأغلال ونار لا تُطفىء الى ... الأبد ، وهو ذليل مهان ، وقد قدر الله تعالى أن يبقى الانسان فيها في عذاب مقيم ، فلا يموت : [كلما نضجت جلودهم بدلنـــاهم جلوداً غيرها] . ولذا يجب على الانسان أن يعمل في الحيـاة بكل جهده ، حتى لا يدخل في جهنم ، وهذا محل المعاندين الذين قال الله عنهم [ولو ردُّوا لعـــادوا لما نهوا عنه] .

س : ما هي القيامة ؟

ج : الانسان بعد أن مات ، يبقى في عالم البرزخ مـدة طويلة من الزمان ، ثم يحييه الله تعالى للقيامة، وهناك يجتمع الخلائق كلهم، ويُعطى لكل انسان إضبارته ، وفيها مسجل كل ما عمـــل من خير وشر : [فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يرَه ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرَه]. واذا نظـر في إضبارته ورأى جميع أعمـــاله مسجلة فيها ، ما عمله سراً ، وعـلانية ، حتى تفكراته ووساوس قلبه ، تعجب وقال : [يا ويلتنا لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، إلا أحصاها] . ثم تُنصب الموازين ، ويقـوم الأنبياء والأوصياء والشهداء للمحاكمات ، فمن آمن وعمل صالحاً كان نصيبه الجنة ، ومن كفر أو عمل بالمعاصي كان نصيبه النار ، وقد تقدم أن يوم القيامة يعادل (خمسين الف سنة) !.

س : ما هي سائر العقائد الاسلامية ؟

ج : من العقائد الاسلامية (العــدل) و(الإمامة) و(القضاء والقدر) و(الجبر والاختيار) .

س : ما معنى العدل ؟

ج : العدل معناه : إن الله عادل لا يظلم أحداً ولا يفعل قبيحاً ، وما نراه في الدنيا من المظالم والقبائح فإنما هي فعل العباد ، مثلاً : لو قتل إنسان إنساناً ، كان هذا القتل إساءة وظلماً من البشر ، لا من الله سبحانه .

س : صحيح، أن تعدي بعض الناس على البعض ليس من قبـل الله سبحانه وتعــالى ، ولكن كيف تفسرون الكوارث الكونيــة ، كالفيضان والأعصار والزلازل والامراض وما أشبه، بما ليس للعباد فيها مدخل، وغالباً ما تسبب الموت والألم ، للناس الابرياء ؟

ج : مثل هــذه الأمور التي ليس فيها للعباد مدخلية ، بالنسبة الى العصاة تأديب وبالنسبة الى الأبرياء درجة وثواب وعبرة .

س : ما معنى الإمامة ؟

ج : الإمامة معناها أن الرسول الأعظم محمـد ﷺ عين من بعده بأمر الله تعالى خلفاء يقومون مقامه ، لإرشاد الناس وهدايتهم ، وعـددهم اثنى عشر تباعاً .

س : من هم الأئمة الاثنى عشر ؟

ج : هم (الاول) علي أمير المؤمنين ، (الثاني) الإمام الحسن ، (الثالث) الإمام الحسين ، (الرابع) الإمام زين العابدين ، (الخامس) الإمام محمـد الباقر ، (السادس) الإمام جعفر الصادق ، (السابع) الإمام موسى الكاظم ، (الثامن) الإمام علي الرضا ، (التاسع) الإمام محمد الجواد ، (العاشر) الإمام علي الهادي، (الحادي عشر) الإمام الحسن العسكري ، (الثاني عشر) الإمام الحجة المهدي .

س : ما هي صفات هؤلاء الأئمة ؟

ج : هؤلاء الأئمة كالرسول الأعظم ، وبنته فاطمة الزهراء ، كلهم معصومون عن كل ذنب وإثم ، وهم في أعلى درجات الفضائل النفسية ، والفرق بين الرسول وبين هؤلاء الأئمة أن الرسول كان يوحى اليه من قبل الله تعالى ، وهؤلاء لا يوحى اليهم .

س : أية مزية في هؤلاء على سائر المكتشفين العظام والمخترعين الكبار ؟

ج : المزية بالإضافة الى أنهم خلفاء الله على الأرض ، وأنهم في أرفع قمة الإنسانية — أنهم خططوا للحياة السعيدة ونهجوا المناهج الصحيحة ، وبيّنوا طرق الانسانية مما لو أتبعها البشر ، لأصبح سعيداً في دنياه قبل الآخرة. ومن الواضح فضل من يهيىء للانسان حياة سعيدة، على من يقدم اليه وسيلة للإنارة أو آلة للسفر المريح أو ما أشبه .

س : وضحوا هذا الفرق ؟

ج — الحياة السعيدة تتوقف أولاً على (السلام) و(الغنى) و(العلم) و(الصحة) و(الفضيلة) ، فالحرب والفقر والجهل والمرض والجريمة والرذيلة — بكافة أشكالها — مما توجب الشقاء . وثانياً ، تتوقف الحياة السعيدة على الوسائل الأحسن للعيش ، (كالطائرة) لسفره ، و(الكهرباء) للانارة ، و(المصعد) لصعوده ، وما أشبه ذلك ، في قبال السفر على الدابة والإنارة بالشمع وما أشبه ... ومن المعلوم أن هذه الوسائل لا تجلب السعادة إلا اذا كانت مخططات الحياة تجلب السعادة والرفاه . وهل (السلام) والانسان يوقد الشمعة لإنارته أفضل، أم (الكهرباء) والانسان يكتوى بنار الحروب والفوضى ؟ والأنبياء والأئمة إنما بيّنوا للناس طرق الحياة السعيدة ، التي هي الأهم ، ولذا لا يصح ان يقاس هذا فضل أحد بفضلهم ولوكان ذلك مكتشفاً أو مخترعاً أو من أشبه .

س : هل صحيح أن المسلمين يعتقدون ببقاء الإمام الثاني عشر (المهدي) الى اليوم ؟ وما فائدة ذلك ؟

ج : نعم ، لقد أخبر النبي الصادق والأئمة ببقائه حياً حتى يظهر في آخر الزمان فيملأ الارض عدلاً بعد ان مُلئت جوراً ، ويعم السلام ، والغنى ، والعلم ، والصحة ، والفضيلة ، بما يجعل الدنيا فردوساً صغيرة .

س : وهل يمكن بقاء الانسان هذه المدة الطويلة ؟

ج : نعم ذلك ممكن ، كما سبق وأن صرحت التواريخ بوجود معمّرين طالت أعمارهم قروناً ، بالإضافة الى أن العلم الحديث يؤكد إمكان البقاء . وفي الغرب — حالياً — مدارس خاصة لتطويل العمر ، هذا مع العلم أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء .

س : ما معنى القضاء والقدر ؟

ج : كما يخطط المهندس لبناء ، ويهيىء الوسائل ، ثم يأمر العمال بالعمل ، كذلك الله سبحانه خطط للعالم ، وهذا يسمى (قدراً) وهيء الوسائل والآلات التي يمكن بها العمل ، وهذا يسمى قضاء ، ثم أمر الناس بالحسن ، ونهى عن القبيح ، فمن أحسن كان له جزاء الحسنى ، ومن أساء كان له جزاء السوئى ، كما قال تعالى :[إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها] .

س : ما معنى (الجبر والاختيار) وهل الانسان مجبور ، أو مختار ؟

ج : الجبر ضد الاختيار ، مثلاً تحريك اليد في الانسان الصحيح صادر عن الاختيار وحركة اليد في الانسان المرتعش يده صادرة بدون الاختيار... والانسان مختار في أفعاله ، فان شاء أحسن وان شاء أساء ، نعم الانسان مجبور في كونه ذكراً وأنثى ، أبيض اللون وأسود ، جميل الوجه أو قبيحاً ، وما أشبه هذه الصفات .

س : هل لله تعالى مدخلية في أفعال الناس ؟

ج : نعم ، ومعنى ذلك : أن الآلات والاسباب من الله تعالى ، والفعل من الانسان ، مثـــلاً اذا بنى الانسان داراً كانت اليد العاملة ، والفكر الموجّه ، والارض التي يبني عليها ، وسائر مواد الانشاء ، من الله تعالى أما صنع الدار فليس إلا من الانسان ثم فعل الإنسان ان كان حسناً مثل (الصلاة) استحق عليه الثواب ، وان كان قبيحاً مثل (الزنا) استحق عليه العقاب .

الفصل الثالث

في الاخلاق الاسلامية

س : ما هي الأخلاق ؟

ج : الاخلاق على قسمين :

(١) الاخلاق المربوطة بالقلب .

(٢) الاخلاق المربوطة بالاعضاء والجوارح .

س : مثلوا لكل قسم من أقسام الأخلاق ؟

ج : الاخلاق المربوطـــة بالقلب مثل (رقة القلب) ومثل (الحسد) . والاخلاق المربوطة بسائر الجوارح مثل (الصدق) و (الكذب) .

س : إلى كم قسم تنقسم الاخلاق — بصورة عامة — ؟

ج : تنقسم الاخلاق بصورة عامة الى قسمين :

(١) الاخلاق الحسنة وتسمى (الفضائل) وهي التي يستحسن وجودها في الانسان . (٢) الاخلاق القبيحة ، وتسمى (الرذائل) وهي التي يستقبح وجودها في الانسان .

س : ما هو تكليف الانسان بازاء الاخلاق ؟

ج : الانسان مكلف أن يتصف بـ (الفضائل) ويتجنب عن (الرذائل) فان الفضائل كمال والرذائل نقص والانسان بفطرتـه طالب للكمال ، متجنب عن النقص .

س : هل بامكان الانسان أن يتصف بالفضائل ، ويتجنب عن الرذائل ؟

ج : نعم بامكان الانسان ذلك ، فان (النفس) كالصفحة البيضاء ، تقبـل كل لون ، منتهى الامر ان النفس صعبة الانقيـــاد ، يحتاج تلوينهـا — وبالأخص في الفضيلة — إلى تكرار ومراقبة ، حتى تصبح الصفـة فيها (ملكة) أي حالة راسخة ، فيتأتى الخير منه تلقائياً ، وبدون تعب ، فان حالة النفس في الأخلاق تشبه حـالة الانسان في الصنعـة والتعلم ، فكما ان الانسان يحتاج الى تعلم واستمرار في العمل والتطبيق حتى يصبح صانعـاً ، يأتي بالصنعة تلقائيـاً وبدون تعب ، كذلـك الاخـلاق .

س : مثلوا لذلك ؟

ج : مثلاً الانسان اذا أراد ان يكون (صدوقاً) يلزم ان يتعب نفسه في عدم التكلم إلا بالصدق ، مرات ، ومرات ، حتى يصبح الصدق (ملكة) له ، وهكذا في سائر الصفات ، خصوصـاً الصفـة الحسنة ، التي هي أشق على النفس .

س : ما موقف الاسلام من الاخلاق ؟

ج : الاسلام يأمر بالفضائل وينهى عن الرذائل .

س : ما هي فائدة إتعاب النفس في تحصيـل الفضائل ، والاجتنـاب عن الرذائل ؟

ج : الفضائل تنفع الفرد ، وتنفع الاجتماع معاً ، كما ان الرذائل تضر الفرد وتضر الاجتماع معاً ، مثلاً (النشاط) الذي هو من الفضائل ، يفيـد

الانسان تقدماً وسمواً ، كما يفيـد الاجتماع رقيـاً ورفعة ، وبالعكس (الكسل) فانه يضر الجانبين ، وهكذا بالنسبة إلى سائر الاخلاق الحسنة ، والاخلاق الرذيلة .

س : بعض يقولون : بأن الاخلاق انعكاس من المجتمع الطبقي ، فهل هـذا صحيـح ؟

ج : كلا ، فلنسأل من هؤلاء هل ان (العدل) في الحكم انعـكاس لمجتمع خاص ، فاذا صار لون الاجتماع غير هـذا الشكل يستحسن الظلم في الحكم ؟ أو هل ان (الخيانة) للدولة انعكاس ، حتى اذا جار بمجتمع آخر ، جازت الخيانة وهكذا قل في سائر الصفات .. ان الفضـائل فضائل ابداً ، وان الرذائل رذائل ابداً ، كيفما كان المجتمـع و كيفما تحوّل المجتمع .

س : ما هي الاخلاق الفاضلة ؟

ج : الاخلاق الفاضلة كثيرة ، نذكر منها :

١ ـ الصدق في القول والعمل :

فإنه يلزم على الانسان أن يصدق في كلامه ، فلا يكذب ، ويصـدق في عمله بأن لا يخالف عمله معتقده ، كمن يظهر التواضع لشخص رياءً او تملقاً ، وهو مخالف له عقيدة وقلباً .. ويصـدق في حركاته ، فلا يرى للناس أنـه يريد شيئاً وهو يريد غيره ، ويصدق في وعده ، فإذا وعد وفى ولم يخلف .. ويصدق في مظهره ، فلا يظهر شيئاً وهو على غير ذلك ، كمن يلبس الاسمال ليظن الناس انه فقير وهو غني في الواقع ، وهكذا ..

٢ ـ الأمانة في العمل واللسان :

فإنه يلزم على الانسان أن يكون أميناً مع ربه ، فلا يخالفه .. وأميناً

مع أطراف معاملته ، فلا يغشهم .. وأميناً مع أموال الناس ، فلا يخونها .. وأميناً مع أعراض الناس ، فلا يفعل الحرام خفية عنهم .

وقد ورد في الأحاديث عن النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين ، تأكيد بليغ ، حول هاتين الفضيلتين (الصدق والامانة) ، حتى انه ورد في بعض الاخبار : « إن الله لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث واداء الامانة » .

والانسان (الصادق) ، (الامين) محبوب عند الناس ، محبوب عند الله ، موفق في عمله ، بخلاف (الكاذب) و (الخائن) ، فإنه يحطم مستقبله ، وإن انتفع ببعض المنافع المختصرة في العاجل القريب .

٣ — الشجاعة :

ويلزم على الانسان أن يكون شجاعاً مقداماً ، لا يخاف من الامور ، فإن الجبان دائماً في آخر القافلة . وكفى في الشجاعة فضيلة ، أن جميع الانبياء والمصلحين كانوا متصفين بهذه الصفة ، وإلا لم يتمكنوا من تبديل المجتمع من الفساد الى الصلاح ، ومن الانحطاط الى الرقي ، فإن مواجهة الناس بما يكرهون ، فيما اذا كان ذلك صلاحاً لهم ، من اقوى أقسام الشجاعة ،

٤ — السخاء :

في المجتمع دائماً ، فقراء ومعوزون ، ومشاريع تحتاج الى العون ، فهم سناد المجتمع ، ومعقد آمال أفراده المتأخرين . واذاً يلزم على الانسان السخاء والجود ، فاذا كان الجواد ثرياً لم يضره الجود ، وإن كان متوسطاً يُقبل منه إعطاء القليل (فإن كال الجود بذل الموجود) . يقول الشاعر :

إذا جادت الدنيا عليك فجُدْ بها ... على الناس طرّاً قبل ان تتفلتِ
فلا الجود يفنيها اذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها اذا هي ولّتِ

٥ — الغيرة :

هي حالة في الانسان يحفظ بسببها ما يجب عليه حفظه ، من (دين)

أو (وطن) أو (ناموس) أو ما أشبه ذلك ، وهي من الفضائل ، ولو ذهبت الغيرة من الناس — فرداً كان أو جماعة — ذهب كيانهم ... وقد ذكر علماء الاخلاق ، ما يجب الغيرة عليه وما تكون الغيرة عليه ضارة ، في مباحث مفصلة ، لسنا بصددها هنا .

٦ — التعاون على الخير :

فإن الحياة لا تقوم بالفرد ، وإنما بأفراد يتعاونون ، وكلما زاد التعاون ، كان تقدم الحياة أكثر ، ورقي الاجتماع أكبر ، والتعاون له أقسام عديدة ، فهناك تعاون بالفكر ، وتعاون بالمال ، وتعاون بالعمل ، وتعاون بالاجتماع ، بأقسامها المختلفة .

٧ — النشاط :

الانسان يحب الملاذ والراحة ، وهما عدوان للرقي والتقدم ، ويسببان الكسل والخمول ، والتأخر والانحطاط ، ولذا كان من اللازم على الانسان (النشاط) ، فهي ملكة تجر الانسان إلى الأمام ، في جميع جوانبه المختلفة ، وكل فرد خلا من النشاط فهو فرد ساقط ، وكل أمة خلت من النشاط ، فهي أمة منحطة .

٨ — النظام :

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (الله ، الله في نظم أمركم) إن أوقات الإنسان قليلة جداً ، والمهام الملقاة على عواتقه أمام نفسه وأمام مجتمعه ، وأمام مستقبله دنيا وآخرة كثيرة ، ولذا عليه أن ينظم اموره بكل دقة واتقان ، فليقتد في التنظيم بالموجودات الكونية ، فلكل شيء نظام ، وإلا لفسد الكون ، وهكذا لو لم يكن للحكومات والادارات أنظمة وتقسيم أعمال لفسد الاجتماع .

٩ — الإصلاح :

العـــالم يذهب تلقائياً إلى الفساد ، فالزمان ُيبلي كل جديد ، ويهدم كل معمور ، والطغـاة يفسدون البلاد ويستعبدون الأنام ، وهكذا .. فاللازم على الإنسان أن يقوم بدور المصلح مهما تمكن : إصلاح الأرض بالعمـران ، وإصلاح النفوس بالتهـذيب وإصلاح الاجتماع بتمهيد السبيل أمامـــه للرقي والسموّ ، وإصلاح الاوضاع التي فسدت أو أفسدها الظالمون ، وهكذا ..

١٠ — النظافة :

يقول الرسول الأعظم (النظـــافة من الإيمان) والنظافة على أقسام : فالنظافة في القول بتنزيهه عن اللغو ، واللغـــة ، والنميمة ، والكذب ، والاستهزاء ، والباطل ، وما أشبه ، والنظافة في العمل ، بعدم تعـــاطي الأعمال السيئة ، والأعمال القذرة .. والنظافة في البدن وحوائجه ، بالتطهير وازالـة الأوساخ واستعمال العطر ، ونظـــافة الملبس والمأكل والمشرب وما أشبه ..

١١ — التوسط :

فاللازم على الإنسان أن يتوسط في الامور المرتبطة به ، فلا يزيـد على المقدار اللائق ولا ينقص عنه في جميع أموره فيأكل بقدر ، وينـام بقدر ، ويعمل بقدر ، بدون افراط او تفريط ، فالافراط ارهاق وانهيـــار ، والتفريط تأخر وانحطاط ، ولذا قال القرآن الحكيم [وكذلك جعلناكم أمة وسطا] وفي المثل : اذا كان ميزان السير (لسيارة) في كل ساعة هو مائة (كلم) فالسير بهـــا في الساعة مائة وخمسين (افراط) ، وخمسين فقط (تفريط) .

١٢ — العدل :

من الضروري على الانسان أن يكون (عـــادلاً) في جميع الامـور

المرتبطة به ، سواء كانت في شؤونه الشخصية ، أو اموره العائلية ، او اموره الاجتماعية ، او كان حاكماً ، أو رئيساً ، او غير ذلك ، وقد جعل الله سبحانه في كل انسان (ميزاناً) في نفسه ، يعرف به العدل من الزيغ .. وهذا من أفضل الفضائل والملكات التي يسمو بها الانسان الى أرفع الدرجات .

١٣ — الحزم :

وهو ملكة ادارة الامور على وجه الصواب والحكمة ، بأن يكون ملتفتاً الى الشؤون المرتبطة به ، كيف يعطي وكيف يأخذ ، وكيف يتزوج ، وكيف يربي أولاده ، وكيف يعاشر الناس ، وكيف يدير الشؤون المرتبطة بإدارته — اذا كان مديراً لمؤسسة — او ما أشبه ؟؟ وهكذا في جميع شؤونه الفردية والاجتماعية ، الدينية والدنيوية .

١٤ — المداراة :

بأن يداري الناس، أهلا كانوا أم جيراناً ، أم اقرباء ، او أطراف المعاملة، أم سائر الناس ، في لين الكلام ، وحسن البشر ، وجلب المحبة بالهدية والزيارة ، والمشاركة في الأفراح والأتراح ، والعفو عمن ظلمه ، والاعتذار عمن صدر عن الانسان إساءة اليه .

١٥ — التقوى :

بأن يتقي الله سبحانه ، في جميع أحواله وأعماله ، فلا يصدر منه ما يخالف رضى الله تعالى ، فإن الانسان لا يبقى الى الابد في الدنيا ، بل يموت، وبعد الموت يكون لمن أحسن الثواب والجزاء الحسن ، ولمن أساء العقاب والجزاء السيء .. بالإضافة الى أن التقوى من أفضل أسباب ترقي الفرد والاجتماع في هذه الدنيا .

١٦ — العلم :

لا العلم القليل ، بل كما قال رسول الاسلام ﷺ ، (العلم من المهد الى

اللحد) فإن العلم هو الذي يرتفع بسببه الانسان عند الله تعالى كما قال في القرآن الكريم [يرفع الله الذين آمنـــوا منكم والذين أوتوا العلم درجات] وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (قيمة كل امرىء ما يحسنه) .

١٧ ـ الالفة :

فإن الانسان ُخلق اجتماعياً ، وكلما ازدادت إلفة الانسان لبني نوعه ، ظهرت كنوز نفسه ، وكنوز نفس الاجتماع الذي يجتمع معه ، إذ النفوس إنما تظهر كوامنها عند حب الاجتماع ، وعند تآلف بعض الأفراد مع بعض ، ولذا ورد في الحديث (المؤمن الف مألوف ، ولا خير فيمـــن لا يألف ولا ُيؤلف) .

١٨ ـ الهمة :

فان الهمم الرفيعة هي التي تسمو بالإنسان الى مصاف الرجال العظام ، قال الشاعر في وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

له همم لا منتهى لكبارهـــا وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر

١٩ ـ الصمود :

فإن الإنسان يلاقي المشاكل ، خصوصاً اذا كان تقدمياً يحب الرفعـــة والعمل لأجل الصالح العام ، فإذا صمد أمام الكوارث واستمر في عمله نجح ، وإلا كان نصيبه الخسران ، قال الله تعالى [الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] .

٢٠ ـ تتبع معالي الأخلاق :

كالتواضع ، بأن لا يتكبر .. والحلم ، بأن لا يخرق .. والصبر ، بأن لا يضجر .. والإحساس الى الناس ، بأن لا يقبض نفسه عن الخدمة .. الى غيرها من الفضائل الكثيرة التي ذكرها علماء الأخلاق ، في الكتب المفصلة ، والتي لهـــا أكبر رصيد من الآيات والأحاديث الواردة عن النبي والأئمـــة الطاهرين .

الفصل الرابع

في الآداب الاسلامية

س : ما هو المراد بالآداب الاسلامية ؟

ج : المراد بالآداب الاسلامية ، الامور المربوطة بالانسان في مختلف شؤونه ، من الأشياء التي استحسنها الإسلام فعلاً أو تركاً ، ولم يوجبها ، وهي الأمور التي تسمو بالفرد أو الاجتماع ، في الدنيا والآخرة .

س : إذا كانت هذه الأمور موجبة لسمو الإنسان ، فلماذا لم يوجبها الاسلام ؟

ج : لأن الاسلام لاحظ ضعف الإنسان الطبيعي ، فلم يُرد أن يرهقه بالأحكام ولذا أوجب ما هو ضروري في دينه أو دنياه ، وترك غير الضروري لمشيئته ، واختياره ، إن شاء فعل وان شاء لم يفعل ، ثم أشار الإسلام الى المستحسَن والمستقبَح من تلك الامور ، ليسموا اليها ، أقوياء النفس الذين يريدون لأنفسهم أو لمجتمعهم رقياً أكثر ، وخيراً أزيد .

س : مثّلوا للآداب الإسلامية ؟

ج : الآداب الإسلامية كثيرة ، وإننا نذكر فهرساً موجزاً لجملة من تلك الآداب :

١ – آداب المرأة التي يريد الإنسان أن يتزوجها .. وآداب الرجـل الذي تريد الفتاة التزوج منه .. في الدين والأخلاق ، والمنظر ، والمـال ، والاصل ، والكمال .

٢ – آداب الزفاف ، والمهر ، والملامسة ، والأخلاق ، والعدة .

٣ – آداب الحمل ، والرضاع ، وتربية الأولاد .

٤ – آداب العمل في داخل البيت ، وفي خارجه ، بالنسبة الى الزوجين .

٥ – آداب اللباس ، قماشاً ، ولوناً ، وتفصيلا ، وقِطعاً .

٦ – آداب شعر الرأس ، وشعر اللحية ، وشعر الحاجب ، وشعـور سائر البدن تمشيطاً وتدهيناً ، وحلقاً ، وتجميلا وحفاً ، ونتفاً ، وتنويراً ، وما أشبه .

٧ – آداب مراعاة الجسد ، تدهيناً ، وتدليكاً ورياضة .

٨ – آداب الاكل والشرب .

٩ – آداب اليقظة ، والمنام ، والتمدد ، والاستلقاء .

١٠– آداب تكحيل العين ، واستياك الاسنان ، وتخليلهـا ، وتعطير الفم وسائر البدن .

١١– آداب الحمام ، دخولاً ، وخروجاً ، وكيفية التطهير بالمـــاء ، وإزالة الأوساخ ، والاتزار .

١٢– آداب المجالسة ، كالإبتداء بالسلام ، والفسح في المجلس وحفظ اللسان ، والعين ، والاذن ، من المنافيات ، كالنجوى ، واللغو ، وآداب الجلوس متأدباً ، لا مبتذلاً ، وكيفية الجلوس .

١٣– آداب أكل الطعام ، وكيفية المؤاكلة مع الغير ، كتنظيف اليدين قبل

الطعام وبعده ، والاكل عند الجوع ، والكف قبل الشبع الكامل ، وكيفية الجلوس على المائدة ، والإبتداء بالملح ، والبسملة ، والحمد وما أشبه .

١٤ ــ آداب شرب المـــاء ، قياماً أو جلوساً ، وجرعاً ، ومصاً ، ووقتاً وما أشبه .

١٥ ــ آداب الكسب والتجارة .

١٦ ــ آداب الزراعة .

١٧ ــ آداب حفظ الصحة وقاية وعلاجاً .

١٨ ــ آداب المعلم والمتعلم والدرس والكتاب ، والتأليف ، والكتابـــة ، والمذاكرة .

١٩ ــ آداب المعاملة ، بيعاً وشراءً ، وإجارة ورهناً ، وغيرها .

٢٠ ــ آداب اقتناء الدواجن والطيور .

٢١ ــ آداب نظافة البيت ، والفناء ، وكيفية الدار ، وغرفها ، وما أشبه .

٢٢ ــ آداب إقتناء الانعام ، وغيرها من سائر الحيوانات ، وآداب سقيهـا وعلفها ، وحملها ومداراتها .

٢٣ ــ آداب عمارة الارض .

٢٤ ــ آداب سعة الشوارع ، وحفر الآبار ، وشق الأنهار .

٢٥ ــ آداب الإستفادة من الثروات الكائنة في الكون ، من معدن ، وكنز ، وبحر وبر .

٢٦ ــ آداب السفر والإقامة .

٢٧ ــ آداب ذبح الحيوان .

٢٨ ـ آداب القضاء والحكم بين الناس ، قاضياً ، وشاهداً ، وكتابة ، ومستنداً ، ومجلساً ، وصوتاً وغيرها .

٢٩ ـ آداب لبس الحلي ، والزينة ، والنظر في المرآة .

٣٠ ـ آداب المرحاض ، جلوساً ، وذِكراً ، وتطهيراً ، وما أشبه .

٣١ ـ آداب معاشرة الناس، قريباً أو بعيداً ، وكيفية المصافحة، وما أشبه.

٣٢ ـ آداب السلم والمعاهدة ، والحرب والغزو .

٣٣ ـ آداب الركوب والنزول ، والمنزل في وسط الطريق ، واصطحاب الصديق في الطريق .

٣٤ ـ آداب المحتضر ، والميت ، والتشييع ، والقبر ، والتعزية وما أشبه .

٣٥ ـ آداب الصحيح والمريض .

٣٦ ـ آداب الغنى ، والفقر .

٣٧ ـ آداب التبليغ والإرشاد وكيفية هداية الناس .

٣٨ ـ آداب الحاكم ، والعالم ، والواعظ ، وإمام الجماعة ، ومن يشبههم .

٣٩ ـ آداب الوصايا ، والمواريث واجراء الحدود والقصاص .

٤٠ ـ اداب الدعاء ، والصلاة ، وسائر العبادات ، وزيارة المشاهد ، إلى غيرها من الابواب الكثيرة التي نحتاج لتفصيلها الى مجلدات ، وانما أردنا الالماع الى رؤوس أقلام .

الفصل الخامس

في المحرمات الاسلامية

س : ما معنى المحرّم ؟

ج : المحرّم هو الشيء الذي حرّمه الاسلام ، ومنع عن ارتكابه منعاً باتاً .

س : ولِمَ حرّم الاسلام بعض الأشياء ؟

ج : لأن في تلك الأشياء مضرة بالغة .

س : إذا ارتكب الانسان المحرمات ، ما الذي يعود اليه ؟

ج : يعود اليه ، ضرر الدنيا ، وعذاب الآخرة .

س : مثّلوا لضرر الدنيا ، من أي قبيل هو ؟

ج : مثلاً ، القمار يوجب خسران المال ، والخمرة توجب الأمراض ، والغناء يوجب ضعف الأعصاب ، والزنا يوجب اختلاط الأنساب ، واللواط يوجب الأمراض الزهرية وما أشبه في الفاعل والمفعول ، والربا يوجب اختلال توازن الاقتصاد ... الى غيرها .

س : فلماذا لا نرى ما ذكرتم من الأضرار في الاجتماع ، والحال أن المحرمات

غالبها – بل كلها – شائعة بين الناس ؟

ج : إن الأمر بالعكس تماماً :

– فالجريمة متفشية في طول الاجتماع وعرضه، مما تعج بها المحاكم وتمتلىء السجون .

– واختلال التوازن الاقتصادي بالغ أقصاه ، فهنـاك أصحاب الملايين، وهناك الألوف يموتون جوعاً .

– والأمراض آخذة بأكظام الناس ، مما لا ينفع في دفعها أو تقليلها ، آلاف المستشفيات والمستوصفات والصيادلة ، وما أشبه .

– والقلق والاضطراب آخذ من الناس كل مأخذ ، مما لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم .

– وأخيراً :.. فالثورات والحروب ، ملأت أعمدة التاريخ الحـاضر ، مما لم تجعل لغيرها فراغاً ... بما تجر معهـا من الويلات والدموع والدماء والكوارث ... فهل بعد ذلك يُقال بأن المحرمات لم تفعل مفعولها ؟

س : ما هي المحرمات الاسلامية ؟

ج : المحرمات الاسلامية كثيرة ، نذكر جملة منها :

١ – إعانة الظالم .

٢ – الإعراض عن ذكر الله .

٣ – الإسراف .

٤ – تزيين الرجل بالذهب ، ولبسه للحرير .

٥ – الاستمناء .

٦ – إيذاء الناس .

٧ – استعمال أواني الذهب والفضة .

٨ ــ إفشاء السر .

٩ ــ عدم إطاعة الأولاد للابوين ، وعدم إطاعة الزوجة للزوج (فيما يجب إطاعتها له) .

١٠ ــ إشاعة الفاحشة .

١١ ــ الاحتكار .

١٢ ــ إلقاء النفس من التهلكة .

١٣ ــ عقد الرجل عن حليلته ، وسائر أنواع السحر ، والتسخير

١٤ ــ الإفتراء .

١٥ ــ التنجيم ــ في الجملة ــ .

١٦ ــ التدليس

١٧ ــ تبديل الوصية .

١٨ ــ التجسّس .

١٩ ــ قتل أحد ، أو جرحه ، أو قطع عضو من أعضائه .

٢٠ ــ منع حقوق الله تعالى ، أو حقوق الناس .

٢١ ــ سجن أحد بغير حق .

٢٢ ــ الحسد .

٢٣ ــ إضاعة حقوق الناس .

٢٤ ــ شرب المسكر ، خمراً كان أو غيرها .

٢٥ ــ أكل الميتة ، أو لحم الخنزير، أو سائر اللحوم المحرمة ، وأكل النجس وشربه ، وأكل سائر المحرمات ، كالطين وما أشبه .

٢٦ ــ الخيانة ، والخديعة ، والغش .

٢٧ ــ السرقة .

٢٨ ــ القيادة والدياثة ، بالجمع بين حرامين ، او ولدين، أو ولد وبنت .

٢٩ ــ الكذب .

٣٠ ــ سب الله، والأنبياء ، والأئمة ، والدين، والكتاب، والمذهب، والناس .

٣١ ـ النفاق ، بأقسامه ، ومنها كون الشخص ذا لسانين ، فيمدح حاضراً ويذم غائباً .
٣٢ ـ الرشوة .
٣٣ ـ الربا .
٣٤ ـ قطع الطريق .
٣٥ ـ حلق اللحية ، وقطع الانسان بعض أعضاء نفسه ، أو إفنـاء قوة من قواه كتعمية عين نفسه ـ مثلاً ـ .
٣٦ ـ الاختلاط بين الفتيان والفتيات اختلاطاً محرماً :
٣٧ ـ الرضا بالمعاصي .
٣٨ ـ الزنا ، واللواط ، والسحق ، والنظر الى الأجنبي ، ولمس بدنه .
٣٩ ـ ضرب الناس بغير حق .
٤٠ ـ الرمي بالزنا ، أو اللواط ، أو سائر النسب المحرمة .
٤١ ـ النميمة ، والغيبة ، والخوض في الباطل ، والفتنة .
٤٢ ـ السعي في خراب المساجد وتنجيسها .
٤٣ ـ السعاية عند الظالمين .
٤٤ ـ عمل آلات اللهو ، وآلات القمار ، والصلبان .
٤٥ ـ سفور النساء ، وتبرجهن .
٤٦ ـ حنث اليمين ، والنذر ، والعهد .
٤٧ ـ شهادة الزور ، وكتمان الحق .
٤٨ ـ لعب الشطرنج والنرد ، وما أشبهها .
٤٩ ـ إضاعة الانسان عياله .
٥٠ ـ الظلم والتعدي .
٥١ ـ التعصب بالباطل .
٥٢ ـ الغناء .

٥٣ ـ الفساد في الأرض .
٥٤ ـ قطع الرحم ، وعقوق الوالدين . ، وإضاعة الأولاد .
٥٥ ـ تطفيف الكيل ، والوزن .
٥٦ ـ التشبيب بالمرأة العفيفة ، أو الغلام .
٥٧ ـ كشف العورة عند الناظر المحترم .
٥٨ ـ المجادلة بغير الحق .
٥٩ ـ التطلع في دور الجيران .
٦٠ ـ استعمال كل شيء ضار بالبدن ، ضرراً بالغاً ، وكذا إضرار الغير .

إلى غيرها ... وقد رأيت ان غالب هذه المحرمات ، واضح العلة ، لا يحتاج إلى الفكر ، مثلاً : هل ينكر أحد قبح قتل الناس ، ونهب أموالهم ، وجرحهم ، والتطلع في دورهم ، والإضرار بهم أو ما اشبه . نعم ، بعضها يحتاج إلى الالتفات ، إلى وجه التحريم ، مثلاً (القمار) و(الخمر) و(السفور) ، لا بد وأن يعلم الانسان ان الأول يورث القلق والخسارة ، والثاني يوجب الأمراض المختلفة ، والثالث كثيراً ما يسبب الفحشاء ، وهدم العوائل ، وهكذا ... وهل هناك دين او قانون لم يجعل جملة من المحرمات؟ نعم، يبقى الكلام حول ان هذه المحرمات توجب الكبت بقدرها ؟ والجواب ان كل شيء يوجب الفساد ، لا بد من مثل هذه الكبت بالنسبة اليه ... والقوانين ممتلئة بمثل هذه الأنواع من الكبت .

الفصل السادس

في العبادات الاسلامية

س : ما معنى العبادات ؟

ج : العبادات امور أوجبها الإسلام على الناس ، ليأتوا بها بقصد القربة لله تعالى .

س : ما معنى قصد القُربة ؟

ج : القصد إلى كون العمل لله سبحانه .. وهذا هو الفرق بين (العبادات) وبين (سائر الواجبات) .. فالعبادة تحتاج إلى قصد القربة ، أما غير العبادة فيسمى (توصلياً) ويصح الإتيان به بدون قصد القربة .

س : مثّلوا للأمرين ؟

ج : مثلاً (الصلاة) عبادة ، لا تتأتى إلا اذا قصد الآتي القُربة ، أما (تطهير الثوب) فليس بعبـــادة ، ولذا يمكن الإتيان به بدون قصد القربة .

س : ما وجه الاشتراط العبادة بقصد القربة ؟

ج : أولا (الإطاعة لله تعالى) ، فإن الإطاعة الكاملة لا تكون إلا بإتيان العمل لله تعالى . وثانياً (السمو بالنفس) ، فإن الإنسان ، اذا تذكّر

الله تعالى ، باستمرار ، وعلم أنه في محضر إله عظيم ، سميع ، بصير ، لا بد وأن تحصل له (ملكة) خيِّرة تجرُّه الى معالي الصفات والأخلاق ، وتبعده عن الرذائل حالة وعملاً .

س : ما هي عبادات الإسلام ؟

ج : نذكر جملة من عبادات الإسلام ، وهي (الصلاة) و (الصوم) و (الخمس) و (الزكاة) و (الجهاد) و (الحج) ، وحيث أن الكتاب موضوع للتعريف بالإسلام موجزاً ، أضربنا عن ذكر الفلسفة والعلة في هذه العبادات ، ومن أراد الاطلاع فيهما فليراجع كتاب المؤلف (عبادات الإسلام) .

س : ما هي الصلاة ، وكم ركعاتها ، وسائر كيفياتها ؟

ج : الصلاة على قسمين : الصلاة الواجبة والصلاة المستحبة .

س : ما هي الصلاة الواجبة ؟

ج : الصلاة الواجبة بهذا الترتيب :

١ ـ صلاة الصبح ، ركعتان ، وقتها من طلوع الفجر ، الى طلوع الشمس .

٢ ـ صلاة الظهر ، أربع ركعات ، وقتها من عبور الشمس عن وسط سماء البلد ، الى قرب غروب الشمس عن الأفق .

٣ ـ صلاة العصر ، أربع ركعات ، وقتها من بعد صلاة الظهر ، إلى غروب الشمس عن الافق .

٤ ـ صلاة المغرب ، ثلاث ركعات ، وقتها من المغرب ، وهو حين زوال الحمرة عن قمة الرأس المصادف بربع ساعة بعد غروب الشمس ، تقريباً الى نصف الليل .

٥ ـ صلاة العشاء ، أربع ركعات ، وقتها من بعد صلاة المغرب ، الى قرب نصف الليل .

س : هل تختلف الصلاة سفراً وحضراً ، أم لا ؟

ج : نعم ، تختلف ، فالصلاة في السفر (قصر) أي أن (الظهر) و (العصر) و (العشاء) كل واحدة منها ركعتان ـ كصلاة الصبح ـ .

س : ما هي أجزاء الصلاة ؟

ج : أجزاء الصلاة هي :

١ ـ تكبيرة الاحرام ـ بعد النية ـ .

٢ ـ القراءة الحمد وسورة ، في حال القيام .

٣ ـ الركوع ، والذِكر فيه .

٤ ـ القيام بعد الركوع .

٥ ـ سجدتان ، في كل سجدة ذِكر ، يجلس بينهما ، وبعدهما .

٦ ـ ثم القيام ، والقراءة ، مرة ثانية ، والقنوت ـ وهو مستحب ـ .

٧ ـ ثم الركوع والقيام بعد الركوع ، والسجدتان .. ثم الجلوس والتشهد والسلام ، هذا في الصلاة الثنائية ، أما الثلاثية والرباعية ، فيقرأ في الركعة الثالثة والرابعة ، عوض (الحمد والسورة) التسبيحات .

س : ما هي شرائط الصلاة ؟

ج : شرائط الصلاة هي :

١ ـ التوجه الى القبلة .

٢ ـ طهارة اللباس ، والبدن ، ومحل الجبهة .

٣ ـ تطهر الإنسان : بالوضوء ، والغسل ، والتيمم .

٤ ـ حلّية لباس المصلي ، ومكان الصلاة .

٥ ـ عدم الإتيان بالمبطل في أثناء الصلاة : كالحدث ، والضحك ، والإلتفات ، وما أشبه .

س : هـل في الاسلام صلاة واجبة أخرى ـ غير مـا ذكرتم من الصـلاة اليومية ـ ؟

ج : نعم ، وهي :

١ ـ صلاة الأموات .

٢ ـ صلاة الآيات .

٣ ـ صلاة الطواف .

٤ ـ صلاة النيابة عن الميت ـ إذا وجبت على الإنسان ـ .

٥ ـ الصلاة المنذورة .

ولكل واحد من الصلوات الواجبة ، كيفيات ، وخصوصيات وآداب مذكورة في الفقه الإسلامي .

س : ما هي الصلاة المستحبة ؟

ج : الصلاة المستحبة كثيرة ؛ مثل :

١ ـ النوافل اليومية .

٢ ـ والصلوات المستحبة لشهر رمضان .

٣ ـ والصلوات المستحبة في الايام المتبركة ، كالاعياد .

٤ ـ والصلوات الواردة عن النبي والأئمة الطـاهرين ، التي كانوا يصلونها ، وتسمى بأسمائهم ، كصلاة النبي صلى الله عليه وآله وصلاة علي عليه السلام وهكذا ..

٥ ـ سائر الصلوات المستحبـة في الأحوال ، كصلاة الزيارة ، وصـلاة الاستسقاء ، وصلاة الخائف .

س : ما هو الصوم ؟

ج : الصوم ، هو الإمساك عن المفطرات ، من أول الفجر ، إلى المغرب .

س : الى كم قسم ينقسم الصوم ؟

ج : الصوم على أربعة أقسام :

١ – الصوم الواجب : كصوم رمضان .

٢ – الصوم المستحب : كصوم شهر رجب .

٣ – الصوم المكروه كصوم يوم عاشوراء .

٤ – الصوم المحرَّم ، كصوم يوم عيد الفطر ، وعيد الاضحى .

س : كم يوماً يجب على الإنسان أن يصوم فيه ، في شهر رمضان .

ج : يجب على كل إنسان ، جامع لشرائط التكليف ، أن يصوم شهراً كاملاً وهو شهر رمضان ، من الاشهر الهلالية ، وهو الشهر التاسع ، بعد رأس السنة ، – ورأس السنة الهجرية شهر محرم الحرام – .

س : ما هي المفطرات التي ذكرتم وجوب الإمساك عنها ؟

ج : هي عشرة :

١ و ٢ – الاكل والشرب .

٣ و ٤ – الجماع ، والإستمناء .

٥ و ٦ – الإصباح جنباً ، والحقنة بالماء .

٧ و ٨ – إيصال الغبار الغليظ الى الحلق ، والإرتماس في الماء .

٩ و ١٠ – القيء ، وتعمد الكذب على الله والرسول والائمة .

س : إذا لم يصم الإنسان عمداً يوما من هذه الأيام فماذا جزاؤه ؟

ج : جزاؤه ثلاثة أشياء :

الاول : الثاني أن يقضي يوما بدلا له ، بعد شهر رمضان .

الثـاني : أن يكفـّر ، والكفـّارة احدى ثلاثة أشياء :

١ – أن يصوم شهرين متتابعين .

٢ – أن يطعم ستين مسكيناً .

٣ – أن يعتق رقبة مؤمنة .

الثالث : أن يؤدبه الحاكم الإسلامي ، لارتكابه هذه المعصية .

س : ما هو الخمس ؟

ج : الخمس عبارة عن اخراج الإنسان عشرين في المائة من أمواله ، في سبيل الله .

س : من أي مال يخرج الخمس ؟

ج : من سبعة أشياء :

١ — غنائم دار الحرب .

٢ — الغوص .

٣ — المعدن .

٤ — أرباح المكاسب .

٥ — الارض التي اشتراها الذمي من المسلم .

٦ — الحلال المختلط بالحرام .

٧ — الكنز .

س : لمن يعطى الخمس ؟

ج : يعطى الى الحاكم الاسلامي ، ليصرفه في المصاريف الإسلامية ، حسب نظره ، وفي اليتامى ، والمساكين ، وأبناء السبيل ، من أقرباء رسول الإسلام ﷺ .

س : ما هي الزكاة ؟

ج : الزكاة عبارة عن إخراج الإنسان قسماً من ماله ، في سبيل الله .

س : من أي مال تخرج الزكاة ؟

ج : من ثلاثة أصناف :

الاول : الانعام الثلاثة : أي البقر ، والغنم ، والابل .

الثاني : الغلات الأربعة : أي التمر ، والزبيب ، والحنطة ، والشعير .

الثالث : النقدين : أي الذهب والفضة .

فالمجموع تسعة يخرج عنهـــا الزكاة ، على سبيل الوجوب ، ويستحب اخراج الزكاة من أشياء أُخر كالأملاك ومال التجارة .

س : فيمن تصرف الزكاة ؟

ج : تصرف الزكاة في ثمانية طوائف :

١ — ٢ الفقراء ، والمساكـين .. والمسكين هو الذي يكون أشد حـــالاً من الفقير .

٣ — العاملين على الزكاة ، أي الذين يجمعون الزكاة .

٤ — في سبيـل الله ، وهي كل مصلحة من مصـــالح المسلمين ، مما يرتبط بدينهم أو دنياهم .

٥ — المديونين ، الذين لا يتمكنون من اعطاء دَينهم .

٦ — أبناء السبيل ، الذين انقطع بهم الطريق ، فلا يتمكنون من الرجوع الى وطنهم .

٧ — المؤلفة قلوبهم ، الذين يعطون من الزكاة لتقوية قلوبهم بالإيمـان ، أو دفاعهم عن المسلمين .

٨ — الرقاب ، وهم العبيد تحت الشدة ، يشترون من الزكاة ، ويُعتقون .

س : ما هو الجهاد ؟

ج : الجهاد عبارة عن المحاربة في سبيل الله تعالى .

س : ما هو الغرض من الجهاد ؟

ج : الغرض من الجهاد أمران :

١ — انقاذ الناس من الخرافة في العقيدة والعمل .

٢ — انقاذ المظلومين من براثن الظالمين .

س : هل يحارب الإسلام ، الكفار ابتداءً ؟

ج : كلا ، وانما يحارب :

١ – أهل الكتاب ، بعد تخييرهم بين (الإسلام) وبين (إعطـاء الجزية) وبين (المحاربة) .

٢ – غير أهل الكتاب ، بعد تخييرهم بين (الاسلام) وبين (المحاربة)

س : من هم أهل الكتاب ؟

ج : هم (اليهود) و (النصارى) و (المجوس) الذين لهم كتاب سماوي .

س : من هم غير أهل الكتاب.

ج : سائر فرق الكفار ، كالوثنيين ، ومن أشبه .

س : ما معنى (الجزية) ؟

ج : (الجزية) قدر من المال ، يؤخذ من أهل الكتاب ، في مقـابل حماية المسلمين لهم ، ويؤذن لهم في إقامة شعائرهم الدينية ، ويعفى عنهم من الزكاة والخمس – اللذين يؤخذان من المسلمين – .

س : أليس من الافضل أن يعامل أهل الكتاب كسائر المسلمين ؟ ومـــا هذه الميزة ؟

ج : إن الامر بالعكس تماماً ، فحقوق أهل الكتاب ، تحت ظل الاسلام ، محفوظة إلى أبعد الحدود ، بينما حقوقهم غير محفوظة تحت ظـل سائر الانظمة وذلك يتبين من البنود التالية :

١ – أهل الكتاب مواطنون من الدولة ، لكل امرىء منهم ما اكتسب .. كسائر المسلمين .

٢ – أهل الكتاب محفوظة دمائهم وأموالهم ، وأعراضهم، كسائر المسلمين .

٣ – أهل الكتاب يقيمون لأنفسهم شعائر دينهم ، كما أن المسلمين يقيمـون شعائر دينهم .

٤ – أهل الكتاب يتحاكمون في قضاياهم ان شاؤوا الى المسلمين وان شاؤوا إلى حكام أنفسهم .

٥ - أهـل الكتاب يؤدون (الجزية) والمسلمـون يؤدون (الخمس) و (الزكاة) .

إذاً ، فأي ضغط على أهل الكتاب تحت حكومة الاسلام ؟

س : اذاً فما وجه محاربة المسلمين مع أهل الكتاب ؟

ج : الحرب كانت مـع حكوماتهم التي كانت تتصف بأبشع أنواع الظلم والاضطهاد ، ولذا نرى أن أهل البلاد كانوا يستقبلون المسلمين بكل لهفة ، ويعبرونهم منقذين لهم من أيدي حكامهم الظلمـة ، والتاريخ أصدق شاهد على ذلك.. وهكذا كان الحال مع غير أهل الكتاب ، فإن العمدة في محاربة المسلمين لغيرهم هي إعلاء كلمة الله وانقاذ الامم من براثن المستغلين والمستبدين الذين كانوا يحكمون على النـاس بالعنف والارهاب [1].

س – ما هو الحج ؟

ج : الحج هو الرواح الى (مكة المكرمة) في (الجزيرة العربية) ، بقصد الاتيان بمراسيم العبادة .

س : على من يجب الحج ؟

ج : على الانسان المستطيع ، الذي يتمكن من الذهاب بماله ، بدون أن يسبب ذلك فقراً أو حرجاً عليه .

س : كم مرة يجب الحج على الانسان المستطيع ؟

ج : مرة واحدة في العمر .

س : وهل يستحب الحج على أحد ؟

ج : نعم يستحب على غير المستطيع ، وعلى المستطيع بعد اتيانـه بالحج الواجب .

---

(١) التفصيل في كتاب « كيف انتشر الاسلام » . (الناشر)

س : ما هي أعمال الحج ؟

ج : الحج ينقسم إلى جزأين : (١) العمرة ، (٢) الحج :

الأول ، أعمال العمرة هي :

١ ـ الاحرام ، من الميقات .

٢ ـ الطواف حول البيت سبعاً .

٣ ـ ركعتان للطواف ، خلف مقام إبراهيم عليه السلام .

٤ ـ السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط .

٥ ـ التقصير ، بأخذ شيء من شعر الرأس ، او الظفر ، أو ما أشبه .

الثاني : أعمال الحج ، هي :

١ ـ الاحرام من (مكة) .

٢ ـ الوقوف بـ (عرفات) يوم التاسع من ذي الحجة .

٣ ـ الوقوف بـ (المشعر) يوم العاشر .

٤ ـ الافاضة من المشعر الى منى ، في اليوم العاشر (وهو يوم عيد الاضحى) .

٥ ـ رمي جمرة العقبة بسبع حصيات ، يوم العيد .

٦ ـ ذبح حيوان ، من الانعام الثلاثة : الابل ، أو البقر ، او الغنم .

٧ ـ حلق الرأس ، أو التقصير .

٨ ـ الطواف حول الكعبة سبعة اشواط ، للزيارة .

٩ ـ ركعتان للطواف ، خلف مقام ابراهيم عليه السلام .

١٠ ـ السعي بين الصفا والمروة ، سبعة أشواط .

١١ ـ طواف النساء ، سبعة أشواط .

١٢ ـ ركعتان صلاة لطواف النساء ، خلف مقام ابراهيم عليه السلام .

١٣ ـ المبيت بمنى ، الليلة الحادية عشر ، والثانية عشر ـ والثالثة عشرة احياناً ـ .

١٤ ـ رمي الجمار الثلاث ، في منى ، كل جمرة بسبع حصيات ، في اليوم الحادي عشر ، والثالث عشر ـ إن بقي في الليلة الثالثة عشرة ـ .

س : في أي وقت يأتي الانسان بالحج ؟

ج : في أشهر الحج ، وهي : (شوال) و (ذو القعدة) و(ذو الحجة) ، نعم اعمال الحج ، في شهر ذي الحجة فقط ، كما عرفت .

س : ما هي (العمرة المفردة) ؟

ج : العمرة المفردة ، هي (العمرة) التي ذكرناها سابقاً .. بإضافة (طواف النساء) و (صلاته) ، ويصح ان يؤتى بها في جميع السنة .

س : ما هي فائدة الحج ؟

ج : للحج فوائد كثيرة ، نذكر منها ما يلي بصورة موجزة :

١ ــ الفوائد السياسية ، حيث يوجب وحدة المسلمين ، وقوة سلطانهم ، ورهبة الأعداء من شوكتهم .

٢ ــ الفوائد الاقتصادية ، حيث يوجب حركة المال ، من أقصى البلاد الى اقصاها ، وازدهار التجارة .

٣ ــ الفوائد النفسية ، حيث يوجب التفرج عن الأنفس ، والهدوء ، والسكينة ، اللذين يجلبهما السفر ، بما يزيل من هموم الوطن .
وفي الشعر :

تغرّبْ عن الأوطان في طلب العلا وسافِرْ ففي الأسفار خمسُ فوائدِ
تفرُّجُ همٍّ واكتسابُ معيشةٍ وعقلٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ

٤ ــ الفوائد الاجتماعية ، حيث يوجب تعرُّف بعض المسلمين ببعض ، وصهرهم في بوتقة واحدة .

٥ ــ الفوائد العبادية ، حيث ان الطواف ، والسعي ، والصلاة ، والوقوف ، وما اليها .. كلها عبادة ، وتوجيه الى إله الكون ، وخالق الحياة .

إلى غيرها من الفوائد الكثيرة المذكورة في الكتب المفصلة [1].

---

(١) التفصيل في كتاب (عبادات الاسلام) المؤلف . (الناشر)

الفصل السابع

في لُمع من الشريعة الاسلامية

لُمع بيضاء من الشريعة الاسلامية ، وهي : (الطهارة) و (مراكز العبادة) و (المشاهد المشرفة) و (الدعاء) و (الجماعة) و (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و (الاعتكاف) و (الدعوة إلى الخير) و (الذكريات) و (التولي والتبري) ، نذكرها بإيجاز ، إشارة الى بعض جوانب الإسلام .

-١-

س : ما هي الطهارة ؟

ج : الطهارة في الاسلام على أربعة أقسام :

١ ـ طهارة الروح من الملكات الفاسدة ، كالحسد والبخل والبغضاء والجبن ، وسائر الرذائل .

٢ ـ طهارة الأعضاء من المنافيات ، كطهارة العين عن النظرة الخائنة ، وطهارة اللسان عن اللغو ، وهكذا ..

٣ ــ طهارة الجسد وما اليه عن القذارات ، فقد أوجب الاسلام التطهير عن (البول) و (الدم) و (الغائط) وسائر النجاسات .. كما حبّذ التطهير والتنظيف عن الأوساخ والقذارات ، لا بالنسبة الى البدن فقط ، بل بالنسبة الى كل ما يزاوله الانسان ، من ثوب ، وآنية ، وفرش ، وغيرها ...

٤ ــ تطهير الجسد والروح ــ معاً ــ بأحد أمور ثلاثة :

« الاول » : الوضوء ــ عقب الحدث ــ .

ج : الأحداث هي : (البول) ، (الغائط) ، (الريح) ، (النوم) ، (قسم من دم النساء يسمى بالاستحاضة القليلة) ، (كل ما أزال العقل) من مسكر ، وإغماء ، وما أشبه) .

س : ما هي كيفية الوضوء ؟

ج : كيفية الوضوء هي كالآتي :

١ ــ غسل الوجه من قصاص الشعر إلى الذقن .

٢ ــ غسل اليد اليمنى من المرفق الى رؤوس الأصابع .

٣ ــ غسل اليد اليسرى من المرفق الى رؤوس الأصابع .

٤ ــ مسح مقدم الرأس ببلل الكف اليمني .

٥ ــ مسح ظاهر الرجلين ببلل الكفين .

« الثاني » : الغسل ، وهو على قسمين :

١ ــ الغسل الواجب .

٢ ــ الغسل المستحب .

س : كم هي الاغسال الواجبة ؟

ج : الأغسال الواجبة هي ستة :

١ ــ غسل الجنابة ، والجنابة تحصل بنزول المني ، او الدخول .

٢ ــ غسل الحيض ، وهو دم تراه المرأة ، والغالب اعتيادها شهرياً في رؤية هذا الدم .

٣ – غسل النفاس ، وهو الدم الذي يأتي عند الولادة .

٤ – غسل الاستحاضة ، وهو الدم الذي تراه المرأة ، مما ليس بحيض ولا استحاضة (وله تفصيل) .

٥ – غسل مس الميت ، فمن لامس ميتاً آدمياً ، بعد برده ، وقبل أن يُغسل ، وجب عليه الغسل .

٦ – غسل الميت ، فإذا مات الإنسان وجب غسله .

س : كم هي الأغسال المستحبة ؟

ج : الأغسال المستحبة كثيرة ، مثل : غسل يوم الجمعة ، وغسل أيام الأعياد ، وغسل ليالي شهر رمضان ، وما أشبه .

س : ما هي كيفية الغسل ؟

ج : للغسل كيفيتان :

الاول : الارتماس في الماء الطاهر الحلال ، مرة واحدة ، بحيث يشمل الماء جميع الجسد .

الثاني : الترتيب ، بأن يغسل رأسه ورقبته اولاً ، ثم الطرف الأيمن من جسده ثالثاً .

« الثالث » : من لم يتمكن من (الماء) للوضوء والغسل ، أبدل له الإسلام (التيمم) .

س : ما معنى التيمم ؟

ج : التيمم عبارة عن :

١ – ضرب الكفين على الأرض الطاهرة المباحة ، ثم نفضهما ، والمسح بهما على الجبهة من قصاص الشعر إلى طرف الانف الاعلى .

٢ – المسح بالكفين على ظاهر اليدين ، بأن يمسح ببطن الكف اليسرى على ظهر الكف اليمنى ، وبالعكس .

٣ – ضرب اليدين ثانياً على الارض ، والمسح بهما على ظـاهر الكفين – كما ذكر – .

ولا يخفى أن (الطهارات) تحتاج الى (النية) ، بأن يأتي بها ناوياً ، مع قصد القربة الى الله تعالى ، ولذا فهي تطهير لظاهر الإنسان ، وتطهير لباطنه ، لان التوجه الى الله تعالى يوجب طهارة الروح .

– ٢ –

س : ماذا تقصدون بـ (مراكز العبادة) ؟

ج : لقد قال نبي الإسلام محمد ﷺ : « جعلت لي الارض مسجداً وترابها طهوراً » . فالارض كلها – في نظر الاسلام – صالحة للعبادة ، لا ان هناك محلاً خاصاً لها .. كما انه ليس في الاسلام تخصيص محل عبادة بجمع ، ومحل عبادة بآخرين ، ولذا قال الله تعالى : [وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد] . ولكن مع ذلك ، فقد جعل الاسلام مراكز خاصة للعبادة ، تسمى بـ (المساجد) ، وأحبّ العبادة فيها ، والاجتماع اليها ، وجعل الثواب الكبير لبنائها وإنارتها ، والقيام بسائر شؤونها ، وفضّل الصلاة فيها على الصلاة في غيرها ، وهي تنقسم الى :

١ – المراكز التي هي في الرعيل الأول من الاهمية :

كالمسجد الحرام ، بمكة المكرمة .. ومسجد الرسول ﷺ ، بالمدينة المنورة .. ومسجد الكوفة ، قرب النجف الاشرف .. ومسجد البصرة ، في مدينة البصرة .. وبيت المقدس ، بالاردن .

٢ – المراكز التي هي في الرعيل الثاني من الأهمية :

كمسجد السهلة ، قرب النجف الاشرف .. ومسجد براثا بين الكاظمية وبغداد .

٣ — المراكز التي هي في الرعيل الثالث من الاهمية :

كسائر المساجد التي أحدثها المسلمون في شرق الارض وغربها ، وهي مختلفة في الفضيلة ، كما فصّل في فقه الاسلام .

س : هل المساجد أحكام خاصة ؟

ج : نعم لها أحكام خاصة ، كتحريم تنجيسها ، وحرمة هدمها اعتباطاً ، وحرمة مكث الجنب ، والحائض ، والنفساء فيها ، بل وحرمة المرور لهم في المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ .. الى غيرها من الأحكام .

- ٣ -

س : ما هي (المشاهد المشرفة) :

ج : المشاهد المشرفة ، عبارة عن المحلات التي دُفن فيها الرسول والائمة الطاهرون ، وهي :

١ — حجرة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، بأرض الحجاز .

٢ — البقيع ، الذي هو مثوى : الامام الحسن المجتبى ، والامام زين العابدين ، والامام محمد الباقر ، والامام جعفر الصادق عليهم السلام ، بل مثوى سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام — على احتمال — في المدينة المنورة بأرض الحجاز .

٣ — حرم الامام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الاشرف ، في العراق .

٤ — حرم الامام الحسين عليه السلام ، في كربلاء المقدسة ، في العراق .

٥ — حرم الامام موسى الكاظم ، والامام محمد الجواد ، عليهما السلام ، في الكاظمية ، في العراق .

٦ — حرم الامام علي الرضا عليه السلام في خراسان ، في ايران .

٧ ــ حرم الامام علي الهادي ، والامام الحسن العسكري ، وسرداب الامام المهدي ، عليهم السلام ، في سامراء ، في العراق .

٨ ــ وشبه هذه المشاهد في بعض الفضيلة ، بعض المشاهد الاخَر ، كحرم سيدنا العباس عليه السلام ، في كربلاء ، وحرم السيدة زينب عليها السلام ، في الشام ، ومشاهد الانبياء ، كمشهد ذي الكفل عليه السلام ، ومشهد موسى الكليم عليه السلام ... الى غيرها .

س : هل لهذه المشاهد فضل خاص ؟

ج : نعم ، حيث ثوى فيهـا انبيـاء الله واوصياؤه ، والذين لهم قرب وزلفى اليه .

س : اذكروا بعض ذلك الفضل ؟

ج : المشاهد في حكم المساجد ــ على ما تقدم ــ بالاضافة إلى استجابة الدعاء في حرم الحسين عليه السلام ، وبعض فضائل أُخَر فيه وفي سائر المشاهد المشرفـة .

س : وهل للحضور ، في هذه المشاهد ، أجر وثواب ؟

ج : نعم ، لقد حبّـذ الاسلام زيارة النبي وبنته والائمـة عليهم السلام ، وجعل لزيارتهم من الاجر والثواب ، قدراً كبيراً ، وخصّص أوقات خاصة لزيارتهم ، وجعل زيارتهم في تلك الاوقات أفضل من زيارتهم في غيرها ــ لمناسبات أوجبت الافضلية ــ .

ودنيا اليوم ، إن كان جعل لـ (الجندي المجهول) مزاراً ، تحفيزاً للناس في الدفاع عن الوطن ، وتقديراً للجنود الذين يُقتلون في ساحات القتال .. ففي الاسلام (قادة معلومون) إن اتبعهم النـاس فازوا بخير الدنيـــا ، وسعادة الآخرة .

ولذا نرى ان مشاهد الرسول والأئمة الطاهرين ، مشع الاسلام ، ومبعث

بمختلف أنواع السعادة ، يستنير الزائر بأنوارهم ، ويقتبس من آثارهم ، ويهتدي بهداهم ، ويتخذهم قدوة وأسوة ، فيفوز بألوان من السعاده والرفاه .

وبالأخص ، للرسول والائمة ، زيارات ، كلها دروس ومناهج ، مثلاً ، تقول في إحدى زيارات الامام امير المؤمنين عليه السلام : « العادل في الرعية والقاسم بالسوية » ، فتأخذ منه دستور العدالة ، ومنهج التساوي في إعطاء الحقوق .. وفي احدى زيارات الامام الحسين عليه السلام : « أشهد انك طهر ، طاهر ، مطهر ، من طهر طاهر مطهر ، طهرتَ وطهرتْ بك البلاد ، وطهرتْ ارض انت بها وطهر حرمك » ، فتأخذ منها درساً في لزوم (طهارة الانسان) قلباً وجسداً وسائر ما يتعلق به ، ولزوم تطهير الانسان للبلاد .. أفليس الزائر يقتدي بالامام الحسين عليه السلام ، الذي (طهرت به البلاد) ؟

س : وهل لمواسم الزيارة فوائد اخرى ؟

ج : نعم ، وهي الفوائد التي تقدمت في الحج ، لان مواسم زيارة الائمة الطاهرين يجتمع اليها الناس من كل حدب وصوب ، فتترتب عليها تلك الفوائد المترتبة على (الحج) حسبما ذكرناها سابقاً .

— ٤ —

س : ما المراد بـ (الدعاء) ؟ وما هي فائدة الدعاء ؟

ج : (الدعاء) عبارة عن الكلام الذي يوجهه الانسان الى بارئه تعالى ، يطلب فيه حاجة منه ، أو يظهر له شكاية ، او يقدسه سبحانه ، او يعدد نعمه وآلاءه ، أو يظهر رغبة او رهبة ، او ما أشبه ذلك .

وأما فائدة الدعاء ، فهي :

١ ـ صلة بين الانسان وخالق الكون .

٢ ـ تقوية للروح ، حيث إذا علم الانسان انه مربوط بـ (قوي) قويت روحه ، وقوة الروح مبعث الشجاعة والاقدام .

٣ ـ اطمئنان القلب والسكينة ، والاطمئنان منشأ السعادة .

٤ ـ تركيز للفضائل في النفس ، وتنفير عن الرذائل ، بسبب الايحاء الذي يحصل من الدعاء .

٥ ـ تعرّف الى الخير والشر ، اللذَين اشتمل عليهما الدعاء .

٦ ـ بالاضافة إلى أن الله سبحانه ، يجيب الدعاء ، كما قال : [وقال ربكم ادعوني أستجب لكم] ، وفي ذلك نيل حوائج الدنيا والآخرة .

وبالجملة ، فـ (الدعاء) الاسلامي (مدرسة) سيارة ، لا يوجد مثلها في مبدأ او دين، وهي تنفع الانسان منذ شعوره الى آخر ساعة من أيام حياته .

س : مثلوا للدعاء ؟

ج : نذكر نتفاً من ادعية الامام السجاد عليه السلام ، في دعائه المعروف بـ (مكارم الاخلاق) :

« اللهم أوسع عليّ في رزقك ، ولا تفتني بالنظر ، واعزّني ولا تبتليني بالكبر ، وعبدني لك ولا تفسر عبادتي بالعجب ، وأجر للناس على يديّ الخير ، ولا تمحقه بالمنّ ، وهب لي معالي الاخلاق ، واعصمني من الفخر » .

« اللهم صل على محمد وآل محمد ، وسددني لان أعارض من غشني واجزي من هجرني بالبر ، وأثيب من حرمني بالبذل ، وأكافي من قطعني بالصلة ، وأخالف من اغتابني الى حسن الذكر ، وان أشكر الحسنة ، واغضي عن السيئة » .

« اللهم صل على محمد وآل محمد ، ولا اظلمن وانت مطيق للدفع عني ، ولا اظلمن وأنت القادر على القبض مني ، ولا اضلن وقد امكنتك هدايتي ، ولا افتقرن ومن عندك وسعي ، ولا اطغين ومن عندك وجدي »

الى غيرها ..

ومن طالع بدقة ، ادعية الرسول ﷺ ، أو ادعية سائر الأئمة ، المجموعة قسم منها في كتاب (القرآن والدعاء) من البحار ، وفي كتاب مفاتيح الجنان ، وفي الصحيفة السجادية لعلم ان الادعية من اكبر الكنوز التي تصلح لإسعاد الانسان في دنياه وآخرته .

- ٥ -

س : ما المراد بالجماعة ؟

ج : المراد بها (صلاة الجماعة) ، فإن الاسلام حبذ ان يصلي الانسان صلواته اليومية ، في (الجماعة) ، بأن يقتدي المسلمون في صلواتهم بـ .. (امام) عادل .. أي مستقيم في الدين .

ومنذ أيام الرسول ﷺ المشرّع لصلاة الجماعة — الى هذا اليوم تنعقد صلوة الجماعة ، في طول البلاد الاسلامية وعرضها ، فيجتمع المسلمون في (الصباح) لاداء صلاة الصبح ، وفي (الظهر) لاداء صلاة الظهر والعصر ، وفي (المغرب) لاداء صلاة المغرب والعشاء ، في أماكن مخصوصة — غالباً — كالمشاهد المشرفة ، والمساجد ، ويقتدون بأحدهم ، ممن عرفوه بالسير المستقيم والصلاح ، ويؤدون فريضتهم معه ، قياماً وقعوداً ، وركوعاً وسجوداً .

س : وما هي فائدة الجماعة ؟

ج : فوائد الجماعة كثيرة ، نذكر منها :

١ — توحيد المسلمين عملاً ، كل يوم ، فيقف الرئيس الى جانب المرؤوس ، والابيض إلى جانب الاسود ، والغني إلى جانب الفقير ، وهكذا .. أمام رب واحد ، لا ميزة لاحد على أحد ، وحينذاك ، يشعر الجميع بشعور واحد وتذوب من قلوبهم الفوارق والميزات ، وذلك مبعث كل خير .

٣ ـ التعاون الذي يحصل بينهم عند اجتماعهم ، إذ يتعرّف كل فرد منهم على الآخر ، ويقوم كل واحد بحوائج صديقه ، ويتفقد أحدهم الآخر ، عند الغيبة ، والشدة والحاجة .

٣ ـ ترسيخ النظام ، في نفوس المصلين ، لان الجماعـــة من أفضل أقسام النظام ، وإذا صار النظام ملكة في الانسان أصبح نظامياً ، في جميع حركاته وسكناته .

٤ ـ الاستفـــادة من الوعظ والإرشاد ، الـــذي يلقى على أهـــل الجماعة ، قبل الصلاة أو بعدها ـ غالباً ـ واطلاع أهل الجماعة ، على الحوادث التي تنتاب المسلمين في مشارق الارض ومغاربها، ليشاركونهم في الاسى قلباً ، وعملاً ...

وما تزال هذه الحالة مستمرة الى اليوم ، ولذا نرى وعي اهل الجماعات.. كثيراً ، كما نرى أن من جراء الوعظ والارشاد الذي يلقى على اهل الجماعة ، يكون أهل الجماعة اكثر من غيرهم نزاهة وطهارة ـ في مختلف ميـــادين الحيـــاة .

- ٦ -

س : ما معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

ج : ان الاسلام أمر بكل خير ، امر ايجاب او امر ندب ، وسمى الخير (معروفاً) ونهى عن كل شر ، نهي تحريم ، أو نهي تنزيه ، وسمى (منكراً) . ومن المعلوم ان بعض الناس ، يترك (المعروف) جهلاً أو لعدم المبالاة كما ان بعضهم يأتي بـ (المنكر) جهلاً او لعدم المبالاة .

ولذا أمر الاسلام المسلمين ، بأن يأمروا بالمعروف ، وينهوا عن المنكر .. وفي ذلك تقويم لمعوج الاجتماع ، وارشاد للناس نحو الصالح ، وانقاذ لهم من المفاسد والجرائم .

ففي القرآن الحكيم .. [كنتم خير أمـــة اخرجت للنـاس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ..]

وقد مثل رسول الله ﷺ الأمر والنهي بشخص يثقب السفينة الجارية على وجـــه الماء ، فإن أخذ الركاب بيده ، نجى ونجوا ، وان تركوه حتى ثقب السفينة ، هلك وهلكوا .

وقال الامام امير المؤمنين عليه السلام : « لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ، وإلا ليسلطنّ عليكم اشراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .

- ٧ -

س : ما هو الاعتكاف :

ج : الاعتكاف هو اللبث في المسجـد ، ثلاثـة أيام ، أو اكثر ، يصوم في النهار ، ويترك كثيراً من الامور المنافية للتقرب إلى الله سبحانـه .. ولا يخرج من المسجد إلا للحوائج الضرورية .

س : وما فائدة الاعتكاف ؟

ج : فائدته السمو بالروح ، والانقطاع عن العلائق الجسدية المكدرة لصفاء الفكر ، فهو فترة استجمام واستراحة لتنظيف البدن ، وتطهير النفس .

وقد نرى ان الناس — في الحال الحاضر — ينقطعون عن اعمالهم — حتى رؤساء الحكومات الكبار ، فترة الاستجمام ، فيذهبون إلى منزل في الريف ، أو شاطىء بحر ، أو ما أشبه ، ليستعيدوا نشاطهم ، ويفكروا في امورهم ، خارجاً عن ضوضاء الاجتماع .

والاعتكاف افضل من ذلك :

اولاً ـ بالصيام ، الذي قد عرفت فيما سبق بعض فوائده .

وثانياً ـ بالتوجه إلى الله سبحانه ، الذي هـو مصدر كل خـير ، وملهم كل طمأنينة وسكينة .

وثالثاً ـ بأنه في المسجد الذي هو محل الطاعة والعبادة والصدق والصفـاء والتجرد عن الاوضار والآثام .. وقد ثبت في العلم : ان المكان ممـا يؤثر في النفس ، ويلهم بالطهـارة أو الجريـة ـ حسب اختلاف الامكنة ـ .

- ٨ -

س : ما المراد بالدعوة الى الخير ؟

ج : لقد سمى الاسلام كل عمل حسن (خيراً) وأمر النـاس بالدعوة إلى الخير ، فقال الله سبحانه ، [ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير] كا امر بعمل الخير .. بل فوق ذلك جعل الاسلام ثواب من أرشد إلى الخير ، كثواب من عمل الخير ، ففي الحديث ، « الدال على الخـير كفاعله » .

والخير ينقسم إلى قسمين :

١ ـ الخير الذي نص عليه الاسلام ، مثل (الصلاة) و (اسعاف المحتاج) و (اطعام الجائع) وما أشبه .

٢ ـ الخيـر الذي يشمله هـذا العموم ، وان لم يكن له نص في الاسلام بالخصوص ، كبناء المدارس ، والمستشفيات ، وتكوين الجمعيات الخيرية لغرض الاكساء ، والاطعام ، والتزويج ، وما اشبه .

وعلى هذا ، فالمسلم ـ في نظر الاسلام ـ هو الذي يعمل الخير ، ويأمر بالخير .. حتى ورد في الحـديث عن الرسول ﷺ (تنحيـة الاذى عن

الطريق صدقة) ، ولو أخذ اهل العالم بالمنهاج الاسلامي ، في العمل بالخير والدعوة إلى .. الخير لم يبق محتاج واحد ، ولانقلبت الدنيـا جنة نعيم ، وعم الخير والرخاء والالفة من اقصى الأرض إلى اقصاها .

- ٩ -

س : ما معنى (الذكريات) ؟

ج : لقد جعل الاسلام الاحتفال والاجتماع في ذكريات الرسول والأئمة .. الطاهرين ـ سواء ذكريات الافراح كالمواليـد ، وذكريات الاحزان ، كالوفيات ـ أمراً مندوباً اليه ، مرغوباً فيه .. وذكر لجملة منها مقداراً كبيراً من الاجر والثواب .

وقد ورد في الحديث « شيعتنـــا منا .. يفرحون لفرحنا ، ويحزنون لحزننـــا » .

س : ما هي فائدة الذكريات ؟

ج : للذكريات فوائد كثيرة ، نذكر جملة منها :

١ ـ التشجيع ، فإن الناس لو رأوا اكرام أهل الخير والاصلاح ، جاشت نفوسهم إلى الخير ، ليكونوا مورد اعزاز الناس وإكرامهم .. وبقدر كونه تشجيعاً للخير والصلاح يكون تنفيراً عن الشر والفساد .

٢ ـ الاسوة ، فإن الانسان إذا عظم في نفسه شخص اتخذه أسوة ، وصبغ حياته بمثل صبغته ، فإن النفس مجبولة على السمو والارتفاع الى مصاف الذين هم في قمة الانسانية ، وفي مستوى رفيع من المجد والفضل .

٣ ـ التقدير ، للذين اهتموا بصلاح المجتمع ، فإن من حق المصلح أن يقدره الناس حياً وميتاً .

٤ ــ بالاضافة إلى أن الذكريات غالباً ، تكون في الاجتماعات والندوات، وفي ذلك الفوائد الاجتماعية التي سبق جملة منها في (الحج) و (صلاة الجماعة).. كما أن الغالب مزج الذكريات بالارشاد والاصلاح مما يوجب الفائدة المزدوجة : فائدة الذكرى بذاتها ، وفائدة الارشاد الملقى في أثناء الذكرى .

٥ ــ وإذا اشتملت الذكرى على المظاهر : كالزينة وما اليها في الافراح ، والتسويد وما اليه في الأحزان .. كان الاثر المطلوب اكثر ، لأن العين تشارك الاذن ــ حينذاك ــ في الاستفهام والاستيحـــاء ، فيكون التركيز أكثر ، والاستجابة إلى الخير والابتعاد عن الشر أقوى .

س : مثلوا للذكريات ؟

ج الذكريات امثال :

١ ــ عيد ميلاد الرسول ، وفاطمة الزهراء ، والأئمـة الاثنى عشر عليهم الصلوة والسلام .

٢ ــ عيد المبعث النبوي .. الذي بعث فيه الرسول صلى الله عليه وآله إلى البشر في يوم : ٢٧ رجب .

٣ ــ عيد الغدير .. الذي نصب الرسول صلى الله عليه وآله علياً خليفة على المسلمين ، في غدير خم ، يوم : ١٨ ذي الحجة .

٤ ــ وفاة الرسول ، وفاطمة الزهراء ، والاحدى عشر من الأئمـــة الاثني عشر عليهم السلام .

٥ ــ ومن الأعيـــاد الاسلامية (عيد الفطر) أول شوال .. و (عيد الاضحى) العاشر ذي الحجة .

٦ ــ كما أن من الذكريات الاليمة يوم أربعين الامـــام الحسين عليه السلام : ٢٠/ صفر .

س : ما معنى التولي والتبري !

ج : الانسان إذا أحب شخصاً ، اقترب إليه ، واذا اقترب الى شخص ، اقتدى به في أعماله واقواله.. وإذا كره شخصاً ابتعد عنه، وإذا ابتعد عن شخص خالفه في اعماله وأفعـــاله .. والحب والاقتداء يسمى بـ (التولي) والكره والابتعاد يسمى بـ (التبري) .

س : لمن ينبغي (التولي) ؟ ولمن ينبغي (التبري) ؟

ج : ينبغي التولي (لله) و (رسله) و (الأئمـــة) و (الصالحين) .. كما ينبغي التبري من اعداء الله ، واعداء رسلـــه ، واعـــداء الأئمة ، واعداء الصـــالحين) . وذلك لأن الانسان الذي تولى الله والصلحاء ، اقترب اليهم قلباً وقالباً ، واطاعهم واقتدى بهم ، وفي ذلك صلاح الدنيا والآخرة .. وكذلك إذا تبرىء الانسان من اعداء هؤلاء ، ابتعد عنهم وفارقهم وباينهم في اعمــاله واموره ، فلا يشقى كما شقي اولئك الاعداء .

هذا ...

بالاضافة إلى ان الانسان لا بد وأن يشبــع غرائزه النفسية ، التي منها .. (الحب والكره) وهناك ثلاث فئات :

١ ـ الله والصالحون من عباده .

٢ ـ اعداء الله واعداء الصالحين .

٣ ـ الذين ليسوا لله ، ولا لأعداء الله ـ كالجهّال القاصرين وأهل الأرياف والمنقطعات من الصحاري ـ فإذا أراد الانسان إشباع غريزة الحب ، كان اللازم أن يشبعه بمن هو جميل وحبه نافع .. واذا أراد اشباع غريزة الكره ، كان اللازم أن يشبعه بمن هو قبيـح وحبه ضار .

ولذا كان (التولي) و (التبري) كما ذكر (اولاً) صرف لهذه الغريزة التي لا بد من صرفها ، و (ثانياً) ينتفع الانسان بذلك في دنياه وآخرته .

س : وهل للغريزة اشباع ؟

ج : ان الغرائز كلها — من حب ، وكره ، وحزن ، وفرح ، وشجاعة ، وغيرها .. مثلها مثل البطن ، لا بد لها أن تشبع .. وقد بيّن الاسلام (الصالح) من الغذاء لهذه الغرائز ، حتى يكون الانسان على علم بما يسعده وما يشقيه فيتبع النافع ، ويترك الضار .

الفصل الثامن

الحريات الاسلامية

س : هل في الاسلام حرية ؟

ج : من أوسع الحريات التي جاءت بها الاديان أو القوانين، الحريات الموجودة في الاسلام ، فإن الاسلام دين الحرية – بجميع معنى الكلمة – .

س : وهل لذلك دليل من (الكتاب) و(السنة) ؟

ج : نعم أما من القرآن الحكيم ، فإنه وصف نبي الاسلام بقوله : [يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم] فالاصر والاغلال الاجتماعية التي كانت في اعناق الناس ، مما كبتت حرياتهم ، وضعها النبي عن الناس ، فاطلقهم ، وحررهم بعد ان استعبدتهم القيود والجهالات .

وأما من السنة المطهرة ، فالقاعدة المشهورة من كتب الفقه ، المأخوذة من الكتاب والسنة ، وهي (الناس مسلطون على انفسهم وامـوالهم) ، فإن كل انسان له أن يتصرف في نفسه ، وفي ماله ، بما يشاء، شريطة أن لا يكون ذلك التصرف محرماً في الشريعة الاسلامية .

س : مثلوا للتصرف المحرم في الشريعة الاسلامية ؟

ج : التصرف المحرم في النفس ، أن يقتل الانسان نفسه ، أي (ينتحر) ، أو يقطع عضواً من أعضائه ، كأن يقطع يده بنفسه ، أو يعطل قوة من قواه ، كأن يعمي عينه ، أو يصم أذنه ، أو ما يشبه ... أما التصرف المحرم في المال ، مثل أن يتلف الانسان ماله بالقائه في البحر ، أو إحراق اوراقه النقدية ، أو ما أشبه ذلك ، أو يشتري بماله الشيء المحرم (كالخمر) أو يعطيه اجرة (الزنا) أو يقامر بماله ، أو ما شابه ذلك . وحيث ان المحرمات في الشريعة قليلة ، بل اقل من القليل ... وكل محرم انما هو لمصلحة فردية أو اجتماعية ... تكون انواع التصرف في المال والنفس ، كثيرة جداً ... بما لا مثيل لها في شريعة أو قانون إطلاقاً .

س : ما هي انواع الحريات الاسلامية ؟

ج : اقسام الحريات في الاسلام ليست قابلة للعد والحصر لكثرتها ، وإنما نذكر هنا عشرة انواع ، هي الجامعة لأكثر اقسام الحريات ، وهي :

١ ـ حرية التجارة ، فلكل احد ان يتجر بما يشاء من انواع الاجناس – غير المحرم ، كالخمر والخنزير – وفي اي وقت شاء ... وان يصدّر الى اي مكان شاء ... وان يستورد من اي مكان شاء ، بدون جمارك ... ولا حدود ... ولا قيود ... :

٢ ـ حرية الزراعة ، فلكل انسان ان يزرع بكل حرية ، وبدون قيد أو ضريبة ، ما شاء في اي مقدار من الأرض مساحة ، فإن الأرض لله ولمن عمرها – كما في الحديث – .

٣ ـ حرية الصناعة ، فلكل احد ان يُنشيء المعامل ، او يستورد المعامل ، او يصدّر المعامل ، اي معمل كان ، وان يصنع المصنوعات بدون أية ضريبة او شرط او قيد .

٤ ــ حرية حيازة المباحات ، فالأرض ، والماء ، والهواء ، كلها لله ، فالثروات المودعة فيها مباحة لكل احد إستخرجها ، سواء اسماك البحر والماء ، او معادن الأرض ، وكنوزها ، او اخشاب الغابات ، او ذرات الفضاء او غيرها من سائر الثروات المودعة في الكون .

٥ ــ حرية العمران ، فلكل احد ان يعمّر الأرض ، بالبناء او شتى الأنهر ، او حفر الآبار ، او غيرها من سائر انواع الانتفاع ، للقاعدة المتقدمة : الأرض لله ولمن عمرها .

٦ ــ حرية السفر ، فلكل احد ان يسافر الى اي موضع شاء بدون إجازة او إذن او دفع رسوم ، وليس لأحد ان يمنع احداً عن السفر الى اي اتجاه شاء ... كما للانسان ان يبقى في السفر اية مدة شاء ، فلا تحديد ، في مدة السفر ، وذلك لأن الاسلام لا يعترف بالحدود للاقطار ، وإنما الارض لله ، يسير فيها الانسان كيف شاء... بل فوق ذلك جعل الاسلام رصيداً خاصاً لابناء السبيل ، اذا انقطعوا بسبب نفاد نفقتهم. او ضياعها بسرقة او ما اشبه ... كل ذلك تشجيعاً للسفر .

٧ ــ حرية الاقامة ، فلكل انسان ان يقيم في اي مكان شاء ، بدون أي قيد وشرط فالجواز والجنسية ، والهوية ، وما اشبه ... لا اثر لها في الاسلام إطلاقاً ... فكل أحد حرية لا يقيده فيه أبداً .

٨ ــ حرية الكلام ، فلكل احد ان يتكلم ويخطب ويذيع ما يشاء ، بدون اي قيد وشرط ، نعم يشترط ان لا يكون كلامه محرماً ، كالسباب ، والغيبة ، ... والنميمة وما أشبه .

٩ ــ حرية التأليف والطبع ، فلكل احد ان يؤلف ما يشاء ، ويطبع ما يريد ، وينشره ، بشرط أن لا يكون محرماً ــ كما تقدم في حرية الكلام ــ .

١٠ ــ حرية الجمع بين انواع من العمل ، فليس يحظر عمل يزيده الانسان،

اذا هو يعمل عملاً من نوع آخر، كما هو الشأن في الدنيا الحاضرة، حيث يحرم القانون الجمع بين عملين ، كالوظيفة والتجارة – مثلاً – أو ما أشبه ذلك .

س : وهل كان للمسلمين هذه الحريات ، قبل سقوط الدولة الاسلامية ؟

ج : نعم كان المسلمون ، وغير المسلمين الذين كانوا ينعمون بظلال المسلمين ، يغترفون من هذه الحريات ، طيلة عمر الاسلام ، إلا في فترات شاذة استثنائية حيث كبتت بعض هذه الحريات ، لا قانوناً ولا رسماً ، وإنما استبداداً ، أو ما اشبه ... اما كون الكبت والتقييد للحريات قانوناً تقرره الحكومات ، وتضع على الانطلاق والحرية اتاوات ، وتعدها جرائم ، فلم يوجد إلا بعد ان سقطت دولة الاسلام ، واستبد الغرب بقيادة العالم، فجاء بألف قيد وقيد ، وزاول الف كبت وكبت ومن العجيب أن الغرب بعد ذلك كله يدعي بأنه محرر البشر ، ومطلق الناس من الاغلال ؟ (!!) .

الفصل التاسع

الاقتصاد الاسلامي

س : هل كان للاسلام اقتصاد ؟

ج : الاقتصاد الصحيح الحر ، إنما هو في الاسلام وحـده ، اما الاقتصاد السائد في دنيا اليوم ، فليس باقتصاد صحيح ، لما فيه من :

١ – انحراف في الاقتصاد ، برفع كفة الى السماء من أصحاب الملايين ، ووضع كفة الى ما تحت الأرض من الفقراء الذين يموتون جوعاً وعرياً كل يوم ، بالآلاف .

٢ ــ وكبت للاقتصاد ، بالغاء الملكيات الفردية ، فالأفراد يعيشون في أفقر حالة .

س : كيف كان الاقصاد الاسلامي ؟

ج : بيان الاقتصاد في الاسلام يحتاج الى مجلدات ضخمة [1] لكنا نوجزه في

---

(١) راجع كتاب الوعي الاسلامي :الاقتصاد : ج ١ - ٢ .

الخطوط الاساسية العامة التي وضعها الاسلام ، لنفي الفقرو الحاجة عن المجتمع ، وترفيع مستوى المعيشة والخطوط الاساسية هي :

الاولى : توسيع الحريات ، في جميع المجالات ، فإن الناس حيث كانوا يتمتعون بحرية واسعة في ظل الحكم الاسلامي ـ كما عرفت في الالماع الى ذلك في فصل سابق ـ كانوا يعملون بكل حد وإخلاص ، والطريق امامهم مفتوح ، ولهذا كانوا ، يثرون ، وقلما يوجد انسان محتاجاً ... إذ من المعلوم أن المناهج الاصلية للثروة كانت مباحة بجميع أقسامها ، ولم يكن عليها ضرائب واتاوات ، كما لم تحتاج الى قيود وشروط ، فكان كل انسان... يشتغل ويعمل ، وعمله كان يدر عليه الرزق ويفيض عنه . . أما في ظل القوانين .

١ ـ فمنابع الثروة محصورة ، لا يحق لأحد الانتفاع بها .

٢ ـ وما يجوز الانتفاع بها عليها ضرائب ورسوم .

٣ ـ ثم الانتفاع لا يكون إلا بقيود وشروط .

ولذا قلما يتمكن الانسان من الانتفاع بالمنابع الاصلية ، وفي صورة التمكن ، تأخذ منه الشروط والضرائب كل مأخذ ، ولو قلنا ان هذه القيود اخفضت مستوى الثروة من المائة الى العشرين، لم نكن مبالغين.

ونمثل لذلك بالعراق ، فقد كانت في زمن الاسلام عامرة بالزراعة والعمارة ، وفي ظل غير الاسلام، لا نجد إلا الجزء القليل منها عامرة، أما الباقي فخراب ويباب، وبينما كان يعيش من خيراتها أربعون مليون، تحت ظل الاسلام ، لا يصل نفوسها اليوم ، الى ثمانية ملايين .

الثانية : بساطة جهـــاز الحكومة في الدولة الاسلامية ، وكم ترى من البساطة ، في هذا المثال : حينما فتحت العراق ، جاء اليها من المدينة، للحكومة ثلاثة أشخاص فقط والسر أن الجهاز الحكومي موضوع للعدل

بين الناس أولاً ، وحفظ البلاد من الاعداء ثانياً ، وترفيع المستويات في جميع الجهات ثالثاً ... وحيث ان الحكومة الاسلامية :

١ ـ شعبية الى أبعد حدّ .

٢ ـ لا تعترف بالقيود التي تسبب تكثير الاجهزة .

٣ ـ ليست (روتينية) وإنما سريعة في حل القضايا .

٤ ـ تعمم الثقة بين الناس ، بوضع مناهج الايمان والضمير .

لذا لا تحتاج لأجهزة كثيرة ، فموظفوا الدولة في غاية القلة ، ولذا فالمال متوفر الى أبعد حد ، وهـذا مما يسبب بدوره ترفيع المستوى الاقتصادي من ناحيتين :

الاولى : ان الموظف غالباً ، لا يعمل لنفسه ، وإنما يكون كلاً على عمل الآخرين ، فإذا قل الموظفون توفر المال الذي يلزم صرفه فيهم ، فيتوفر المال عند الدولة ، فتقوم بسائر الامور الحيوية .

الثانية : ان الذين لا يوظفون يعملون لأنفسهم ، ويكونون أجهزة الانتاج ، بينما اذا كانوا موظفين ، أصبحوا أجهزة الاستهلاك ، ولنأخذ مثـلاً : اذا كان في بيت عشرة أشخاص ، كل شخص يكتسب كل يوم دينار ، فإذا وظفنا من هؤلاء خمسة ـ مثلاً ـ كان الدخل خمسة دنانير لعشرة أشخاص بينما اذا كان الموظف منهم واحداً ، كان الدخل تسعة دنانير ، لعشرة أشخاص .

الثالثة : بيت المال « وكان يجمع المال فيه» من الأخماس والزكوات، والجزية ، والخراج ، وقد تقدم معنى (الخمس والزكوة والجزية) ، وأما (الخراج) فهو حاصل أراضي الدولة التي لها بالحيازة، أو المسلمين بالمحاربة أو ما أشبه .

ووظيفة بيت المال أمران :

الأول : سد حاجات الناس ، إطلاقاً .

الثاني : القيام بمصالح الناس ـ بمختلف أقسام المصالح ـ .

فبيت المال ـ مثلاً ـ : يعطي المال للفقير ليغنى ، ولإبن السبيل ليرجع الى بلده ، وللعزب ليتزوج ، وللمريض الذي لا يتمكن من نفقة مرضه ، حتى يشفى ، وللشخص الذي ليس له رأس مال وهو يريد الكسب ، ليكتسب ، والذي ليس له دار وهو بحاجة اليها ، ليبني داراً ، ولمن يريد طلب العلم ولا يتمكن من النفقة ، لينفق في سبيل العلم ... الى غيرها وغيرها ، من سائر الحوائج ، وبالجملة فكل محتاج يراجع بيت المال ، على بيت المال تموينه ، على سبيل الوجوب والحق عليه ، لا على سبيل التبرع والاحسان .

هذا من ناحية ...

ومن ناحية أخرى : على بيت المال القيام بجميع مصالح المسلمين من تعبيد الشوارع وإنارتها ، وبناء المصحات ، وفتح المدارس ، وبناء المساجد ... وغيرها وغيرها ، فلا يبقى معوز محتاج ، ولا مصلحة غير مكفية .

وبهذه الخطوط الثلاثة التي ألمعنا اليها : (توسيع الحريات ، بساطة جهاز الحكومة ، بيت المال) تمكن الاسلام من ترفيع مستوى الناس (اقتصادياً) ، ولذا كان الاقتصاد الاسلامي من أفضل أنواع الاقتصاد ... لا كالاقتصاد الرأسمالي الذي فيه إختلال الثروة ، ولا كالاقتصاد الشيوعي الذي لا يقوم بأوليات حاجات الشعب .

الفصل العاشر

السلام في الاسلام

س : هل الاسلام دين السلام أو دين الحرب ؟

ج : الاسلام دين السلام لا دين الحرب ، ويدل على ذلك قوله سبحـــانه : [يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة] ، وقوله تعـــالى : [وان جنحوا للسلم ، فاجنح لها] .

س : فهل يقول الاسلام بالخضوع أمام الظالم والمعتدي ؟

ج : كلا فإن الاسلام دين العقل والعدل، ولذا لا يجوز الخضوع والاستسلام ، ولذا يقول : [فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم] ويقول : [أُذن للذين يقـــاتلون بأنهم ظُلموا ، وان الله على نصرهم لقدير] ، ويقول : [وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به] .

س : إذا كان الاسلام دين السلام ، فكيف جوز الاسلام محاربـة الكفار ، ولماذا قام نبي الاسلام بمحاربتهم ؟

ج : إتسمت حروب الرسول ﷺ كلهـــا بأنها كانت دفاعية [1] ولم تكن

---

(١) راجع كتاب : (الرسول في المدينة) المؤلف .

حروباً اعتدائية ولم تكن لحب السيطرة ، وتملك البلاد ، واستعمارها .

س : هل تجوز الاسلام الحرب الابتدائية ؟

ج : نعم يجوز لأمرين :

الأول : في سبيل الله ، لإنقاذ الناس من القذارات العقيدية والخلقية ، والاجتماعية وما أشبه .

الثاني : في سبيل المستضعفين ، لانقاذ الامم التي تكون تحت الكبت والظلم ، من أيدي الظالمين والمستعبدين .

وقد ذكر القرآن الحكيم ذلك بقوله : [ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله .. والمستضعفين] ؟

س : ما هو ملخص الفروق بين الحروب الاسلامية ، وبين الحروب غير الاسلامية ؟

ج : ملخص الفروق هي :

١ ـ أن الاسلام إنما يحارب لأجل الانقاذ :

أ ـ إنقاذ البشر من خرافة العقيدة ، وقذارة الأعمال ، والنجات للمستضعفين من المستغلين .

ب ـ الدفاع للمهاجمين ، سواء كانوا من الخارج ، أو ثورة ضد الاسلام من الداخل .

٢ ـ وان الاسلام إذا حارب يراعي النظافة في المحاربة الى أبعد حدّ :

أ ـ بعدم التعرض ، للنساء ، والأطفال ، والذين لا شأن لهم في الحرب ، والنساك وما أشبه .

ب ـ وعدم قطع الماء ، وإلقاء السم ، وقطع الأشجار ، وما أشبه .

ج ـ التقليل من القتال حسب الامكان .

د ـ العفو العام بعد السيطرة ، كما فعل الرسول ﷺ بأهل مكة ، وعلي عليه السلام بأهل البصرة .

٣ ـ المعاشرة الحسنة بعد السيطرة .

أ ــ بتعميم العدالة الى ابعد حد .

ب ــ عدم استثمار البلاد ، وانما يجعل منافع البلاد لأهلها .

ج ــ عدم الاستبداد بسلطة البلاد ، بل يجعل الصالح من أهل البلاد حاكماً عليهم اذا توفرت فيه الشروط .

د ــ اعطاء الحريات الكاملة للناس ، والتساوي الكامل ، كما عرفت شطراً من ذلك فيما سبق .

أما حروب غير الاسلام.. فليست لأجل الانقاذ ، وإنما لأجل السيطرة.. وهي ملوثة قذرة .. ويمعن الفاتحون بعد السيطرة في القتل والاستثمار والاستبداد . وما ذكرناه في جانبي الحروب الاسلامية ، والحروب غير الاسلامية ، ليس ادعاءاً وإنما ينطق بذلك التاريخ .. وما خالف ذلك في الحروب الاسلامية ، فهو شاذ خارج عن منهاج الاسلام .. كما انه لو اتفقت النظافة في الحروب غير الاسلامية ، فهو شاذ بل أقل من الشاذ .

الفصل الحادي عشر

السياسة في الاسلام

س : هل في الاسلام سياسة ؟

ج : نعم، فإن الاسلام ــ كما سبق ــ دين ودنيا، فهو لم يترك شيئاً مما يحتاج اليه الناس إلا بيّنه ، وأوضح منهاجه .

س : ما هي كيفية السياسة الاسلامية ؟

ج : تفصيل كيفية الحكم الاسلامي يحتاج الى مجلد ضخم، ولكنا نوجز ذلك في الخطوط الأصيلة العريضة وهي :

١ ــ من هو الحاكم الأعلى ؟

٢ ــ كيفية الحكم في الاسلام ؟

٣ ــ كيفية النظام ؟

س : من هو الحاكم الأعلى ؟

ج : الحاكم الأعلى هو الذي يشتمل على الشروط التالية :

١ ــ البلوغ والعقل ، والحرية ، والذكورة ، وكونه ولد الحلال ، والايمان.

٢ ـ الفقاهة لأمور الدنيا والدين .

٣ ـ العدالة التامة .

وجماعة من الفقهاء شرطوا : كونه أعلم ممن سواه .

س : ما هي كيفية الحكم في الاسلام ؟

ج : الحكم في الاسلام : حكم ديني ودنيوي ـ معاً ـ ومعنى ذلك أن الحاكم الاسـلامي إنما يحكم (باسم الله) ، لا (بإسم نفسه) و(لا بإسم الشعب) ولا (بإسم طبقات الاشراف)، وفائدة هذا القسم من الحكم:

١ ـ سد فراغ الجهة الروحية في الناس ، فلا تتوزع السلطة بين (السلطة الدينية و(السلطة الزمنية) ، وإنما هي سلطة واحدة تمثل الدنيا والدين معاً .

٢ ـ عدم تمكن الحاكم من الانحراف ـ وإلا افتضح فوراً ـ لأن الدين له قوانين خاصة ، لا تتغير ، ولا تتبدل ، ولا تتعدل .

٣ ـ تقوية العلاقة بين الناس وبين الحكومة ، مما يسبب التعاون التام ، إذ ان الناس جبلوا على (التدين) حتى من يعلن أنه ليس بمتدين ، يقصد أنه ليس بمتدين بالله لا أنه ليس بمتدين مطلقاً ، فإن الدين معناه (الطريقة) التي يتخذها الانسان طريقة لنفسه في الحياة ... فإذا اجتمع الدين والدنيا في جهة ، كانت علاقة الناس بها كثيرة .

٤ ـ ويتبع الامور السابقة ... امتداد الحكومة وطول عمرها ، لأن السلطة الروحية أكثر دواماً ، وأطول عمراً ، من السلطة الزمنية .

س : ما هي كيفية النظام في الاسلام ؟

ج : الجواب على هذا السؤال يحتاج الى تفصيل في مختلف مرافق الحكم الاسلامي ، لكنا نكتفي ببعض الخطوط العريضة المقومة للحكم في

نظر الاسلام وهي :

١ ـ القضاء في الاسلام .

٢ ـ الجيش في الاسلام .

٣ ـ المال في الاسلام .

٤ ـ الحريات في الاسلام .

٥ ـ الحل للمشاكل في الاسلام .

٦ ـ التقديم بالأمة في الاسلام .

وهذه الأمور الستة ثلاثة منها ـ وهي الثلاثة الأولى ـ من المقومات الاساسية لكل أمة ... فإن القضاء للعدالة الداخلية ... والجيش لدفع الأعداء وما أشبه ... والمال لتأمين القضاء والجيش وسائر المصالح .

وثلاثة منها ـ وهي الثلاثة الاخر ـ لرفاه الامة والتقديم بها الى الامام .

س : كيف القضاء في الاسلام ؟

ج : القضاء في الاسلام (بسيط) و(سريع) و(مجان) فحاكم واحد يحل قضايا مدينة كبيرة ، بأبسط الاشكال ، وبمجرد المراجعة اليه ، بدون أخذ رسوم وما أشبه ، فيسئل المدعي ، هل له دليل ، فإن كان له ، فالحكم وفق دعواه... وإن لم يكن له دليل ، فالحكم للمنكر ، واذا صدر الحكم انتهى كل شيء . ولذا نرى أن (الكوفة) المدينة الكبيرة جداً ، كان يحكمها قاض واحد ما يقارب نصف قرن .

س : كيف الجيش في الاسلام ؟

ج : الجيش في الاسلام ـ كما يستفاد من مختلف الأدلة ـ للجميع، واختياري، وبدون كلفة زائدة، فالحاكم يعين ساحات خارج المدن، ويهيء الوسائل

ويحبذ الى الناس التدريب ... ومن المعلوم ان الناس يرغبون في مثل هذا التدريب فيعم من ناحية ، ولا يكلف النـــاس بالجندية إلا بعض الوقت من كل يوم اما سائر اوقاتهم فإنهم يصرفونها في شؤونهم من ناحية ثانية ، ولا ترهق نفقات الجيش الثقيلة كاهل الحكومة إلا بمقدار تهيئة الوسائل الأولية فقط ، من ناحية ثالثة ، ويمكن ان نمثل الجيش في الاسلام ، بالفريق الرياضي حتى في الحال الحاضر .

س : كيف المال في الاسلام ؟

ج : تقدم أن الضريبة في الاسلام منحصرة في (الخمس، والزكاة ، والجزية، والخراج) والاسلام يسيّر أجهزته من هذا المال، الوارد الى بيت المال ... وحيث ان أجهزة الدولة في الاسلام بسيطة الى أبعد حد، لا تحتاج الدولة الاسلامية الى المال مثلما تحتاج اليه الدول المعاصرة ، ولذا يسعد الناس في ظل الاسلام بقلة الضرائب ، وتسعد الدولة بخفة الكاهل .

س : ما معنى الحريات في الاسلام ؟

ج : حيث ان اجهزة الاسلام بسيطة الى أبعد حـد ، تتوفر الحريات للناس الى أبعد حد ... فالزراعة ، والتجارة والصناعة ، والسفر ، والعمارة، والإقامة ، وحيازة المباحات ، وما أشبه كلها مطلقة ، لا حـدود لها ولا قيـــود ، ولا رسوم ولا ضرائب ... وكذلك لا أعمال إجبارية كالجندية ... والحـاجات كلها تُقضى بأبسط صورة ، فالقضاء بسيط جداً والبيع والشراء ، والرهن والاجارة ، وما أشبه ، تنجز بسرعة - مثلا - كل مراسيم البيع ... تتلخص في : (بعت من البـــائع ، وقبلت من المشتري وكتابة ورقة عادية ، بإمضاء شاهدين) وهكذا، وهلم جرا ، في كل الأمور .

س : كيف يحل الاسلام المشاكل ؟

ج : حيث ان الاسلام :

١ ـ لا يعترف إلا بالمشاكل الأولية .

٢ ـ ولا يقرر أية ضرائب على الاشياء والاعمال .

٣ ـ وأن اجهزته الحاكمة قليلة جداً .

تختفي المشاكل الحاضرة ـ في الدول المعاصرة ـ تحت ظل الحكم الاسلامي... ولا تبقى إلا المشاكل الاولية « أعني المرافعات والجنايات ... ومخالفات الاسلام... كالترافع على دار أو ما أشبه والسرقة والقتل ونحوها، وشرب الخمر ونحوها ... اما هذه المشاكل الثلاث ، فالاسلام يحلها بكل سرعة ، حتى لا يصح ان تسمى مشكلة ، والترافع ينتهي بسرعة ، ولذا يكفي قاض واحد لمدينة كبيرة ، والقاضي هو الذي يتولى فصل الخصومات ، وضبط أموال الأيتام والأوقاف والقُصر ، ويشهد على المبايعات، والمعاملات، وله منفذ يجري الحدود... والسجن في الدولة الاسلامية قليل جداً جداً ، ولذا صح أن يقال لا مشكلة للناس في الدولة الاسلامية... واذا اختفت المشاكل فمن الطبيعي أن يشتغل الناس بأمورهم في كل هدوء وفراغ بال .

س : كيف يقدم الاسلام الامة الى الامام ؟

ج : للاسلام في التقدم بالامة أسباب نوجزها في الخطوط العريضة التالية وهي:

١ ـ بساطة الاجهزة .

٢ ـ التحريض.

٣ ـ التعاون .

١ ـ اما بساطة الاجهزة ، فقد عرفت قسماً منها ... وقد ذكر المؤرخون عدد أعضاء الدولة الاسلامية، فلم يتجاوز الخمسين لكل مليون ـ تقريباً فإن الاسلام لا يعترف بكثير من أجهزة الدول المعاصرة (٢) وما يعترف بها من الاجهزة إنما تنجز الامور في كل البساطة ، فلا التواء

وامتداد حتى يحتاج الى كثرة من الموظفين (٣) كما يفوّض كثيراً من الاعمال الى الناس، فلا يستبد بها حتى يحتاج الى أجهزة، ويرهق كاهله، ويأخذ العمل من ايدي الناس .

ب : وأما التحريض : فان الاسلام يحرض على العلم والعمل بما لا مثيل له في أي دين أو قانون . فيجعـــل (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ، ويجعل من ثواب الآخرة... للعالم والعامل قدراً مدهشاً... ولذا يكون أهل الدين ذا قوتين في تقديم الامور الى الامام : قوة دنيوية ، كما هي موجودة في غيرهم ، وقوة دينية غير موجودة في غيرهم ، كما يشير اليه قوله سبحانه ، « وترجون من الله ما لا يرجون » .

ج : وأما التعاون، فإنالدولة الاسلامية بتعاون مع الناس، في ازدهار الحياة والتقديم بالامة ، كما يرشد الى ذلك أمر الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، مالك الأشتر ، حين ولاه مصر ، في عهده المبارك ، وغيره من الادلة .

ومن المعلوم أن توفر هذه الاسباب، تحت ظل الاسلام، موجب... لتقدم الامة تقدماً مدهشاً .

هذا كله، موجز في حقل السياسة الاسلامية، وإلا فتفاصيلها يحتاج الى سعة من الكلام ، وقد ذكرناها في كتاب مستقل .

الفصل الثاني عشر

الاجتماع في الاسلام

س : هل في الإسلام كيفية خاصة للاجتماع ؟

ج : لا بد وأن يكيف الاجتماع في وحداته ، حسب المنهاج المقرر له .. والمنهاج المقرر قد يأخذ بنظر الاعتبار ، الفطرة الأصيلة في الأفراد . وقد لا يلاحظ ذلك ، والاسلام حيث أنه دين الفطرة ، لاحظ في جميع أنظمته الفطرة فأرشد إلى الصالح ، ونهى عن الفاسد ، وإذا أخذنا الاجتماع بهذا اللحاظ ، رأينا وحداته مكونة من :

١ ـ العائلة .

٢ ـ المزارعين .

٣ ـ المتعاملين .

٤ ـ المدرسة .

٥ ـ العبادة .

٦ ـ المواسم .

٧ ـ الوظيفة .

٨ – الاجتماعات الاتفاقية : كالأصدقاء ، والأعراس ، والسفر ، والمـأتم ، وما أشبه .

٩ – الجيش .

١٠– الحكومة والشعب .

والاسلام قرر لكل ذلك انظمة ومناهج خاصة ، لا يمكن أن يتصوّر احسن منها مناهج وأنظمة .

أ – فالعائلة : لكل فرد منهـا وظائف ، فللزوج وظائف ، وللزوجـة وظائف، ولهما بالنسبة إلى الاولاد وظائف ، كما أن للأولاد تجاه الابوين وظائف .. ثم إذا توسعت العائلة الى الاقرباء ، فلهم وظائف وحقـوق متبادلة ، وليست هذه الوظائف خاصة بمجال دون حال ، أو في فقرة خاصة ، أو بالنسبة الى بعض الجهـات ، وانما هي عامة في جميـع النواحي بعضها واجبة .. وبعضها مندوبة ، وبعضها محرمة ، وبعضها مكروهة ، وبعضهـا مباحة – حسب الاحكام الخمسة – مثلاً : يقرر الاسلام منهاج الزفاف ، وانفاق الزوج ، واطاعة الزوجة والاخلاق البيتية ، وكيفية تربية الاولاد ، وتسميتهم وسائر شؤونهم ، وهكذا..

ب – والمزارعة : لها آداب وشروط ومزايا ، وكيفية معاقدة البعض مع البعض في المزارعة ، والمساقات ، وحصة الفلاح ، وكيفية استخدامه وحقوقه وحقوق رب الارض وغيرها ..

ج – والمتعاملون : بين الاسلام لهم الشرائط ، ولمعاملتهم القوانين ، سواء كانت .. المعاملة مع عامل ، أو بين متعاملين بيعاً ، أو رهناً ، أو اجارة ، أو غيرها ..

د – والمدرسة : يبين الاسلام حولها ، وحول الثقافة ، وشرائط المعلم ، وآداب التلميذ ، وخصوصيات الدرس وما ينبغي أن يكون غاية

الدراسة ، حتى أن (الشهيد) كتب كتاباً حول هذا الموضوع ، سماه (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) .

هـ – والعبادة : قرر الاسلام حدوداً لها وأوضح كيفية الاجتماع اليها ، ومكان الصلوة ، وخصوصيات المسجد ، ومن هو الامام ؟ وكيف ينبغي معاشرة المؤمنين بعضهم لبعض ، ومعاشرتهم مع الامام ، والامام معهم .

و – والمواسم : في الافراح ، والأحزان ، والحج ، وزيارات مشاهد للرسول والأئمة الطاهرين ، كلها مذكورة في الاسلام ، بكافة مزاياها وآدابها ، وخصوصياتها ، وقد ألف العلماء في هذه الأمور كتب مفصلة متعددة ، مثل (حج الجواهر) و (كامل الزيارات) ، و (مزار البحار) وغيرها .

ز – والوظيفة ومرادنا بها هنا ، الجهة الاجتماعية منها ، أعني خصوصيات من حول الحاكم الأعلى ، ومزايا القاضي ومن حوله من الذين يعاونونه في أموره .. وسائر الخصوصيات المربوطة بإجتماع الدولة .

ح : والاجتماعات الاتفاقية ، فالاسلام أرصد لها أكبر رصيد ، أدباً ، وكيفية ، وسائر الخصوصيات ، حتى افرد العلماء لها كتاباً خاصاً ، اسمه (كتاب العشرة) .

ط : والجيش : من الناحية الاجتماعية ، في حلهم ومرتحلهم ، وآدابهم ، وكيفية اطاعتهم لاميرهم ، ومعاشرة أميرهم معهم .. قد تعرض له الاسلام – كما هو مذكور في كتاب الجهاد من الفقه – .

ي – وأخيراً ، فقد بيّن الاسلام حقوق الحاكم على الشعب ، وحقوق الشعب على الحاكم ، والرباط بينهما وبالجملة ما يسمي بـ (علم الاجتماع) ، قد

سبق اليه الاسلام ، بما لا يمكن أن يؤتى بمزيد عليه ، ويمتاز الاجتماع في الاسلام :

اولاً — بالصلاح الكامل في جميع جوانبه .

ثانياً — بالثقة التامة بين أفراده .

ثالثاً — بالهدوء والسكينة الى أبعد حدّ .

وذلك بفضل مناهج الاسلام الحيوية الراشدة التي خططها وبيّنها ، وأرشد الناس اليها ، ليعملوا وفقها ان ارادوا الحياة السعيدة .

الفصل الثالث عشر

الاحكام الاسلامية

س : هل الاسلام قرر احكاماً خاصة ، للناس في مختلف شؤونهم ؟

ج : نعم قرر الاسلام لكل شأن من شؤون الانسان حكماً ، هو في منتهى الدقة والمتانة والصلاح .

ولذا كان الاسلام زاخراً بالقوانين المرتبطة بمختلف شؤون الحياة ومراحلها ، ويكفي دليلاً على ذلك مطالعة كتاب (جواهر الكلام في الفقه) ، فإنه يحتوي على ما يقارب (الستين الف قانون) ، كل ذلك بالأدلة المستقاة من (الكتاب) و (السنة) و (إجماع العلماء) و (العقل) .

س : مثلوا لبعض رؤوس أحكام التي بينها الاسلام ، المرتبطة بمختلف مراحل الحياة ؟

ج : هي كثيرة جداً ومن باب المثال :

١ ــ الاحكام المعاملية ، كالبيع ، والشراء ، والرهن والاجارة .

٢ ــ الأحكام الزراعية ، كأحكام الأرض ، والزراعة ، والمساقات .

٣ ــ الأحكام القضائية كأحكام القاضي، والشهود ، والمرافعات ، والصلح، وسائر الحقوق .

٤ ــ الأحكام الشخصية ، كالنكاح ، والطلاق ، والخلع ، والارث ، والوصية .

٥ ــ الأحكام المرتبطة بالجنايات ، كالحدود ، والقصاص ، والديات .

٦ ــ احكام الكفالة ، والعارية ، والوديعة ، والحوالة ، وما اشبه .

٧ ــ احكام السلم ، والحرب ، والمعاهدات ، وسائر ما يرتبط بشؤون الدولة .

٨ ــ إلى غيرها .. من الاحكام الكثيرة المرتبطة بمختلف شؤون الحياة .

س : كيف يمكن أن تكفي هذه القوانين الموضوعة قبل أربعة عشر قرناً لحاجات بشر اليوم ومشاكله ؟

ج : لقد ذكرنا سابقاً ، ان الاسلام دين انزله إله السماء ، ليكون دين البشر، ومنهاج حياته الى فناء الدنيا ، والاله عالم بكل شيء ، واذا كان وضع القوانين الأرضية ، ملحوظاً فيه تطور البشر ، ورقيه وسائر شؤونه المستقبلية . فأولى بالله أن يلاحظ ذلك ــ بالاضافة إلى ما تقدم ــ من أن في الاسلام قسمين من القوانين :

١ ــ القوانين الشخصية التي لا تتغير اطلاقاً ، مثلاً : (الخمر حرام) .

٢ ــ القوانين التي صيغت في كليات قابلة للانطباق في كل زمان ومكان مثلاً (كل مسكر حرام) .

وجميع التطورات والمشاكل الموجودة ، في عالم اليوم ، ان لم يشملها قانون جزئي ، لا بد وأن يكون مشمولاً لقانون كلي ينطبق عليه اثباتاً أو نفياً .

س : هل تتمكنون التدليل على ذلك في هذه الأمثلة (البنك) (التأمين) ، (تسلح البلاد بالذرة) ؟

ج : ان الجواب على هذه الأسئلة يعرفها من له المام بأوليات (الفقه) .

١ ـ فالبنك .. عبارة عن مجموعة اعمال ، بيّنها الاسلام ، وقرر قوانينها ، وهي (الحوالة) ، (الكفالة) ، (القرض) ، (التجارة) ، (الوديعة) ، (الربا) .

٢ ـ والتأمين .. داخل في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) .

٣ ـ والتسلح بالذرة دفاعاً ، مشمول لقوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وهكذا .. وهلمّ جرّاً .. ؟!

الفصل الرابع عشر

الحياة السعيدة في الاسلام

س : كيف تكون الحياة السعيدة الأفضل في الإسلام ؟

ج : لقد ظهر من فصول الكتاب ذلك ، ونوجزها في الامور التالية التي هي معطيات الاسلام عند تطبيقه :

١ – العقيدة الخالية عن الخرافة ، والدجل ، والمبـــالغة ، والانحراف .. الموافقة .. للفطرة والبرهان .

٢ – الروح النظيفة عن الغل والحقد وسائر الملوثات ، المتصفـــة بالتوازن والهدوء والسكينة والعدالة .

٣ – والانتفاع من منابع الثروة ، المخزونـة في البر والبحر والجو ، بلا تفضيل ولا تفرقة ولا اختلاف .

٤ – العلم والصحة ، والثروة ، والفضيلة ، والعمل ، والعمران للأرض وبذلك يختفي الجهل والمرض ، والفقر ، والرذيلة ، والجريمة ، والبطـــالة والخراب .

٥ – الحريات الواسعة ، والكرامة الانسانية ، ونذكر بهذه المناسبة قوله سبحانه « ولقد كرمنا بني آدم ، ومكناهم في البر والبحر ، ورزقناهم

من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنـــا تفضيلاً » وفي آيات متعددة : ان الله سخّر الكون للبشر ، أمـا قيمة الانسان في نظر الاسلام ، فهي كما قال الله تعالى ، « من قتـل نفساً بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً » .

٦ ــ السلام العالمي ، والأمن بالنسبة إلى الجميع .

٧ ــ التقدم بالبشر ، في جميع الحقول الحيوية .

٨ ــ العدالة الاجتماعية ، سواء في الحكومة أو في الشعب .

٩ ــ قيام كل بواجبه ، واستيفاء كل حقوقه .. بكل يسر وسهولة ونظافة .

١٠ــ حل كافة المشاكل من أي لون كانت .

هـذا هو الموجز من الخطوط الاساسية ، لكيفية الحيـــاة السعيدة الاسلامية ، التي لا يتصور فوقها سعادة بالاضافة إلى أنّ مما تسعد الانسان في هذه الحياة البشارة بمستقبل زاهر ، تهون لديه كل المصائب الواردة على الانسان في هذه الحياة .. ولذا لا نجد حتى عند أشد الناس وطنية وحماساً ــ ممن لا يعتقد بالحياة الآخرة ــ نصف النشاط والجرأة والاقدام والسعادة والاطمئنان ، التي توجد عند المؤمن بالله واليوم الآخر ، والتاريخ أكبر شاهد لذلك .

والله المسؤول أن يوفق الجميع لرضاه ، وهو المستعان .

في ظل الاسلام



الانسان

الاسلام يظلل الانسان بظلٍّ من التوقير والاكرام ، والتجلة والاحترام ، فهو يرى ان الانسان أفضل الموجودات كافـــة ، أو أفضل من كثير من الموجودات .

يقول القرآن الكريم : [ولقد كرّمنـــا بني آدم ، وحملناهم في البرّ والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً] .

وفي الحديث القدسي : (خلقت الاشياء لاجلك ، وخلقتك لأجلي) ، كما يرى الاسلام أن الموجودات خلقت لاجل الانسان ، فهو زهرة الكون ، وخليفة الله في الارض ، ومن بيده مقاليد أسرار الكون التي أودعها الله فيه لمصلحته .

يقول القرآن العظيم : [الله الذي خلق السماوات والأرض ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً (لكم) ...

وسخر (لكم) الفلك لتجري في البحر بأمره ...

وسخر (لكم) الانهار ...

وسخر (لكم) الشمس والقمر دائبين...

وسخر (لكم) الليل والنهار ...

وآتاكم من من كل ما سألتموه ...

وإن تعُدّوا نعمة الله لا تحصوها ... إن الانسان لظلوم كفار !] .

وقد سخر الله للانسان البر والبحر، والهواء والفضاء ، والشجر والحجر، والحيوان والانهار ، والضياء والدفء ، وكل شيء ... وكل شيء ...

وبعد ذلك لفّه بإطار من التعظيم ، وقرّر مناهج ودساتير لحفظ حقوقه، وصيانة عِرضه ، وحرمة ماله ودمه ... فحرّم إيذاءه ، وإهانته، وغيبته ، وغشه ، وبهته ، وأكل ماله ، وسبّه ، وقذفه ، والوقيعة فيه ، ومقاطعته، وحجبه ، وظلمه ، وضربه ، وقتله ، وحبسه ، والسعاية به ، وهتكه ، وخيانته ، و ... و ...

وأنزل الشرائع ، ونصب الانبياء والائمة ، لانقاذه من الهلكة والجهالة ، وارشاده الى الطريق السويّ والصراط المستقيم .

كل ذلك ليعيش في أمن ورفاه وراحة ، وغنى وعلم وصحة واخـــاء وتعاون وكرامة .. هذا في الدنيا ، ثم ينتقل الى دار كرامة الله ، ومحـل رضوانه ، والنعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال ... وقد جمع للانسان في الانظمة التي جعلها ، والشرائع التي انزلها ، خير الدنيا وسعادة الآخرة ، فلا الدنيا تمنعه عن تحصيل الآخرة ، ولا الآخرة مانعـة عن العيش السعيد في الدنيا .

وكل حرف من حروف الاسلام ، وكل نظام من أنظمة الدين ، وكل قانون من قوانين الشريعة... تنادي بهذه الكرامة وتدعو الى العيشة الرغيدة ، حتى لا يحتاج الانسان في البرهنة على ذلك ، الى أزيد من أن يطالع شطراً من الكتاب أو نبذاً من السنة ، أو يسبر حالات المسلمين الذين هم من أظهر مصاديق البيت المنسوب الى الامام المرتضى عليه السلام :

(وآخر فـــاز بكلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخرة)

وهكذا يكون الانسان في ظل الاسلام ، من غير فرق بين الكبير والصغير ، والعالم والجاهل ، والرجل والمرأة ، والغني والفقير ، والوضيع والشريف ، والحاكم والمحكوم .. والفرق إنما هو (بالتقوى) : [إن اكرمكم عند الله اتقاكم] .

أما الإنسان في ظل أنظمة الكفر — التي تستبد بالقيادة العالمية اليوم — فهو شيء مرذول مهان ، يخاف أن يتخطف من حوله ، عرضة لكل إهانة وذلة ، وقتل وتشريد ، وفقد وجهل ومرض ، وتسخير وجبر .

ولماذا لا يكون الانسان كذلك بنظر الكفر ؟

إنه مادة كسائر المواد ، لا نفحة سماوية فيه ، ولا روح مثالية تحليه ، فهو كحيوان سائم ، أو جماد متحرك ، لا اكثر ولا أقل .

وهل يمتاز الانسان بالتفكير والاختراع والصنعة ؟. فليكن كذلك !. ولكن ... ليس العقل الذي يلد الفكر والصنعة إلا من رشحات المادة ، فكما يرشح الصفراء إفرازات لهضم الغذاء ، كذلك يفرز المخ التفكير (!!)

وقد حلل أحد العلماء (هكذا) الانسان ، فوجده مركباً من أشياء مادية بحتة ، وخرج بالنتيجة الآتية :

إذا جئنا بإنسان زنته مائة وأربعون رطلاً ، ونظرنا إلى أجزائه ، وجدنا بدنه يحتوي على هذه المواد ، بهذه الكميات :

قدر من الدهن يكفي لصنع سبع قطع من الصابون .

قدر من الكربون يكفي لصنع سبعة أقلام رصاص .

قدر من الفسفور يكفي لصنع (١٢٠) عود ثقاب .

قدر من ملح المغنسيوم يصلح جرعة واحدة لأحد المسهلات .

قدر من الحديد يكفي لصنع مسمار متوسط الحجم .

قدر من الجير يكفي في تبييض بيت الدجاج .
قدر من الكبريت يطهر جلد كلب واحد من البراغيث التي تسكن شعره .
قدر من الماء يملأ برميلاً سعته عشر جالونات[1] .

وهذه المواد تشترى من السوق بما يعادل ديناراً عراقياً — مثلا — إذن فقيمة الانسان بنظر الماديين ليست أكثر من دينار ، وإن قوموها بأكثر فلأن ذاك كتقويمهم للبقرة كلما كان درها أكثر، يكون ثمنها اكثر ، أما القيمة الإنسانية ، فلا ... وإنما هي قيمة تجارية . فهذا طبيب يجلب من الأرباح كل يوم خمسة دنانير ... وذاك مهندس له كل يوم ثلاثة ... وذلك إداري راتبه الشهري خمسون ... وهكذا ... إذن تتفاوت القيم بتفاوت الأرباح .

أرأيت أنهم صنعوا ميزاناً لثقل الإنسان ؟ كما صنعوا موازين لوزن اللحم والخبز والملح ، وهكذا .

هذه قيمة الإنسان لدى الغربيين .

أما الشرقيون ، فما لهم يجمدون على نظريات الرأسماليين ؟ . إن لهم ميزاناً أبخس ، فإن الإنسان — كما يقول ماركس وانجلز — أداة بسيطة في الصناعة الكبرى .

وهل لأداة بسيطة في معمل قيمة .؟ إلا القيمة المادية ، التي لا اهتمام بها .

وقد انتجت نظرية المادية الكافرة — أعم من غربيها وشرقيها — مآسٍ وفوادح لا تنقاد الى البيان ، ولربما أمكن القول : بأن الانسان في ظل هذه النظم الكافرة قاسى ما لم يقاس ِ آباؤه من قبل .

ألم يقتل البريطانيون عشرين مليون من الصينيين لاستعمار تلكم البلاد — كما يقول نهرو — ؟

---

(١) نظرات في القرآن .

ألم تعدُّ قتلى هتلر – في حربه العالمية الثانية – فبلغت ما يقارب سبعين مليوناً ؟.

ألم يفعل نابليون وموسوليني ، ما لم يفعله جنكيز ونيرون .؟

ألم يقتل لينين ثمانية ملايين من البشر ؟

ألم يقتل ويشرد ستالين لتطبيق نظام المزارع الجماعية (٢٢) مليوناً – كما يقول أبو الأعلى المودودي – ؟

ألم تسفر الثورة الشيوعية الصينية عن قتل اكثر من خمسة ملايين ؟ – كما في نقد الشيوعية ؟

ألم تسفر ثورة الشيوعيين في تركستان عن قتل ما يقارب ستة ملايين – كما في مجلة (ملي تركستان) – ؟

ألم يقتل حكام بلاد العهر – فرنسا – من الجزائريين مليونين من البشر ؟

ثم ماذا يقاسي الانسان من الحكام اليوم ؟

إن السجون ملأى بالمجرمين (هكذا !) والثورات قائمة على قدم وساق، والحريات مهدورة ، والكرامات خبر بعد عين ، والحكام قساة بأوسع ما في هذه الكلمة من معنى ، والمشاكل في ازدياد مستمر ، أما السب والشتم والوقيعة والبهت ، والسرقة وهتك الاعراض والمهاترات ، فحدث عنها ولا حرج .

هذا ما وقع إلى اليوم ، أما ما يبيته الكفر للإنسان في غد ، فيكفيك أن تعلم :

أن ثلث ميزانية الدول تصرف للسلاح !

وهناك آلة حربية تكلفتها أكثر من سبعة وأربعين الف كيلو من الذهب !

وآلة حربية ثمنها مائتان وخمسون مليون !

وآلة حربية ثمنها خمسمائة مليون !

والدول بعد ذلك ، تجيب على سؤال (هل اكتفيتم ؟) بقولهم : هل من مزيد ؟

فهل الانسان في ظل نظام الاسلام الذي يقول : [من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً] أكثر أمناً واحفظ دماً ، أم في نظام الكفر الذي يقول : (ان هلاك ثلاثة ارباع العالم ليس بشيء ، وانما الشيء الهام هو أن يصبح الربع الباقي منهم شيوعيين) ؟

وهل الإنسان في ظل نظام الاسلام الذي يقول : [ذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله] فيعد أخذ درهم من غير حق حرباً على الله ورسوله ! يُصان ماله ، أم في ظل أنظمة تنشر (البنوك) فيعرض البلاد أو طولها ، لامتصاص دماء الشعوب ، وهدم بيوت الفقراء والمساكين ؟

السلم

شعار المسلم في كل مناسبة (الاسلام) .

فهو حينما يلاقي أخاه يقول : (السلام عليكم) ، وحينما يريد الفراغ من الصلاة يقول : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، وحينما يزور إماماً من الأئمة يقول : (السلام عليكم يا أهل بيت النبوة) ، وحينما يزور الأموات يقول : (السلام على أهل الديار من المؤمنين) :

ويقول القرآن : – تعليماً للمسلم – على لسان عيسى المسيح عليه السلام [والسلام عليّ يوم وُلدت ، ويوم أموتُ ، ويوم أبعثُ حياً] .

وتحية أهل الجنة حين دخول الناس فيها : [سلام عليكم طبتم، فادخلوها خالدين] .

ولفظة (المسلم) مشتقة من هذه المادة (س ل م) .

وقد قال رسول الاسلام صلى الله عليه وآله : (المسلم من سَلم الناس من يده ولسانه) .

والاسلام يريد السلام لكل أحد ، قريباً أو بعيداً صديقاً أو عدواً ، ظالماً أو مظلوماً ... وبذلك يأمر القرآن – اذا لم يخترق الشخص القوانين، ولم يتعد حدوداً لا مجال بعدها المسالمة – فحينئذ يوقف عند حده : [فمن اعتدى عليكم ، فاعتدى عليه بمثل ما اعتدى عليكم] .

كثيراً ما أشار القرآن والسنة ، الى هذا السلام والسلم :

يقول تعالى : [وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم] .

ويقول : [فإن اعتزلوكم ، فلم يقاتلوكم ، وألقوا إليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً] .

ويقول تعالى : [ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام : لست مؤمناً ، تبتغون عرَضَ الحياة الدنيا] .

وأخيراً يدعو القرآن البشر قاطبة للدخول في السلم ، فيقول: [ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان] .

وهذا ليس غريباً عن طبيعة الاسلام ، اذ يرى الكون جهازاً موحداً ، وكله مخلوق لإله عليم قدير ، خلق الأشياء بميزان عادل ، وجعل كل شيء وفق الحكمة والمصلحة ، ويجري لأجل مسمى ذلك تقدير العزيز العليم ، والأشياء مستسلمة للحكمة العامة التي تسير الكون ، من غير فرق بين النبات والجماد ، والساكن والسيار ، والسماء والأرض، والكواكب والأقمار، والليل والنهار .

حتى أن الانسان – بخلقته – خاضع لهذا النظام الكوني العام، فالدورة الدموية ، وحركات الرئة والكبد والقلب ، ونبض العروق ، والشهيق والزفير ، والقوى الغاذية والنامية والهاضمة والدافعة ، وإفرازات الغدد ، وحركات الأجهزة بدقة ونظام ... وغيرها ... وغيرها ... كلها بقدر وإتقان ، والى هذا الاستسلام العام للارادة الأولية ، يشير القرآن الحكيم :

[قل : أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له أنداداً ؟ ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهي

دخان ، فقال لها وللارض: ائتيا طوعاً أو كرهاً ! قالتا أتينا طائعين] .

ويبقى بعد استسلام كل شيء لإرادة الله ، الانسان بجهازه الإرادي — لا الخلقي — فقد جعل الله تعالى فيه الارادة [ليبلوكم أيكم أحسن عملا] .

وهنا أيضاً يريد الله للانسان (السلام) حتى يندمج في نظام الكون العام ، ويسلم هو بنفسه عن الأخطار والأضرار ، ولذلك جعل قوانين تشريعية ، صيانة السلام ، وحفظاً للانسان عن الانهيار .

فلا عجب بعد ذلك لو رأينا الاسلام أحرص جميع المبادىء على السلام ، وأكرهها للحروب والاضطراب .

●

ويبقى بعد ذلك ، لنرى كيف يضع الاسلام قوانين السلام ؟ ثم كيف عمل هو من أجل هذا السلام ؟

أما كيف وضع الاسلام قوانين السلام ، فيتبين من هذه القوانين :

١ — إنه ساوى بين جميع الأفراد، فلا حدود إقليمية، ولا عصبية قبلية، ولا شرافة عشيرية ، ولا امتيازات جنسية ، ولا فوارق لونية أو ثروية أو جاهية أو سلطية أو ما أشبه . وبذلك يكون الانسان أخ الانسان ، ولا فارق إلا بالتقوى [إن أكرمكم عند الله أتقاكم] .

وقد اعترف بهذه الميزة الكبرى للاسلام الأجانب معجبين بهذا النظام الوحيد الذي لا يحمي السلام نظام ولا قانون بقدره .

يقول الباحث الأمريكي (فليب ايرلاند) : (يبدو من النظرة الاولى : توجد ظروف ملائمة جداً للديمقراطية في داخل الاسلام [١] فإن الاسلام كان

---

(١) في كون الاسلام ديمقراطياً مناقشة ، فإن الديمقراطية مصدر الشرور والويلات على البشرية .

أعظم الديانات توفيقاً في إزالة فوارق الجنس واللون والقومية) .

ويقــول المستشرق البريطاني (جب) : (يتساوى أحقر مسلم مع الخليفة ، أو قاضي القضاة) .

ويقول المستشرق (بردلي) : (ليس هناك أي عائق لوني للمسلم فلا مم أكان المؤمن أبيض أو أسود أو أصفر، فالجميع يعاملون على قدم المساواة).

(أكان في مقدور رجل — ما لم يكن ملهماً ، أن يأتي الى الوجود بمثل هذه الأخوة العالمية ؟) .

الى غيرها ... وغيرها .

وبعد هذا يبقى سؤال : إنه أي ربط بين هذه المساواة الاسلامية ، وبين السلام العام ؟

والجواب عن ذلك بسيط جداً : إن كثيراً من المنازعات التي تبتــدىء بنزاع شخصين ، وتنتهي بحرب عالمية ! سببها الفوارق المزعومة، واذا تشبع الانسان بروح الأخوة والمساواة، فلا أقل من أن تختفي أكثر من نصف هذه المنازعات ، فهل ترى في دنيا اليوم والأمس القريب سبباً لاستعمار بريطانيا وأمريكا وروسيا وفرنسا ... للبـلاد ، غير إرادة سيادة جنس السكسون ... أو فلان ... أو فلان ، على البلاد ؟

أو هل كانت حروب نابليون وموسوليني وهتلر لغير سيادة فرنسا والمانيا وايطاليا ؟

اذاً ، فالأخوة والمساواة من أول أسباب السلم العام .

أما أنا أفضـل ، لأنني آري ، أو عربي ، أو أبيض ، أو بريطاني ، أو ثري ، أو صاحب سلطة ، أو شيخ عشيرة ، أو ما اليها ... فإنها تولد في النفس كبراً وعلواً ، ومن رأى نفسه أكبر من غيره فحـرى به أن يتشابك معه لكل أمر تافه زعم انه مس كرامته المزعومة !

٢ ـ جعل الاسلام كل تعدٍ يصدر من فرد الى فرد ، ولو كان التعدي سباً يسيطاً ـ في النظر ـ أو غيبة خفيفة لا قيمة لها ـ عند المجتمع ـ محرماً بل أكثر من ذلك ، انه موجب للحد او التعزير ، بسببه يجرد الساب ونحـوه ويضرب سياطاً ، لئلا يتعدى هو او غيره ، على احد ، اما الضرب والجرح وقطع بعض الأطراف والقتل ، فالاسلام يضرب بيد من حديد لمن ارتكبها، توطيداً للسلام العام ، والراحة الكاملة .

فهـذه الأمور – مع قطع النظر عن نكال الاسلام بمرتكبيها – تقرر الشريعة القصاص فيها :

[ولكم في القصاص حياة يا اولي الألباب] .

[إن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص] .

ويذهب الإسلام شوطاً أبعد من هذا ، فيجعل من قتَـلَ شخصاً ، كأنما قتل الناس جميعاً .

وبهذا يأمن الناس ، ويستتب الأمن العام ، ولا تقع حوادث أو تقل حتى تلحق بالمعدوم .

أما اليوم ، فلو نظرت إلى البـلاد ، فترى حوادث القتل شائعة ، فكيف بما دونها ؟

وقد طبق في بعض البلاد الإسلامية قوانين الحدود والقصاص والديات ، فاختفى الإجرام فيها ، حتى كانت مضرب المثل ، ومن شدة احتياط الإسلام للدماء ، وحرصه على الأمن ، جعل حتى لقتل الخطأ الدية ، وليست شيئـاً هيناً ، بل هي أحد أشياء ستة :

١ – ألف دينار من الذهب .

٢ – عشرة آلاف درهم من الفضة .

٣ – مأتا حلة .

٤ ـ ألف شاة .

٥ ـ مائة ابل .

٦ ـ مأتا بقرة .

وهذه هي الخطوة الثانيه التي جعلهـــا الإسلام للسلام العام ، وقد نجح الإسلام في ذلك نجاحاً منقطع النظير ، لا بالنسبة إلى هذا القسم من الجريمة، فقد قُطعت في الإسلام ـ مدة قرنين ـ ستة أيادي عقوبـــة للسرقة ، مما يكشف عن أن السرقة اختفت في البلاد الإسلامية الطويلة العريضة ، بما لم يبق لها أثر يذكر .

أما اليوم ، فانظر إلى قطر من الاقطار ، لا يضم أكثر من عشرة ملايين، فهل تقل حوادث السرقة اليومية عن ستين ؟ وهكذا قل بالنسبة إلى سائر أقسام الإجرام : من قتل ، وضرب ، وجرح ، وبغاء ، وغيرها ...

٣ ـ الجهـاد الإسلامي ، فإنه من أهم الوسائل للسلام العـــام ! وذلك بالعكس ممـا تلقي هذه الكلمة من ظلال الحرب والقتال وسفك الدمـاء ، إن الإسلام شرع الجهاد لبسط العدل ، وتقويض دعائم الظلم ، وانقاذ الناس من الظلمـــات إلى النور ، وتخليصهم من الأغلال الى الحرية ، ومن الفوضى والإضطراب إلى الأمن والهدوء ، يقول القرآن الكريم :

[وما لكم لا تقاتلون :

في سبيل الله ...

والمستضعفين] .

فالجهاد انما هو (في سبيل الله) لإقامة الحق وإماتة الباطل وفي سبيل (المستضعفين) المضطهدين كي يشملهم العدل ، وينقذوا من الظلم .

وهذا هو مدار الجهاد في الإسلام ، ونقطة الانطلاق ، وكم تظن أنه يقتل حينئذ أو تسفك الدماء ؟

ان من يحارب لأجل السيطرة ، لا بد وأن يفعل كل شيء ، كما يروي التاريخ من هذا القبيل الشيء الكثير ، أما من يحارب لأجل اقامة الحق وبسط العدل والإنقاذ من الظلم ، فهل يعقل أن يتعدى . ؟ ولذا كانت الحروب الإسلامية ، في زمن النبي وبعد النبي ﷺ ، من أنظف الحروب وأرحمها . وليس جنوح الإسلام الى الجهاد ، الا بعد قطع تمام الطرق عليه ، حتى لا يكون للإصلاح من مطمع الا بالسيف ، وثم يضع الإسلام القوانين العادلة ، لأقل قدر ممكن من اراقة الدم .

وهنا سؤال يفرض نفسه : وهو أنه كيف يحارب الاسلام ، وهناك حل آخر ممكن ، وهو تخليص الناس من الظلم والظلمات بـ (اللاعنف) كما فعل (غاندي) في (الهند) لأجل تخليصها من براثن المستعمرين ، وقد كان ناجحاً ، الى أبعد مدى .

والجواب :

أولاً : إنا نشك في صحة طريق غاندي ، ولعل القتال كان أنجح وأقل خسارة ، فهل طول الاضطهاد لأربعمائة مليون من البشر ، طول ربع قرن ، حتى يموت (مليونان) في حادثة مجاعة واحدة — كما حدث في بنغال أبان مقاومة غاندي — أقرب إلى الصواب والسلام ، أم الثورة المسلحة ، التي تقدم من الضحايا أقل ، ولا تتقاضى من الوقت الا يسيراً ؟

وثانياً : لو أخذنا أن (غاندي) حرر الهند ، ثم هاجمتها الدول من أطرافها ، وهي تريد سفك دماء أهلها ، وسبي أعراضها ونهب أموالها ، فهل يتردد (غاندي) في الدفاع عنهم بالسلاح ؟ فكر في هذا قليلاً ، ثم احكم على موقف النبي ﷺ ، وهو في المدينة ، إذ جاءته أحزاب الكفر [اذ جاؤكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر] بل ان (غاندي) كان يصرح نفسه بالحرب ، لدى الحاجة .

وعلى أي ... فالاسلام نظم الجهاد ، لأجل الإنقاذ والحق ، وذلك أعظم خطوة الى السلام العام .

ولننقل جملة من كتابنا (عبادات الاسلام) باب الجهـــاد ، دلالة لمدى حرص الاسلام على نظافة الجهاد ، وكيف انه لا يجاهد الا لبسط العـدل ، وتوطيد دعائم السلام :

وحيث ان الاسلام لا يريد بالجهـــاد الا بسط العدل ، واقامة الحق ، فالمجاهدون المسلمون يلزم أن يتبعوا سنن الجهاد حتى في نفس الجهاد ، فليس لهم الفساد والإفساد ، كما هو شأن الحروب كافة ، بل يجب أن لا يحيـدوا عن الحق قيد شعرة .

قال الإمام الصادق (ع): كان رسول الله ﷺ اذا أراد أن يبعث سرية، دعـاهم فأجلسهم بين يديـه ، ثم يقول : (سيروا باسم الله ، وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ، لا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانيـاً ، ولا صبياً ، ولا امرأة ، ولا تقطعـوا شجراً الا أن تضطروا اليها ، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم ، نظر الى أحد من المشركين ، فهو جار حتى يسمع كلام الله ، فان تبعكم فأخوكم في الدين ، وان أبى ، فابلغوا مأمنه ، واستعينوا بالله) .

أهل سمعت أو رأيت هـــذا ، في قوانين القرن العشرين ، قرن النور المضحك المبكي !؟ أو هل سمعت أو رأيت مثل هذه التوصيـة من أحد من الحكومات العالمية ، قبل الاسلام وبعده ؟ . كلا ولن تسمعه ولا تراه أبداً ، انه الاسلام فقط الذي لا يميل عن الحق والعدل ، والعطف والرحمة .

وهذا كان أمر النبي ﷺ للسرية عامة، أما أميرهم ، فاستمع الى وصيته ﷺ لـــه :

قال الامام الصادق عليه السلام : (ان النبي ﷺ كان اذا بعث اميراً له على

سرية ، أمره بتقوى الله عز وجل ، في خاصة نفسه ، ثم في أصحابه عامة ، ثم يقول : اغز باسم الله، وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا متبتلاً ، في شاهق ، ولا تحرقوا النخل ، ولا تغرقوه بالماء ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا زرعاً ، لانكم لا تدرون لعلكم تحتاجون اليه ، ولا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه ، الا ما لا بد لكم من أكله ، واذا لقيتم عدواً للمسلمين فادعوهم الى احدى ثلاث ، فإن هم أجابوكم اليها فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم :

— ادعوهم الى الاسلام ، فإن دخلوا فيه ، فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وادعوهم الى الهجرة بعد الاسلام ، فإن فعلوا ، فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم .

— فإن أبوا هاتين ، فادعوهم الى اعطاء الجزية .

— وإن أبوا ، فاستعن بالله عز وجل عليهم ، وجاهدهم في الله حق جهاده) .
فالكافر يخيَّر بين أحد امور ثلاثة :

١ — الاسلام ، الذي فيه سلامة الدنيا والآخرة ، وهو الصيغة الأخيرة لشرائع السماء ، وبذلك يحوز الانسان كل فضل ، ويستريح الى كل خير ... ثم الهجرة — وقتذاك — .

٢ — الجزية : وهي مقدار من المال يؤخذ ، ويقابلها تأمين الاسلام له الحراسة والحفظ ، وتوفير ضروريات الحياة له ، وبذلك يبقى الكتابي على دينه ، ويقيم شعائره ، في حدود المصلحة الاسلامية العامة ، حسب ما قرر لها من شروط وأحكام .

٣ — القتال : بأنظف ما يمكن ، كما رأيت في وصايا النبي .

أما سائر الحروب غير الاسلامية ، فإنها — أولاً — لحب السيطرة ، وبعد ذلك يخير الطرف الآخر بين القتال بأفظع صوره ، وبين النزول على رغبات العدو .

ولا بأس أن نذكر هنا خبرين آخرين ، في كيفية القتال الاسلامي :

قال الامام الصادق عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : (نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يلقى السم في بلاد المشركين) .

وقال حفص بن غياث : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن النساء كيف سقطت الجزية عنهن ، ورفعت عنهن ؟ فقال عليه السلام : (لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن قتل النساء والولدان ، في دار الحرب ، الا أن يقاتلن فإن قاتلن ايضاً ، فامسك عنهن ما أمكنك ، ولم تخف خللاً ، فلما نهى عن قتلهن في دار الحرب ، كان في دار الاسلام أولى ... وكذلك المقعد من أهل الذمة ، والأعمى ، والشيخ الفاني ، والمرأة ، والولدان ، في أرض الحرب ، من أجل ذلك ، رفعت عنهم الجزية)[1] .

●

وبعد الفراغ من الإجابة على السؤال الأول ، وهو : كيف وضع الاسلام قوانين السلام ؟

يأتي دور الجواب على السؤال الثاني ، وهو كيف عمل هو من أجل هـذا السلام ؟

ولا يحتاج الجواب الى اكثر من مراجعة تاريخ بدء الاسلام :

فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا الناس الى الإيمان بالله والعمل الصالح طيلة ثلاث عشرة سنة ، بسلام ولين ، قائلاً : (قولوا : لا إله إلا الله ، تفلحوا) وتلقى من المشركين ومن اليهم كل أنواع الأذى والاضطهاد ، فسموه : ساحراً ، وكاهناً ، ومجنوناً ، ومحباً للسيطرة وشاعراً ، ومفسداً ، وبصقوا في وجهه ، ولوّثوا جسمه الشريف بسلى الشاة ، وألقوه على وجهه على الأرض

---

(١) عبادات الاسلام : الجهاد .

وداسوا ظهره ، وكسروا رأسه بالقوس ، ورضخوه بالحجارة ، وضربوا عليه وعلى أودائه الحصر الاجتماعي والاقتصادي ، فطلقوا بنـــاته لتثقل عائلته وهجروه بالكلام ، وقاطعوه وأحباءه ، من المناكحة والمجالسة وما إليها ، وأرادوا قتله مرة ، ومرة ، ومرة ... وأبعدوه عن وطنه ، واذاقوه ألوان الأذى وصنوف العذاب ، هذا مع الغض عما لقيه المسلمون من الأذى المرير .

كل ذلك ، وهو يقول : (اللهم اهد قومي ، فإنهم لا يعلمون) .

ويسالمهم ، ولا يتعرّض اليهم ، بأقل قدر من المقابلة بالمثل ، حتى أنـه كان يأبى أن يدعو عليهم ! بل كان يدعو لهم !

ثم لما كثر اضطهادهم ، فر بنفسه وزمرة من المسلمين إلى المدينة (يثرب) وذلك بدء (الهجرة) .

وحتى حين ذاك لم يتركوا اذاه واذى المسلمين القاطنين في مكة ، وأذى من أراد أن يلتحق به ، حتى بنته (زينب) وأذى من هاجر إلى الحبشة فراراً من اضطهادهم .

وفوق كل ذلك : جهزوا الجيوش لمحاربته ، ولحقوه بالمدينة لمقـاتلته ، فاضطر حينذاك للدفاع ، فقامت بينهم وبينه سلسلة من الحروب ، كان النبي ﷺ في كلها مدافعاً ، وكانوا هم مهاجمين ومع كل هذه الأمور ، كان يعاملهم بالحسنى ، ويكتفي بأقل قدر ضروري من الدفاع ، مع انهم كانوا لا يتورعون عن كل ما في مقدورهم من ألوان الهجوم والإساءة .

وله ﷺ في ثنايا التاريخ ، قضايا عجيبة ، يقف الانسان أمامها بجلال وخشوع ، كي ينظر إلى هذا النبي العظيم الذي ليس أحد ادعى الى السلام ، وارحب صدراً ، واكبر نفساً ، وأفضل اخلاقاً ، واحسن سيرة ـ بالنسبة الى اعدائه ـ ، منه !

وأما ان النبي ﷺ كان مدافعاً في حروبه لا مهـاجماً ، فيدل على ذلك أقل إلمام بالتاريخ :

حرب بدر :

لما اشتد اضطهـــاد أهل مكة للمسلمين ـ بعد هجرة النبي ﷺ وكانوا يسومونهم ألوان العذاب ، وصنوف الاضطهـــاد ، ومنعوهم عن الهجرة ، وعاملوهم بضراوة وقسوة ، هددهم النبي ﷺ بالتعرض لسبيل تجارتهم الى الشام ، كي تلجئهم الضرورة الاقتصادية الى الكف عن ايذاء المسلمين ، ولما عرف رئيس قافلة المشركين (ابو سفيان) ذلك ، استنجد بقريش ، فزجوا بعدّة كاملة من الخيل والسيوف والدروع ، وهم زهاء الف رجل ، والمسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، على أضعف عدة ، والتقى الفريقان ، في موضع يسمى (بدراً) ، فانتصر المسلمون ، وُهزم المشركون بعد ان أُسر منهم جمع ، وُقتل جمع .

حرب أحد :

وتجمعت قريش ، مرة ثانيـــة ، بعدة عديدة ، وأرادوا غزو المدينة ، فاستقبلهم النبي ﷺ في موضع يقال له (أُحد) ، وتقاتل الفريقــان ، وانتصر المسلمون ، ثم انهزموا ، ثم انتصروا ، وانهزم المشركون .

غزوة بني قينقاع :

وأول ما فعل النبي ﷺ حين قدومه الى المدينة ، ان تعاهد مع اليهود المحيطين بالمدينة ، ليأمن شرهم ، وهم : بنو النضـــير وبنو قريضة ، وبنو قينقاع ، فعاهدوا النبي ﷺ على السلام وأمانــة الجوار ، وأن لا يكيدوا المسلمين ... لكن بنو قينقـــاع غدروا بعد وقعة بدر ، وكانوا يكاتبون المشركين ويكيدون بالمسلمين ، فغزاهم النبي ﷺ وانتصر عليهم ، فطلبوا الجلاء نجاة بأنفسهم ، فسمح لهم النبي بذلك .

جلاء بني النضير :

وبعد غدر بني قينقاع ، وظهور علامات الغدر من سائر اليهود ، قصد النبي ﷺ بني النضير ، لتأكيد العهد وأخذ الميثاق ، فأبى بنو النضير ذلك — إرادة للكيد وإقامة للحرب — فحاصرهم النبي على إعطاء العهد ، فاختاروا الجلاء من بلادهم فسمح لهم بذلك ، حفظاً للسلام وحقناً للدماء .

حرب الاحزاب :

وتهيأت قريش لحرب ثالثة على النبي ﷺ فجمعت جموعها وتحزبت احزابها ، وسعت الى هذا التجمع جماعة من يهود بني النضير ، الذين اختاروا النزول في (خيبر) بعد جلائهم ، فقصدوا المدينة بجيش عظيم ، وفي اثناء الطريق طلبوا من (بني قريضة) الغدر بالمسلمين ونقض عهد النبي ﷺ ففعلوا ذلك ، وقد فعلوا أقبح الغدر ، فجاءت الأحزاب ، وحاربهم المسلمون ، وخرجوا من المعركة منتصرين ، وهُزم المشركون .

غزوة بني قريضة :

ولما انهزمت الأحزاب ، لوى النبي عنانه الى الغدرة (بني قريضة) فجعل بنو قريضة حكمهم إلى (سعد بن معاذ) حليفهم قبل الاسلام ، ظناً منهم أنه يتساهل معهم ، فحكم سعد بقتلهم ولو انهم اختاروا الجلاء كبني قينقاع ، وبني النضير ، لأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك ، ولكن (رب حافر قبره بظلفه) .

حرب بني المصطلق :

ثم استعد بنو المصطلق لحرب النبي ، فلم يمهلهم ﷺ حتى يكثروا الفساد ، بل خرج لحربهم ، وانتصر عليهم .

صلح الحديبية :

وفي السنة السادسة من الهجرة عزم النبي ﷺ الحج ، فمنعه اهل مكة ، وأرادوا قتاله ، وطلبوا من النبي الرجوع ، فلبى طلبهم ، وصالح معهم ، حباً للسلام ، فنحر البدن وخرج من الاحرام ، وقفل راجعاً .

حرب خيبر :

ولما فرغ ﷺ من صلح الحديبية ، لوى عنانه نحو اهـل خيبر ، الذين كادوا به ، وسعوا لحرب الأحزاب — المتقدم — فحاصرهم ، فطلب بعضهم الجلاء ، فسمح لهم ، وحاربه الباقون فانتصر عليهم .

فتح مكة :

وبعد صلح الحديبية ، تعدت اهل مكة بأحلافهم ، على جانب الرسول ﷺ وأحلافه ، فخرج رسول الله إلى مكة ، فخاف أهل مكة منه ﷺ فاستسلموا ، وهو بدوره عفى عنهم وقال لهم كلمته العظيمة : (اذهبـوا فأنتم الطلقاء) .

حرب هوازن:

وحين سمعت (هوازن) بانتصار النبي ﷺ على أهل مكة ، خافت جانبه ، وجمعت جموعها العديدة ، لاستئصال شأفته . فحاربهم النبي ، وانتصر عليهم .. وبعد ذلك لطف بهم ورد أسراهم ، وهم نحو ستة آلاف .

حربا مؤتة وتبوك :

ثم دعـا الرسول ﷺ الروميين الى الاسلام فأهانوه واستخفوا بـه ، وقتلوا رسله اعتداءً وتجبراً . ومن المعلوم لدى الأمم ان الرسول لا يقتله إلا

المعتدي الطاغي . ثم استعد الروم وأتباعهم لعداء النبي ﷺ ، فاستعد هو لدفاعهم ورد كيدهم ... وانتصر عليهم آخر الأمر .

هذا موجز من حروب النبي ﷺ وغزواته .. وكلهـا البالغة نيفاً وثمانين كانت دفاعية ، ومع ذلك كان يأخذ فيهـا جانب السلام والعدل ، حتى أن من المدهش : أن يكون القتلى من الطرفـين : طرف النبي ﷺ وطرف أعدائه ، في جميع هذه الحروب والغزوات والسرايا ، ما يقارب الفاً وأربعمائة !

ثم هل تعـلم أن هؤلاء القتلى لم يكونوا أكثر من قتلى حرب واحـدة ، كانت تقع في زمن الجـاهلية ؟. ولأجل أي شيء لأمر مضحك عجيب ، كما لا يخفى على من راجع تاريخ الجاهلية !

هذا هو بدء الجهاد الإسلامي ، فهل ترى فيه ما ينافي السلام انه لتوطيد السلام واستقرار الأمن ؟

وهكذا كان يحمي الإسلام السلام ، ولو أخذ اليوم بالزمام لكان للعـالم وجه آخر ، وكان للسلام معنى حقيقي ، لا السلام الستاليني والهتلري ومن إليهما .. ولا نجاة للعالم — باسم السلام — وإنما النجاة في معناه وحقيقته ، ولا يوجدان إلا في الإسلام .. والإسلام فقط .

القضاء

يظلل الاسلام القضاء بظل من البساطة والعــدل والحق ، بحيث لا يذكر التاريخ مثيلاً له في هذه الناحية ، والقوانين المعاصرة بما لها من سعة وشمول (هكذا !) لا تلحق بعشر معشار ما للاسلام من مزايا حول القضاء .

وليس ذالك بدعاً من الاسلام ، إنه تمــاشى مع طبيعة البسيطة السمحة العادلة ، وليس القضاء إلا شأناً من شؤون الحيـــاة ، التي تستوعبها الأنظمة الاسلامية ، بحيث لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

والبساطة والعــدل من ألزم ما يجب أن يتوفر في القضاء ، إذ الالتواء والفخفخة وما اليهما ... تسبب اضطــراب المتخــاصمين ، فكيف يمكنهم الادلاء بما في نفوسهم من الاصطدام والنزاع؟ والجور لو وجد سبيلاً الى النظام أو الحكام، اختفى العدل تماماً وترجحت كفة الظالم أبداً ، وبطلت الحقوق ، فإن القضاء بطبعه عمل صعب ، ولذا كثيراً ما يجد الباطل مجــاله الفسيح في المحكمة والحكام، فيما اذا كانوا نزيهين، فكيف اذا كان القانون جائراً أو الحاكم زائغاً ؟

ولذا يحرص الاسلام الحرص كله حول بساطة المحكمة ، وعدل الحاكم .

ولنشير الى بعض الأنظمة الاسلامية حول القضاء ، لنرى كيف أتخــذ الاسلام التدابير اللازمة لطهــارة هذا الجهاز المهم ، الذي يحتاج اليه أصحاب

الخيام ، كما يحتاج اليه سكنة القصر الأبيض وقصر كرملين ... في القرن العشرين .

فيشترط الاسلام بادىء بدء : أن يكون القاضي عادلاً، بمعنى أن يكون له (ملكة) : حالة نفسية تورث على عدم الانحراف عل منهج الحق قيد شعرة ... وإلا فما يؤمن المترافعين، أن لا يزيغ القاضي عن الحق ، ويحكم حسب الهوى ، ويضع الحقوق غير موضعها .

يقول الله تعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل] .

وقال تعالى: [يا داود ، إنا جعلناك خليفة في الأمر، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى] .

وقال تعالى : [إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ، لتحكم بين الناس بما أراك الله] .

وبعد ذلك : يوجب الاسلام على الناس الترافع الى الحكام العدول ، ويحرّم عليهم الترافع الى الجائر ، حتى تُسد أبواب الظلم ، وتُفتح أبواب العدل .

قال أبو بصير : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : قول الله عز وجل : [ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتُدلوا بها الى الحكام] ، فقال : يا أبا بصير، إن الله عز وجل قد علم أن في الأمة حكاماً يجورون ، أما انه لم يعن حكام أهل العدل ، ولكنه عنى حكام أهل الجور ، يا أبا محمد ، إنه لو كان لك من رجل حق ، فدعوته الى حكام أهل العدل ، فأبى عليك إلا أن يرافعك الى حكام أهل الجور ، ليقضوا له ، لكان ممن حاكم الى الطاغوت ، وهو قول الله عز وجل : [ألم ترَ الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل اليك، وما أُنزل من قبلك ، يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت] .

وقال سالم بن مكرم : قال الصادق عليه السلام : (إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً الى أهل الجور) .

وقال عبدالله بن سنان : قال أبو عبدالله (ع) : (ايما مؤمن قدم مؤمناً في خصومة الى قاض او سلطان جائر ، فقضى عليه بغير حكم الله ، فقد شركه في الإثم) .

●

وقــد رفــع الاسلام مرتبة القضاء ، حتى جعلها من اختصاص الأنبياء والأوصياء ، تنويهاً بعظمته وإشارة الى خطورته .

قال الإمام امير المؤمنين عليه السلام ، لشريح : (يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي ، او وصي نبي ، او شقي) .

وروى سليمان بن خالد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (اتقوا الحكومة ، فإن الحكومة انما هي الإمام ، العالم بالقضاء ، العادل في المسلمين ، النبي او وصى نبي) .

كما ان الاسلام اوجب على القاضي ان يكون عالماً بما يصدر منه ، وانه على طبق الحق ، حتى انه لو حكم بالحق ، وهو لا يعلم فهو مأزور ، لأنه حكم بما لا يعلم ، وجدير به ان يقع في باطل لو تجرأ على هكذا احكام .

قال الصادق عليه السلام : (القضاء أربعة : ثلاثة في النار ، وواحد في الجنة :

١ — رجل قضى بجور وهو يعلم ، فهو في النار .
٢ — ورجل قضى بجور ، وهو لا يعلم ، فهو في النار .
٣ — ورجل قضى بالحق ، وهو لا يعلم ، فهو في النار .
٤ — ورجل قضى بالحق ، وهو يعلم ، فهو في الجنة) .

وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو انه كيف يمكن التحصيل على عدد كثير من الحكام ، من ذوي العدالة والصلاح ؟ فإن كل بلد — اليوم — يحتاج الى عدة حكام ، ومن الممكن أن نقول : ان عشرة ملايين من الأفراد يحتاجون

الى ما يقرب من الف حاكم وقاض ، وهو عدد غير يسير ، فمن أين يحصل لنا مثل هذا العدد من النزيهين الذين يعدلون عن علم ودراية ؟

والجواب :

أولاً : أن الانظمة الاسلامية — بما لها من فضل في بساطة الحكم — توجب الغنى عن كثرة الحكام والقضاة ، بل ان قاضياً واحداً كاف لأن يفصل خصومات مليون وأكثر ، على ما يأتي الالماع الى ذلك .

وثانياً : ان الحصول على عدد كثير من العدول، الذين لا يؤثر بهم الهوى، في ظل التربية الاسلامية أمر هيّن جداً ، فإن الاسلام ، بما يضع من المناهج ، لتربية الفرد والمجتمع ، تربية صحيحة إنسانية ، يقلب المجتمع من النفعيين إلى حقيقيين ، لا يرون الا الحق ، ولا يعملون الا بالعدل ... ومن هنا ترى كثيراً من الفقهاء اشترطوا العدالة في امور ، قد يستغرب الشخص اشتراطها فيها ، لكن النظر الى المجتمع الاسلامي يبدد الاستغراب ، فهم قد اشترطوا العدالة في الوصي ، وآخذ الزكاة ، ومن يراد أن يدفع اليه ماله من الصغار الذين بلغوا حد الرشد ، ونحو هؤلاء !

•

ومن التدابير التي اتخذها الإسلام ، لوقاية الحكام والحاكم عن الجنوح الى الباطل ، والحكم بالهوى : التدابير المالية ، بكلا شقيها السلبي والإيجابي :

أما السلبي ، فقد حرم الإسلام الرشوة ، بجميع صورها ، وبكل أساميها : من هدية ، أو رشوة ، أو أجر ، وبالغ في التحريم ، صيانة للحكام عن الميل الى جانب الراشي ، فتهدر الحقوق ، ويأخذ الباطل مكان الحق .

روى سماعة عن الصادق عليه السلام قال: (الرشى في الحكم هو الكفر بالله)، وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله : (هدية الامراء غلول) .

وروى أصبغ بن نباتة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (أيما وال احتجب عن حوائج الناس ، احتجب الله عنه يوم القيامة [1] وإن أخذ هدية كان غلولاً) .

وفي حديث عن الإمام عليه السلام قال : (كل شيء غل من الإمام فهو سحت ، والسحت أنواع كثيرة ، منها ما أصبت من عمال الولاة الظلمة ، ومنها أجور القضاة ، وأجور الفواجر ، وثمن الخمر والنبيذ المسكر) . فأجر القاضي في نظر الإسلام ، كأجر الزانية !

وكما يحرم الإسلام أخذ الرشوة ، وما اليها ، كذلك يحرم إعطاء الرشوة، فإنه من التعاون على الإثم الذي قال فيه تعالى : [ولا تعاونوا على الإثم والعدوان] .

في الحديث : (لعن رسول الله الراشي والمرتشي) .

وربما يزعم بعض الحكام ان الرشوة المحرمة إنما هي التي يأخذها على الباطل ، أما إذا أخذ على الحق ، فليست من الرشوة ، وما احسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ، فهو بعمل واحد يوفر على ماليته ، كما يعطي الحق إلى صاحبه ! لكن ... الإسلام يشجب هؤلاء بكلمته الحكيمة :

قال الإمام الصادق عليه السلام : (من أكل السحت : الرشوة في الحكم . قيل : يا بن رسول الله ، وإن حكم بالحق ؟ قال : وان حكم بالحق ، قال : فأما الحكم بالباطل فهو كفر ، كما قال الله عز وجل : [ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون] .

---

(١) حجبه عن رحمته .

هذه هي الرشوة ومـا اليها ... في نظر الاسلام ، أمـا في نظر الكفر ـ السائد في كثير من البـلاد الإسلامية ـ فالرشوة أطيب من كل حلال ؛ وقد قال لي أحد القضاة ، بكل صراحة : (الحلال ما حل بالكف) وقد يدهش الانسان لهذه التأكيدات من الإسلام حول تحريم الرشوة .. ولكن يتبدد دهشه ، إذا ألقى نظرة فاحصة إلى الحاكم في البلاد التي مشت فيهـا الرشوة ، فإنه يكاد يذهل من المستوى الدنيء الذي وصل إليه الحكم :

ان حكماً يعطل النـكاح ، ويفرّق بين زوجين لعشرة دنانير .

ويأخذ الدار من صاحبها ويعطيها لراش بمائة دينار .

ويرجع المسروق صفر اليدين ، بعدما أخذ السارق ودفعه الى المحكمة ، بمبلغ يلائم السرقة .

ويبطل حق المقتول ، وينجي القاتل ، بمبالغ قليلة أو كثيرة .

و .. و .. لحري أن يسمى فوضى .. لا حكماً ، وهل تدري أي شيء مهد السبيل لهــذه الجرائم من الحكام ، التي هي أشنع من جرائم نفس المجرمين ؟ انها الرشوة فقط ، وبعد ذلك هل يبقى من شك ، في أن الرشوة من أعظم المحرمات ؟ وهـل لرفع الرشوة عن الحـاكم علاج بغير الإسلام ، الذي يوجد في المسلم طاقة هائلة من القول بالحق ، والحكم بالعدل .

ان الحاكم اذا لم يراقب الله مراقبة تملأ بين جوانحه ، ولم يره شهيداً عليه في كل حكم وقضاء ، يجازيه بكل شر اذا لم يعدل فهل يردعـه شيء عن أخذ الرشوة ، وابطال الحقوق ؟ يجيبنا جماعة : أن نعم ، ان هناك رادعاً آخر ، وما هو ؟ انه الضمير ، فقل لهم : هل تجدون هذا الضمير بين كل الف حاكم في حاكم واحد ؟ أنا لا أريد جرح كل حاكم ، ففيهم أناس نزيهون ، ولكن ... ما أقلهم ؟! والمجتمع بحاجة الى نزاهة كل حاكم ، لا نزاهة عدد معدود من الحكام .

هذه الناحية السلبية ، التي اتخذها الإسلام ، وقاية للمحاكم عن الانزلاق الى حضيض الباطل .

●

أما الناحية الايجابية ، فقد أوجب الإسلام رزق القاضي من بيت المال ، ولم يكتف بارتزاقه فقط ، بل جعل له من الحق ، ما يكفي كل حاجاته ، حتى لا تلجئه الضرورة ، الى اتخاذ مسالك ملتوية ، لسد فراغ راتبه المقرر له . وبعد ذلك ، ان مدّ عينه الى أموال الناس ، ينزل الإسلام به عقوبة صارمة ، لأنه فسد وأفسد .

روى أمير المؤمنين عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد اليه في أمر القضاة ، وبعدما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم له صفاتهم ، قال عليه وآله السلام : « ... ثم اكثر تعاهد أمره وقضاياه ، وأبسط عليه من البذل مـــا يستغني به عن الطمع ، ويقل به حاجته الى الناس .

وفي عهد أمير المؤمنين الى مالك الاشتر ، حين ولاه مصر : (... واعلم أن الرعية طبقات ، منها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدول ... وكل قد سمى الله له سهمه ، ووضعه على حده وفريضته .. ولكلٍ حق على الوالي بقدر ما يصلحه .. واختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ... وأكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له في البذل ما يزيح علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ، واعطه من المنزلة لديك ، ما لا يطمع فيه غيره) .

وقال عليه السلام : (من السحت ثمن الميتة .. والرشوة في الحكم ، وأجر القاضي الا قاض يجرى عليه من بيت المال ..) .

وقال عليه السلام : (لا بد من قاض ، ورزق للقاضي) .

الى غيرها ...

وهكذا يعالج الاسلام زيغ الكلام، ويلمس نقطة الضعف ثم يبادر بالوقاية، والعلاج ، حفظاً للحقوق ، وصيانة للقضاء .

●

ولو أخطأ القاضي – وهو بشر غير معصوم يخطىء ويصيب – فلا يحمل الاسلام تبعة الخطأ على المترافعين – كما هـو العادة اليوم – اذ أي جرم لمن ترافع ؟ ولم يحمل ذنب غيره ؟ والله تعالى يقول : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

كما لا يحمل تبعة الخطأ على القاضي ، فإنه اجتهد وحكم بما ارتآه ، ثم من أين يدفع هذه التبعة ، إن كانت مالاً او ما اشبه ؟

بل التبعة على بيت المال ، الذي اعد للمصالح العامة ، وهـذا من اظهر مصاديق المصالح .

روى أصبغ بن نباتة : قال : قضى امير المؤمنين عليه السلام: (ان ما أخطأت القضاة في دم او قطع ، فهو على بيت مال المسلمين) .

وهذه خطوة اخرى ، في القضاء الاسلامي ، لنزاهة القضاة وعدم هدر الحقوق .

●

وبعد ذلك اتخذ الاسلام تدبيراً آخر ، لعدل القضاء ، وجريه وفق الحق والواقع، وهو لزوم عدالة الشهود ، فالشاهد اذا كان عدلاً، يخاف الله تعالى، ولا يفعل خلاف مرضاته، لا بد وان يتورع عن الشهادة بالباطل، لرشوة ، او صداقة ، او قرابة ، او ما اليها ...

أما اليوم ، والشهود – ما اكثرهم ؟! – ولو كان شاهداً حركته الشهادة

دراهم معدودة ، او صداقة طفيفة ، او ما اشبه... فترى الحقوق مهدورة ، والقضاء متأرجحاً بين الحق والباطل ، يخطىء ألفاً ،و يصيب واحداً .

وكثيراً ما يرى مراجعوا المحاكم، اسراباً من الناس المتبعثرين هنا وهناك، ولو سئل : ماذا يريدون ؟ كان الجواب : يريدون الشهادة ... واية شهادة؟ شهادة الدراهم .

حتى أن بعض الحكام النزيهين ، يتحير : كيف ينقذ الحق من هـذه الشهادات المستعدة لتعضيد الباطل؟ ولا أنسىأن حاكماً حكم بإخراج هؤلاء من دائرة المحكمة ، ولكن ... ماذا يفيد هذا العمل الفردي ؟ ما دام الأصل منحرفاً ، فليس كل حاكم نزيه ، ولا كل نزيه يقدر على مثل هـذا العمل .

فالنتيجة اذاً : هدر الحقوق ، وزيغ القضاء ، واستبداد الباطل .

وانظر الى الاسلام ، كيف اتخذ التدابير لصيانة الحقوق ؟

روى الامام العسكري عليه السلام ، عن آبائه ، عن امير المؤمنين عليه السلام ، قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا تخاصم اليه رجلان، قال للمدعي: ألك حجة: فإن أقام بينة يرضاها ويعرفها ، أنفذ الحكم على المدعى عليه ، وإن لم يكن له بينة، حلف المدعى عليه بالله : ما لهذا قبل ذلك الذي ادعاه ، ولا شيء منه » .

واذا جاء بشهود لا يعرفهم بخير ولا شر ، قال للشهود : أين قبائلكما ؟ فيصفان . أين سوقكما ؟ فيصفان . أين منزلكما ؟ فيصفان ثم يقيم الخصوم والشهود بين يديه ، ثم يأمر فيكتب اسامي المدعي والمدعى عليه والشهود، ويصف ما شهدوا به ، ثم يدفع تلك الى رجل من اصحابه الخيار ، ثم مثل ذلك الى رجل آخر ، من خيار اصحابه .

ثم يقول : ليذهب كل واحد منكما — من حيث لا يشعر الآخر — الى قبائلهما ، واسواقهما ، ومحالهما ، والربض الذي ينزلانه ، فيسأل عنهما ؟

فيذهبـان ، ويسألان ؟ فإن قالوا خيراً ، وذكروا فضلاً ، رجعا الى رسول الله ﷺ فأخبراه ... أحضر القوم الذي اثنوا عليهما ، وأحضر الشهود :

فقال للقوم المثنين عليهما : هذا فلان بن فلان ، وهـذا فلان بن فلان ، أتعرفهما ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ان فلاناً وفلاناً جاءني عنكم فيما بيننا بجميـــل وذكر صالح : انكما كذا قالا ؟ فإن قالوا : نعم ، قضى حينئذ بشهادتهما على المدعى عليه .

فإن رجعا بخبر سيء ، وثناء قبيح ، دعا بهم ، فيقول : أتعرفون فلاناً وفلاناً ؟ فيقولون : نعم ، فإذا ثبت عنده ذلك لم يهتك ستر الشاهدين ، ولا عابهما ولا وبخهما، ولكن ... يدعو الخصوم الى الصلح، فلا يزال بهم حتى يصلحوا ، لئلا يفتضح الشهود ، ويستر عليهم .

وكان رؤوفاً رحيماً عطوفاً على امته .

فإن كان الشهود من اخلاط الناس ، غرباء لا يعرفون ، ولا قبيلة لهما ولا سوق ولا دار أقبل على المدعى عليه فقال : ما تقول فيهما ؟ فإن قال : ما عرفنا إلا خيراً ، غير انهما قد غلطا فيما شهدا علي ، انفذ شهادتهما . وإن جرحهما وطعن عليهما ، أصلح بين الخصم وخصمه ، وأحلف المدعى عليه ، وقطع الخصومة بينهما .

وفي حديث : (إن استمزاج الحقـــوق بأربعة وجوه : بشهادة رجلين عـدلين ، فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان ، فإن لم تكن امرأتان ، فرجل ويمين المدعي ، فإن لم يكن شاهد فاليمين على المدعى عليه) .

●

أما الشاهد ، فالإسلام يؤكد له كل تأكيد ، بأن يتحمل الشهادة ، إذا طلب لتحملها ، ثم يحرم عليه كتمان الشهادة التي عرفها ، ويبالغ في جرمة

شهادة الزور ، وشهادة ما لا علم له به صيانـة للحقوق أن تهدر ، وحفظاً للشهادة أن تزيغ .

أما اليوم : فكل من أحب أن يتحمّل الشهادة تحملهـا ، ومن لم يحب لم يتحملهـا !

وكل من أراد كتم الشهادة !

وكل شخص يقيم الشهادة ، وإن لم يكن عرف الأمر ؟

وهكذا تضيع الحقوق ، ويأخذ الباطل مكان الحق ، وتضج الحقيقة إلى الله تعالى ، بين مدعٍ كاذب ، ومحكمة باطلة ، وحاكم جائر ، وشاهد فاسق ، وحكم زائغ .

وما زلت أذكر : أن رجلاً ـ بمحضري ـ طلب شهادة من صديق له ، في وقفية دار ... فسأل الصديق منه عن الكيفية ؟ لعدم سابق علمه به ، ولما استوعب الأمر ، أقام الشهادة تبرعاً !

أما الشهادة في ظل الإسلام ، فلها شأن غير هذا الشأن .

قال سماعـة : قال الإمام الصـادق عليه السلام ، « في قول الله عز وجل : [ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا] : لا ينبغي لأحد إذا دعي إلى شهـادة ، ليشهد عليها ، أن يقول : لا أشهد لكم » .

وروى يزيـد بن سليط ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال : (وإن سئلت عن الشهادة فأدها ، فإن الله يقول : [إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات الى أهلها] وقال : [ومن أظلم ممن كتم شهـادة عنده من الله] .

أما شهادة الزور ، فما أعظمها في نظر الاسلام ، وان صغرهـا الغرب والشرق ...

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ان شاهد الزور لا تزول قدمه يوم القيامة حتى توجب له النار » .

وروى عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (شاهد الزور لا يقوم بين يدي الحاكم ، حتى يتبوّء مقعده من النار) .

وروى صالح بن ميثم ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : (ما من رجل يشهد بشهادة زور ، على مال رجل مسلم ليقطعه ، الا كتب الله له مكانه صكاً الى النار) .

ولا يتوهم : ان هذا مختص بشهادة المسلم ، بل شهادة الزور محرّمة حتى على غير المسلم .

اسمع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

« من شهد شهادة زور على مسلم أو ذمي او من كان من الناس ، علق بلسانه يوم القيامة ، وهو مع المنافقين ، في الدرك الاسفل من النار » .

وقد قرر الاسلام ، على شاهد الزور ، حداً قاصماً ، لئلا يتبناه أحد .

روى جعفر عن أبيه عليهما السلام : (ان علياً عليه السلام كان اذا أخذ شاهد زور ، فإن كان غريباً بعث به الى حيّه ، وان كان سوقياً بعث به الى سوقه ، فطيف به ، ثم يحبسه أياماً ، ثم يخلي سبيله) .

وروى عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : (ان شهود الزور يجلدون جلداً ، ليس له وقت ذلك الى الامام ، ويطاف بهم حتى تعرفهم الناس ، وتلا قوله تعالى : [ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون ، الا الذين تابوا] قلت : بمَ تعرف توبته ؟ قال : يكذب نفسه على رؤوس الاشهاد حيث يضرب ، وليستغفر ربه عز وجل ، فإذا هو فعل ذلك ، فثم ظهرت توبته) .

هذا هو القضاء الاسلامي ، الذي لم يسبق له في تاريخ الدنيا ، مثيل ، ولم يأتِ الشرق والغرب بمثله ، في تحري الحق ، واقامة العدل ، وما في قضائهم من محاسن ، فإنما هو مأخوذ من الاسلام ، كما أن ما فيها من مساوىء

– وهي كثيرة – فالاسلام يتبرأ منها ، ولا علاج لتطهير جهاز القضاء ، الا بالرجوع الى قوانين الاسلام واحكام القرآن ... [ومن احسن من الله حكماً]؟!

بالاضافة الى ان هذا القضاء السائد اليوم في ربوع الأرض انما هو شبكة محكمة لاقتناص الدراهم ، واهدار الحقوق ، واضاعة الأوقات ، واتعـــاب الحكام والمحـامين والشهود والمدعي والمدعى عليـه ... فرسوم الدعوى ، وأجور المحامين ، ورشي القضاة ، وتملق ذوي الوجاهات بالهدية وما اليها ... تلف للأموال بغير مبرر ! وارتياد المحاكم وبيوت المحامين والوقوف في ساحة المحكمة ونحوها ... اضاعة للأوقات ! ومراجعة الحكام للقوانين المتضاربة وحيرتهم وحيرة المحامين والشهود ، بين الحق والباطل ، والقانون والواقع ، والرشوة والحقيقة ... وما اشبه ... أتعاب بغير فائدة .

وبعد ذلك كله ، يغلب الباطل ، ويُهدَر الحق ، وتُضاع الحقيقة ... أليس هكذا يا أصحاب الضمائر ؟

الدين والدنيا

كون الاسلام ديناً ودنيا له بحث عريض .

وهو أول مبدأ عرفه التاريخ ، وآخر مبدأ كذلك ، يجمع بين هاتين الناحيتين .

فكل دين سبق الاسلام ، عرف في المجتمع بأنه : دين فقط ، أما الدنيا ، فلا ...

وكل مبدأ تأخر في القرون الأخيرة ، كان دنيا فقط ، أما الدين، فلا..

ولو سألت اليهودية والنصرانية ، والبوذية ، والكنفوشيوسية ، والهندوكية والصينية ... وغيرها : ماذا تعني ديانتكم ؟ لأجابوك : انها أنظمة روحية ، وعلاقة ايمانية ، بين القلب والاله ، ولو كانت هناك بعض دساتير الحياة ، فهي تطفل وتبع .

ولو سألت انظمة افلاطون وسقراط ، وماركس وهتلر ، وموسوليني وكبراء واضعي القوانين : ماذا تقصدون من مناهجكم ؟ لأجابوك : انها قوانين لترفيه الحياة ، وتوطيد دعائمها ، اما الدين والروح فلا نقصدهما ، ولو كانت هناك بعض مناهج الروح ، فإنما هي سلبية ـ كالماركسية ـ او تبعية لا يعبأ بها ابداً .

وهذه حقيقة اعترف بها كلا او بعضاً ، حتى خصوم الاسلام .

يقول جرجي زيدان ، في تاريخ التمدن الإسلامي : « الخلافة ضرب من الملك خاص بالاسلام لم يكن في سواه من قبل ، وهي من قبيل السلطة الملكية المطلقة ، ولكنها تمتاز عن سلطة القياصرة والامبراطوريين والأكاسرة ، ان الخلافة تشمل السلطتين : الدينية والدنيوية ، فتحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي ، في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة اليها . وأما تلك فتنحصر في حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية » .

وهذه الصفة سمة بارزة في الاسلام ، حتى ترى أن كل منهج من مناهجه ، وكل حكم من احكامه ، مزيجاً من الدين والدنيا ، سواء كانت الجهة الغالبة التي وضع الحكم لأجلها ، ديناً ، أم كانت الجهة الغالبة دنياً .

فالصلاة مثلاً : مع كون الجهة الغالبة فيها الدين ، ترى الفوائد الدنيوية فيها على أكمل وجه ، حتى لو انها وضعت لفائدة الدنيا لم يكن فيها اغراق او قصور .

والزكاة مثلاً : مع كونها وضعت للمصالح الدنيوية — فإنها حق مالي كما هو معلوم — لا يفوتها شيء من الأغراض الأخروية ، حتى انها لو وضعت لمصالح الآخرة ، لما كانت شيئاً وضع في غير موضعه .

وأراني بحاجة الى نقل جملة اخرى من كلام جرجي زيدان حتى تسمع ذلك من ألسنة غير مسلمة .

يقول : (... واعمال الدولة محصورة في النبي ، وتشمل السياسة والادارة والدين ، ففرضت الصلاة والزكاة وغيرهما من الفروض ، التي تعد من قبيل الدين ، ولا نبحث فيها الا من حيث دخلها في تأسيس الدولة) .

أما الصلاة في الجماعة ففائدتها في الدنيا : الاتحاد والطاعة للامام ، وأما الزكاة فإنها قوام الدولة ، وأساس مصالحها ، فهي اصل بيت المال الذي نعبر عنه بنظارة المالية .

ولا يخفى أن للدول نظامات مختلفة ، وفيها الملكي والجمهوري والمطلق والمقيد ، ولكل دولة قوانين تختلف عما للأخرى ممـا لا يحصره وصف ، ولكنها ترجع كلها إلى امرين أساسين ، تشترك فيهما جميعاً : (المال والجند) وما من دولة مهما كان نوع نظامها إلا وفيها الجندية والمالية ، إذ لا قوام لها بدونهما ، وربما كانت الحاجة اليهما في أوائل الدولة أشد مما بعدها . والمسلمون هم الجند واتحادهم بالصلاة والركوع والمؤاخاة هو نظام الجند ، والزكاة عبارة عن المال اللازم لبقاء الجند .

فأساس الدولة الاسلامية ، هذه الآية :

[وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واركعوا مع الراكعين] .

والزكاة توطد عرى الاتحاد ، وهو أساس الاسلام ، بأن يؤخذ من أغنياء المسلمين مما يزيد من أموالهم ، فيعطى الفقراء منهم ، فيؤخذ زكاة ويعطى صدقة ، ويمثل ذلك جلياً قول النبي لمعاذ لما بعثه إلى اليمن ، إذ قال له :

« انك تأتي قوماً اهل كتاب ، فادعهم إلى شهـادة : ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فاعلمهم ان الله قد فرض عليكم : خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطـاعوا لذلك ، فاعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة ، تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فإياك وكرائم اموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

وفي فرض الزكاة على الأغنيـاء واعطائها للفقراء حكمة عالية ، لأنهـا تسترضي الفقراء ، وهم الجمهور الاكبر ، وخصوصاً في عصور الجاهليـة أيام الاستبداد والاستئثار ، فجاء الاسلام لنصرة الضعيف ، والمساواة بينه وبين القوي ، ولذلك كان الناقمون على النبي ﷺ من كبار القوم الذين ساءهم أن يشاركوا فقراءهم بأموالهم وان يكونوا اخوة لهم .

وكذا غير الصلاة والزكاة ، من سائر أحكام الاسلام ، عبادة كانت ، ام معاملة ، أم عقداً ، ام ايقاعاً ، ام قصاصاً... ام غيرها ...

•

وقد أجمل الكتاب والسنة ، في بيان النسبة المزدوجة الاسلامية في آيات وروايات ، بالاضافة الى التصريح او التلميح اليها ، في كل حكم ، وفي مناسبة ومناسبات...

يقول الله تعالى : [فمن النـاس من يقول : ربنا آتنـا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيـا حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا] .

ويقول : [قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعبـاده والطيبات من الرزق ؟ قل : هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة] .

ويقول : [وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنسَ نصيبـك من الدنيا ، وأحسِنْ كما احسن الله اليك] .

ويقول : [كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له ، بلدة طيبـة ورب غفـور] .

ويقول : [فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة] .

ويقول : [الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحيـاة الدنيا وفي الآخرة] .

وغيرها... وغيرها .

وقال الامام الحسن (ع) : (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) .

وعن الباقر (ع) : (فعون العون الدنيا على الآخرة) .

وروى الصدوق عن الامام (ع) : ليس منا من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه .

وعن أبي جعفر (ع) : (من كسل عن طهوره وصلاته فليس فيه خير لأمر آخرته ، ومن كسل عما يصلح به أمر معيشته فليس فيه خير لأمر دنياه) .

وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال ، (إني لأبغض الرجل - أو : أبغض للرجل - : أن يكون كسلاناً من أمر دنياه ، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل) .

وروى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام ، قال : (إن في حكمة آل داود : ينبغي للمسلم العاقل ألا يرى ضاغطاً إلا في ثلاث : حرسه لمعاش ، أو تزود لمعاد ، أو لذة في غير ذات محرم) . الى غيرها... من أحاديث كثيرة .

وقد كان كبراء الاسلام ، من رسول الله صلى الله عليه وآله ... الى علي عليه السلام ، الى سائر الأئمة (ع) ، أمثلة حية لهذا الجمع بين الدنيا والآخرة ، فكانوا يصلون ويصومون ويتهجدون ويقرؤن القرآن ويعبدون، على نحو مدهش، لا يتحمله حتى الزهاد والعباد ! ومن طرف آخر ، كانوا يعملون ويزرعون ويتجرون ويأكلون الطيب ، ويلبسون الفاخر ، ويركبون الفارهِ ، ويتزوجون ثيبات وأبكاراً ، ويقتنون الضياع والعقار والدور والدواب .

لا تشغلهم الدنيا عن الآخرة ، ولا الآخرة عن الدنيا .

فهم أفضل مثل ، لقوله تعالى :

[آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة] .

ومما ينسب الى علي أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

(وآخر قد فاز بكلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخرة) .

●

والاسلام بهذه الخطوة الحكيمة ، أي جمعه بين الدين والدنيا وفر للكون – لا للانسان فقط – تقدماً ونظاماً باهراً .

ولنأخذ الانسان مثلاً لذلك :

إنه يحتاج الى :

١ – إشباع العقل .

٢ – إرواء العاطفة .

٣ – تنمية الجسم .

فالمادي مهما كان اسمه : ديمقراطياً، أم شيوعياً ، أم رأسمالياً ، أم نازياً ، أم فاشستياً، أم وجودياً، أم غيرهم... إنما يقوم بالدور الثالث أولاً وبالذات، ويتعداه الى الدور الثاني ، لكن مع زيغ وانحراف ... فهو يتطلب جسماً صحيحاً ، وثروة كافية ، وجمالاً رائعاً ، وثقافة مادية... فحسب ... وهل هناك مطلب آخر للمادي ؟ كلا ! والعاطفة لا بد وان ترتوي من هذه المنابع المادية .

أما الإعتناء بالعاطفة بالذات ، فليس له اي اثر في قاموس الماديين .

واما اشباع العقل والروح ، فإنهم ينكرونهما ... فلا معنى لاشباعهما !

ولذا لا بد للعاطفة والروح ان يتسكعا، ويخبطا في الأجواء الخانقة خبط عشواء .

إن الانسان كما يحتاج الى الطعام ، فإذا لم يجد الطيب، لا بد وان يتناول الخبيث .

كذلك العاطفة ، لا بد لها ان تشبع ، فإذا لم تجد مطلبها ، لا بد وان ترتوي من الآسن الآجن .

وهكذا الروح ، انها تتطلب الحقيقة ، فإذا سدت الأبواب امامها ، احتشت بالخيال والباطل .

وتوضيحاً لذلك نقول :

ان الشخص لا بد وان يعتقد بمبدأ ومعاد وافراد — وهذه هي الجانب العقلي والروحي .

والماديون يعتقدون بالطبيعة مبـــدأ ، والإنعدام اخيراً ، وزعماء ظنوهم وطنيين ، او ادباء واضرابهم ، ويتخيرونهم تخييراً .

وكذلك الفرد ، لا بد له من حب وألفة واخلاء وميول — وهـــذه هي الجانب العاطفي — .

والماديون يضعون حبهم في كف فتاة عشقوهــــا ، أو العكس وولائهم لوطن يعدونه في الخيال ، وألفتهم لجماعة يقربهم واياها لسان او ثقافة او ما اليهما .. وهذه الميول والعشراء انمـــا يهتم بهما المادي ، توفيراً للرغبـات الجسميـــة ، وبذلك يكون النصيب الأوفر من الاهتمام منصبـاً على الغرائز الجسميـــة .

وفي هاتين النقطتين ، يمتاز المادي عن الذي جمع بين المادة والروح .

فالجامع بين الجهتين :

يعتني بالعقل والعاطفة اعتنائه بالجسم ، ولذا يكون معتقده ببرهـــان ، وعطفه بمنطق .

أما تحشية الذهن بعقائد خيالية ، واملاء العاطفة بميول زائفة فمعنى ذلك شل هاتين القوتين المودعتين في الانسان !

واذا أردنا ان نحلل الفارق بين الجامعي والمادي ، رأينا : ان المـــادي شل ثلثي قواه ..

فاسأل منه : ما هذه الطبيعة التي تعتقد بها مبدأ ؟ وهل انهـــا قادرة عالمـة حكيمة ؟ ... وثم : هل هـــذه الأكوان من فعل جاهـل عاجز أصم اعمى ؟ .

واسأل منه : هل هذه المظالم التي يأتي بها المجرمون ، تذهب هباءاً بلا

مكافات ؟ وهل الحسنات التي يأتي بها المصلحون تذهب سدى بلا جزاء ؟..
وثم : هل من بدأ بحكمة لا يثيب المطيع ولا يعاقب العاصي ؟

واسأل منـه : هل هـــذه الزعماء والأفراد الذين اتخذتهم قدوة ومحل تقديس ، يستحقون ذلك ؟

وهذا هو الفارق الأول بين الجامعي والمادي :

فالجامعي : يعتقـــد بإله عالم قدير حكيم ، خلق الأشيـاء عن ارادة واختيار ، ويعتقد بمعاد يجازى فيه المحسن بالثواب ، والعاصي بالعقـاب ، ويعتقد بأنبياء واوصياء جمعوا من الفضـائل اكبر قدر ممكن ، وتنزهوا عن كل رذيلة ، وكل هذه المعتقدات منطقية مائة في مائة ، حينما لا يقوم المادي — في هذه الناحية — أي دليل وبرهان .

إذاً فالجامعي يشبع عقله بغذاء صالح يلائم الحق والواقع ، بينما المادي أفلس في هذا الميدان — اشباعاً لرغبـــات العقل ـ الى التسكع ، وتحشية الذهن بالأوهام والخياليات .

هذا بالنسبة إلى الطاقة العقلية .

●

أمـــا الطاقة الروحية ـ وهي الفرق الثاني بين الجامعي والمـادي ـ فاسأل المادي :

هل حبك لفتاة تزاملك في المدرسة أو المصنع ، منطقي ؟ وهل ولاؤك للوطن الموهوم ، بل الوطن البشري الأكبر ، قائم على برهان ؟ وهكذا ؟

وهذا هو الفارق الثاني بين الجامعي والمادي :

فالجامعي يشبع عاطفته ، بميول عادلة : يحب زوجتـه واهله بدل حب فتاة ، فإن الأول بناء للحياة ، والثـاني هدم لها ، وتخصيص ولاءه بالوطن

البشري العام ، يحب لمن لم يجمعه وإياه جامع قريب ما يحب لمن جمعه واياه جلد أو ثقافة أو هواية .

وهذا بالنسبة الى الطاقة العاطفية .

ويتلخص الفارق بين الجامعي ـ ونعني به المسلم ـ وبين المادي :

ان الجامعي يولي اهتمامه بالعقل والعاطفة والجسم كلا بالاستقلال فينتقي الغذاء الروحي للعقل ، والميول المستقيمة للعاطفة ، والملاذ الصحيحة للجسم.. أما المادي فهو يهتم كل الاهتمام بالجسم ... ولا عليه بعد ذلك أن يمتلىء عقله بالحشيش والنفايات ، وتميل عاطفته نحو المزابل والدمن .

وهنا فارق ثالث ، وهو الفارق في الملاذ الجسمية :

فالمادي يلتهم الملاذ التهاماً ، كالإبل الهيم إذا وردت الماء لا تميز بين الآسن والآجن وبين العذب والفرات.. والجامعي يعبُّ الملاذ عباً ، على قدر وحذر .

وهنا يقف المادي صفر اليدين ، حتى من اشباع الجسم ، لأنه يقع في بؤرة القذارات والأمراض والإفلاس .. إذ الخمر والبغاء والقمار مثلاً ... توجب ذلك الثالوث الرهيب ... بينما يرجع الجامعي بثروة طائلة من المطالب العقلية ، والميول العاطفية ، والملاذ الجسمية .

فالمادي خسر الكل !

والجامعي ربح الكل !

وحيث انتهى دور المقارنة بين المادي والجامعي ، تصل المرتبة إلى المقارنة بين الروحي ـ والروحيون معتنقوا سائر الأديان باستثناء الاسلام ـ وبين الجامعي .

والثاني ـ كما عرفت ـ يحظى بتوازن القوى والطاقات ، فكل من عقله وعاطفته وجسمه قد حصل على غذائه الصحيح الكافي .. بينما الروحي أضرب عن الجسم والعاطفة ، فخسر قوتين بخط مستقيم . وروحه لا يمتلىء إلا بما لم يقم عليه منطق ، فيخسر الطاقة الثالثة .

فقد خسر الطاقات الثلاث ايضاً ، كالمادي !

وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو :

ان الماديين قد ملأوا شرق الأرض وغربها .. أمـا الروحيون فهل لهم من مصداق ؟

والجواب : قد كان لهم مصداق ، وهم الرهبان من النصارى والسادو من الهنود .. ومن اليهم .. لكنهم قليلون جـداً ، اليـوم ، حيث تبخرت معتقداتهم في زحام المدنية الحديثة ، وحيث رأوا انهم قد أفلسوا حتى من أعز ما كانوا اقتنوه في أدمغتهم وسلوكهم .. ضربوا مبادئهم عرض الحائط ، وأخذوا يركضون وراء الشهوات الدنيا – كالماديين – بل أصبحوا ماديين بكل قوامهم ، وإن احتفظ بعضهم بالإسم فقط من مبادئهم الموروثة .

وهكذا ربح الاسلام الدين والدنيـا ، وخسر غيره : ماديـاً كان ام روحياً – كليهما .

وقد حاول الماديون أن يتهموا الإسلام : بأنه روحي لا يتدخل في شؤون الحياة ، وأرادوا بذلك أن يستغلوا مرافق الحياة لأنفسهم ويجعلوا منأنفسهم قادة البشر ، لكنهم باؤوا بالفشل ، وكيف يمكن حجب الشمس عنالابصار بالضوضـاء ؟

كما حاول الروحيون : أن يصموا الاسلام بالمادية ، وانه إنما جاء للسيطرة والاستغلال ، وانه خال من المعنويات والروحيات.. ولكن الدعوة الاسلامية بقرآنها وسنتها وعمل كبرائها فضحت مزاعمهم ، فباؤوا بالخسران .

ولسنا في هذا المجال بصدد رد التهم التي وجهت إلى الإسلام وانمـا كنا بصدد بيـان :

ان الدين الصحيح ..

والدنيا المرفهة .

إنما هما في ظل الاسلام فقط . لا في ظل الانظمة الارضية ولا ظل الكتب المنسوبة الى السماء .

●

وإذا أغمضنا النظر عن معتقدات الاسلام ، لنشرح جانبيه الآخرين الروحي والمادي يكاد العجز يأخذ سبيله بما نحن بصدده من جعل كل واحد منهما في قائمة مستقلة ، فإن هاتين الناحيتين قد اشتبكتا اشتباكاً وثيقاً ، حتى ان أقرب الامور المادية يلاحظ فيها الجانب الروحي المهم.. وبالعكس .

فالصلاة الروحية الطابع ، تلاحظ فيها سمات المادية .

والزكاة المادية السمات ، منطوية على الروحيات الفائقة .

وهكذا ...

ولذا نرى أنفسنا مضطرين إلى اتباع ما قوي من أحد الجانبين ، في بيان القائمتين .

ففي قائمة الروحيات :

القرآن ، والدعاء ، والسجود ، والصلاة ، والقنوت ، والركوع ، والحج ، والعمرة ، والصيام ، والذكر ، والمسجد ، والمشهد ، والابتهال ، والصدق ، والأمانة ، والوفاء ، وحب الخير ، والتواضع ، وحسن الخلق ، والشجاعة ، والعدالة .. وغيرها .. وغيرها .

وفي قائمة الماديات :

الزكاة ، والخمس ، والصدقة ، والاطعام ، والضيافة ، والنظافة ، والبيع ، والرهن ، والزراعة ، وتربية المواشي ، واقتناء الدواجن ، وبناء الدور والمسقفات ، وإحياء موات الأرضين ، والصناعة ، والحرفة ، والنكاح والارث ، والحدود ، والسلطة ، والقضاء ، والاجارة ، والسفر ، والاطعمة والأشربة ، وإخراج المعادن وغيرها وغيرها .

وبالجملة :

ليس هناك شأن من شؤون الحياة ، ولا شأن من شؤون الروح .

إلا بينه الاسلام ، إما بالتنصيص إو بالعموم .

وكتب الأخبار ، والتفسير ، والتاريخ ، والفقه ، ملاء ببيان جوانب الاسلام ولكن الحملات الصليبية التي امتدت ذيولها الى اليوم ، حالت دون استجلاء حقائق الاسلام ، فقصرت عنهـا الأيدي وانتهز المستعمرون هـذه الفرصـة ، فأخذوا يغزون الأفكار بالكتب والمجلات — ومـا اليهـا ، كما استغلوا غفلة المسلمين فطفقوا يشحنون الأدمغة ، بما شاؤوا من الاتهام على الاسلام ، ونسبته الى النقص والرجعية والجمود ، وانه لا يلائم العصر ، ولا يفي بحاجات الشعوب المتحضرة ، والأمم المتمدنة .

وهكذا تقلص : الاسلام عن المجتمعات بعاملين :

١ — قصور حملته .

٢ — هجوم أعدائه .

ولكن طبيعة الاسلام الوثّابة ، ومبادئه التقدمية ، مـا ان تراكمت عليها الجهالات ، وأخفتها الشهوات ، ألا وان رمت بها (إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم) ثم يتجلى الاسلام كالشمس في رائعـة النهار ، ومـا هذه الهجمات التي تشن الغارة على الاسلام من الشرق أو الغرب ، من الكتابيين او الملاحدة ، الا كسحابة صيف ، فحالها كما قال الشاعر : (سحابة صيف عن قريب تقشعت) .

وكم رأى الاسلام مثل هذه المآسي ، في تاريخه الطويل :

ففتنة صاحب الزنج ، وحوادث المغول ، وظهور القرامطة ، وحروب الصليبيين ، وغيرها ، وغيرها ... كلها ذهبت وبقي الاسلام .

وهكذا يخرج من هذا الصراع المادي ، ظافراً منتصراً [إنا نحن نزلنـا الذكر وإنا له لحافظون] .

النشاط

الطاقات التي يتمتع الانسان في حياته بها أربعة :

١ — الطاقة الذهنية .

٢ — الطاقة البدنية .

٣ — الطاقة الزمانية .

٤ — الطاقة المالية .

ويرتبط بكل طاقة من هذه الطاقات ، سلسلة من الأمور الكونية :

فالطاقة الذهنية : يتعلق بها العلم والصفات النفسية ، من غير فرق بين أنواع العلوم وأقسام الصفات ، فالنحو ، والمنطق ، والقرآن والسنة ، والحساب والهندسة ، والفيزياء وعلم الفلك ، والعدل والأمانة ، والشجاعة ، والسخاء ، والاباء والغيرة ... كلها تتجمع عند الطاقة الذهنية .

والطاقة البدنية : تدير الحركات الحسية ، من لامسة ، وذائقة ، وشامة ، وباصرة وسامعة ... فالحركة والسكون ، والتجارة والزراعة ، وتعبيد الطرق وبناء المساكن والمصانع ، وحفر المناجم وإخراج المعادن ... كلها تنبثق عن الطاقة البدنية .

والطاقة الزمانية : تمدُّ الطاقتين الاولين بالوقود ، فكل ثقافة وصفة ، وكل حركة وجري ، تتدرج في مراقي الكمال حتى تصل الى ذروتها المنشودة ، ولولا هذه الطاقة لم يتم للكون عماد .

والطاقة المالية : تنظم مختلف نشاطات الحياة ، فلولاها لم توزع العلوم توزيعاً منظماً ، ولم تقسم الحاجات تقسيماً متوازناً . وأخيراً شلّت قوى كثيرة من القوى الكونية ، بما فيها الانسان .

وهذه الطاقات في ظل الإسلام تتمتع بازدهار وحرية لم يعرفها التاريخ قبل الاسلام ، ولا يجدها الشخص في دنيا اليوم ، لا في بلاد الأجانب الذين لا يدينون بالاسلام ، ولا في البلاد الاسلامية التي ترزح تحت نير الاستعمار .

ونعني بالازدهار تمتع الطاقة بكمالها اللائق بها .

كما نعني بالحرية انطلاق الطاقة من دون أن يكتبها شيء .

●

لقد جعل الله الكون بحيث يتطلب التعاون والاستطلاع والحركة : فقد بعثر الثروة والحاجيات فيه هنا وهناك ، فمناجم الذهب والفضة والماس في محل ، ومعادن النفط والقير في مكان ومنابط التوابل والمطاط والعطور في أرض ، وغابات الحيوان المختلف والأخشاب المتنوع في ناحية ، وهكذا ... ثم جعل في الكون أسراراً أخفاها عن الأذهان ، وجعل لبعضها مفاتح ، ورتب كشف بعضها على اكتشاف بعض .. ثم خلق الانسان مختلف الذكاء والفطنة ، ومتفاوت الصفات والأخلاق ... وبعد ذلك : أنزل الشرائع والكتب على انبياء متفرقين في البلاد ، دعوا الناس الى الصلاح والعلم والتعاون والخير والسعادة ... وما اليها .

وهذه الامور كمقدمة للتعاون والاستطلاع ، فمن عنده شيء احتاج الى تصديره ، ومن يعوزه شيء احتاج الى استيراده ... وهذا يحتاج الى بث عليه ، كما ان ذاك يحتاج الى التعلم .. وهكذا وهكذا ... وعلى هذا لا يجد الانسان مجالاً للتدابر ، ولا بد من التعاون ، لسد حاجته وإصدار فائضه .

ولذا كان العـــالم متشابكاً بعضه مع بعض ، محتاجاً كل جزء منه إلى جزء آخر .

وإنما يتم هذا التعاون والائتلاف بانطلاق الطاقات الكامنة في الانسان وازدهارهـا .

وتتميماً لهذه الغاية النبيلة، جعل الاسلام – وهو دين الله المختار لعباده – النشاطات في سعة وانطلاق ، بحدود التعاون والصلاح العام .

فالطاقة الذهنية : يتعاهدها الاسلام : بجعـل العلم حراً لمن أراد بـل يدعو إلى العلم بكل قواه ، من دون أن يضع له شرطاً او حداً ، إلا انـه يقيده بالحكمة : فطلب العلم فريضة على كل مسلم ، لكنه حر في الكيفيـة والكمية ، كما ان العلم الضار محرم في الشريعة واستعمال العلم للدمـار من أقبح الأعمال الاجرامية ، كما ان الفضيلة وهي من الطـاقة الذهنية ايضاً : واجب في حدود ، ومندوب في حدود .. وبهذه النقـــاط الأربع يفترق الاسلام عن أرقى المبادي وأعدل القوانين !

١ – فتحصيل العلم واجب ، لانطلاق الطاقة الذهنية إلى آفاق بعيدة .

٢ – والانسان مختار في كيفية تحصيله ، ومقدار ما يحصله، تكبت الحرية .

٣ – والعلم للضار محرم ، فلا يجوز استعمال العلم في الدمار .

٤ – والفضيلة ، كالصدق والأمانة والشهادة بالحق .. ومـا اليها واجبة ، ومقدار منها مندوبة .

أما العالم ، فبين من يجعل التعلم اجبارياً ، بدون إعطاء الحرية لحدوده وكيفيته ، كبعض البلاد اليوم .. وبين من يجعل التعلم اختيارياً ، فمن شاء تعلم ، ومن شاء بقي أمياً .. أما العلم الضار فتعاطيه كالعلم النافع . وإلا لما ولدت القنابل المدمرة . وأما الفضيلة فلا شأن للقانون والحكومات بها ، إلا بمقدار الاحتياج اليها في السياسات او الاجتماعيات .

فهل ان الاسلام يرعى الطاقة الذهنيـة أفضل ، ويجعل لهـا من الحدود والمقاييس أجمل .. أم غيره ؟

والطاقة البدنية : ينظمها تنظيماً رائعاً ، لا تجد في القوانين والمبـادىء والأديان مثيلاً له ، ان ذلك رابـع المستحيلات .

فالاسلام يمنح الانسان كل حرية ... في الحركة والجري واستعمال قواه ، وصرف نشاطاته من دون أي قيد أو شرط — سوى الصلاح والعدل — .

١ — فللانسان الحرية في اختيار الأماكن التي يقطنها ، والسفر إلى كل جهة والإتجار بكل شيء .

٢ — كما له أن يستعمل حواسه الخمس في كل ما أراد .

٣ — ولكن ... ليس له أن لا يعمـل ويلقي كله على النـــاس أو يضيـع من يعول .

٤ — كما ليس له أن يعمل بمـا يضرّ نفسه أو يضر الآخرين ، أو يخرج من الحدود المشروعة التي وضعت طبق الصلاح والحكمة .

أما القوانين والمبادىء ، فتكبت الحريات ، فالمكان الذي يريد استيطانه بجنسية وهوية ، والسفر بإجازة ، والاتجار بقدر ، والقلم والكلام برقابة ، وإلقاء الكل وتضييع من لا يعول لا مانع منهما —إلا بندرة — كما ان الاستغلال والاحتكار والربا ، وتعاطي المضرات .. وما إليها ، من غير مانع ، وبعد هذا : فهل الاسلام نظم الطاقة خير تنظيم ، أم المبادىء والقوانين الوضعية ؟

والطاقة المالية :

يعتني الاسلام بها خير اعتناء :

١ — فلكل أحد أن يستفيد من خيرات العـــالم ، بحيازة الأرض واخراج المعادن ، وشق المناجم ، بكل حرية .

٢ — كما انه مختار في كل معاملة مع كل أحد .

٣ — وعليه أن يدفع مقداراً للمصالح العامة .

٤ – ولا يضر نفسه والآخرين ، ولا يخالف القوانين الاسلامية .

أما المبادىء ، فتحدد الاستفادة من هذه الطـــاقة تحديداً ، يكاد يقبر الثروة في صناديق ، ويفلس ملايين من البشر عن كل ثروة فتزم الاستفــادة من الخيرات ، بزمام من القوانين ، حتى انك لو أردت حيــازة مقبرتك من الأرض ، لزم عليك دفع رسوم واعطاء رشوات ، ثم ان الامتيازات تكبت حريات كثيرة ، وهكذا قوانين جائرة للمعاملات .. وما يؤخذ باسم المصالح العامة ينهب ، ويصرف في مصالح خاصة .. وبعـــد ذلك فلك أن تضرّ وتجحف ولك أن تسمح وتسخو .. لا شأن للقوانين بهذه الناحية .

إذاً : فهل اعتناء الاسلام بالطــاقة المالية خير ، ام اعتنـــاء القوانين والمبـــادىء ؟ .

والطاقة الزمانية :

يضع الاسلام لصرفها انظمة ودساتير ، حتى لا تصرف هباءً ولا تستعمل في غير الصلاح . مثلاً : صرف هذه الطاقة بالبطالة والترهل ، في الحفــلات الحمراء .. وما اليها .. محظور ، كما لا يبدد الاسلام هذه الطاقة ، في ساحات المحاكم ، ومكاتب المحامين ، ودور أصحــاب الوجاهة ، لانقاذ الحقــوق من المغتصبين... وهكذا ... فإن الاسلام وضع دساتير لحسم الخصومات وما اليها ، بكل سرعة وبساطة .. وهكذا .. وكذلك عدم صرف هذه الطاقة للكدّ على العيال ، وإصلاح ذات البين ، والسعي في الحوائج .. وما اليها .. مرغوب عنه في الاسلام .

وفي كل ذلك تخالف القوانين الوضعية والمبادىء ومــا اليها .. الاسلام – كما هو واضح – فهل الاسلام وجّـه الطاقة الزمانية خير توجيه أم غيره ؟

هذا نزر يسير من الكلام حول الطاقة والنشاط .. وإنه كيف يصرفهما الاسلام في الخير والصلاح دون غيره .. نكتفي بهذا المقدار في هذا الكتاب .

الحيوان والنبات

الاسلام يعطف على كل ذي روح ، انساناً كان ام حيـــواناً ، ام نباتاً ، عطفاً خاصاً ، ويحوطهم بعنايته ورعيته ، ويكلأهم بفضله ورحمته .

اما الانسان فعطف الاسلام عليه واضح لا غبار عليه ، وقد تقدم شطر منـه .

واما الحيوان والنبات ... فالاسلام يوصي بهما خيراً ويؤكد تعاهدهما بما تزدهر معه الحياة، وتتقدم معه الأحياء، بالاضافة الى ان ذلك من مقتضيات تحنن الاسلام ورحمته الشاملة لكل حي وإن كانت حياته فاقدة للحس والحركة.

أما الحيوان : فهو في ظل ألاسلام في رفاه وراحة ، واعتناء وخـدمة ، ولِمَ لا يكون كذلك ؟ أليس هـو يحس ويتألم ، ويجوع ويعطش ، ويدرك بعض الامور ؟

وقد بلغ من عطف الاسلام بالحيوان : انه جعل النفقة عليه كالصدقة في الثواب ، وندب الى العناية به عناية تامة .

روى الصدوق (قده) عن رسول الله ﷺ ، قال : (الخيـــل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيـــامة ، والمنفق عليها في سبيل الله كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها) .

وروى الحسن بن الحسين العلوي ، قال : قال ابو الحسن (ع) : (من مروة الرجل ان يكون دوابه سماناً) .

وروى اسماعيل بن ابي زياد ، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام ، قال: قال رسول الله ﷺ : (للدابة على صاحبها خصال : يبدأ بعلفها اذا نزل ، ويعرض عليها بالماء اذا مر به ، ولا يضرب وجهها فإنها تسبّح بحمد ربها ، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله ، ولا يحمّلها فوق طاقتها ، ولا يكلفها من المشي إلا ما تطيق) .

والانسان يكاد يدهش من هذه التعاليم الرحيمة – وإن كان لا يدهش ، اذا كان التعليم من الاسلام الرؤوف العطوف – واذا قيس مثل هذا التعليم ، بما يفعله الانسان المتمدن (هكذا !) في القرن العشرين ، بالنسبة الى إنسان مثله ، من القسوة والفظاظة ، تجلّت له روعة الاسلام ، وأيقن حقاً انه دين الكون ، الذي لا استقامة له إلا به .

في الأخلاق والآداب، العدد الثالث من السنة الثانية ، (ص ٥٢) : (لا يزال البيض يصيدون الزنوج القاطنين في الآجام والغابات بالرصاص) .

ويقول غاندي: (إن حكام البلاد والمستعمرين عموماً ، يعاملوننا كالبهائم، لأن الهنود في فقرهم كأوساخ آسيا، أو كأرانب كثيرة العدد ، عديمة القيمة، حتى ان احد خطباء الانكليز في دوربان قال : (إنه يأسف لعدم تمكنه من اصطياد هؤلاء الهنود وقتلهم ، كما يصطاد الأرانب ويقتلها) [١] .

ليس هذا فحسب ، بل يكره الاسلام ، وسم وجوه الدواب ولعنها ... وأكثر من ذلك : انه يكره ضرب الدابة – على الاطلاق – وربما هدّد الضارب بالقصاص يوم القيامة .

---

(١) أنظر (غاندي) أعلام الحرية ، عدد ١١ ص ٤٨ – ٤٩).

روى الامام الصـــادق ، عن آبائه عليهم السـلام قال : (نهى رسول الله ﷺ عن ضرب وجوه البهائم ، ونهى عن قتل النمل ، ونهى عن الوسم في وجوه البهائم) .

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في الدواب : (لا تضربوا الوجوه ، ولا تلعنوها فان الله عز وجل لعن لاعنها) !

قال عـلي: (حججت مع علي بن الحسين عليهما السلام ، فالتاثت عليه الناقة في سيرها فأشار اليها بالقضيب ، ثم قال : آه ... لولا القصاص ! ورد عليه يده عنها) .

هذا حال ضرب الحيوان ! وأكثر من ذلك : أن الاسلام يكره أن يقال لها كلمة بذيئة ولو لم تكن سباً . قال رسول الله ﷺ: (اذا عثرت الدابة تحت الرجل ، فقال لها : تعست ، تقول : تعس أعصانا للرب) .

ومن عطف الاسلام على الدابة ، انه نهى عن ركوب ثلاثة عليهـا ، لأن ذلك يؤذيها، كما انه أمر بتنظيفها وتنظيف محلها، وجعل من الصدقة إطعامها وسقيها .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله ﷺ : (لا يرتدف ثلاثة على دابة ، فان احدهم ملعون) .

وروى عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (ع) ، قال : قال رسول الله ﷺ : (نظفوا مرابضها ، وامسحوا رغامها).

وروى معلى بن خنيس ، عن أبي عبـدالله الصادق (ع) في حديث : (انه خرج ومعه جراب من خبز ، فأتينا ظلة بني ساعدة ، فاذا نحن بقوم نيام، فجعل يدس الرغيف والرغيفين، حتى أتى على آخرهم، ثم انصرفنا، فقلت: جعلت فداك يعرف هؤلاء الحق ؟ فقال : لو عرفوه بالدقة ، والدقة الملح ـ

ثم قال : ان عيسى بن مريم عليهما السلام ، لما مر على شاطىء البحر ،

رمى بقرص من قوته في الماء، فقال له بعض الحواريين : يا روح الله وكلمته، لم فعلت هذا ؟ وإنما هو شيء من قوتك ! فقال: فعلت هذا ، لدابة تأكله من دواب الماء ، وثوابه عندالله عظيم) .

وروى ضريس بن عبد الملك ، عن أبي جعفر (ع) قال : (ان الله تعالى يحب ابراد الكبد الحراء ، ومن سقى كبداً حراء ، من بهيمة او غيرها، أظله الله في ظل عرشه ، يوم لا ظل إلا ظله) .

وفي الحقيقة: ان ديناً يهتم بالحيوان الصامت هذا الإهتمام؛ حتى انه يكره سبه ، ويجعل لسقيه وإطعامه أجراً ... لعظيم ... وهل يجد الشخص ، في القوانين الوضعية، والمبادىء الأرضية، والأديان المزيفة ، مثل هذه الانسانية الرقيقة ، التي تكاد تسيل شفافية وعذوبة ؟

نعم : تجد فيالقوانين الوضعية « أن الانسان - لا الحيوان - بمنزلة آلة. بسيطة في العمل ! وما قيمة آلة بسيطة ؟ ان كان هذا حال الانسان ، فما ترى قيمة الحيوان ؟

وتجد فيها : ان قتل ثلاثة ارباع العالم شيء هين !

وتجد فيها : ان قتل مليونين لأجل سيطرة (ديغول) أمر بسيط .

وتجد ... وتجد ... .

فهل يبقى من شك، في اصلحية الاسلام للقيادة العالمية، من هذه القيادات؟

وأليس من يعطف على الحيوان اولى بالزعامة ممن لا يعطف على الأنسان ؟

●

ولا بد هنا ان نقف قليلاً، امام تشريع الاسلام ذبح الحيوان فإنه قساوة بالنسبة اليه - على ما زعمه المعري وبعض حكماء الهند - أليست المذاهب النباتية اصلح من هذا التشريع ؟

ولكن ... لنا ان نقول في رد هذه المزعمة :

هل يتمكن المعري ومن اليه ان يقطعوا بأن موت الحيوان اخف وطأة عليه من ذبحه ؟

ان قالوا : نعم ، سألناهم ثانياً ، من اين هذا القطع ؟ وما هو الدليل ؟

وان قالوا : لا ، فلعل الاسلام إنما عرف اسهلية الذبح من الموت ، ولذا شرع الذبح ، وفيه خير للانسان ، وللحيوان معاً ، اما الانسان فلأنه يتمتع بلحومها وشحومها ... واما الحيوان ، فلأنه ينقذ من عذاب اكبر — وهو الموت — بتعذيب اخف وهو الذبح ؟

وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو : فليكن الانسان كذلك ، فلماذا لا يجوز قتله ؟

والجواب واضح جداً :

إن الحيوان ايس له إدراك الانسان ، وليس له اختيار الانسان ، وليس له عمران الأرض ودفع الحياة الى الأمام. فهو باختياره وإدراكه، يريد إيقاع هذا الألم عن نفسه ، ولو كان تفادياً عن ألم اشد — فرضاً — بالإضافة الى ان بقاءه سبب لتقدم الحياة ، وازدهار العمران ... كل ذلك بخلاف الحيوان ، فليس له إدراك واختيار ، وبذبحه تتقدم الحياة .

فالفارق بينهما كبير ... وكبير جداً .

ولنا ان نتساءل — اصحاب النبات — اخيراً : أليس النبات روح ؟ فما المبرر لإزهاق روحه؟ وهل تقيمون دليلاً على ان الروح الذي يعتز به النبات، اقل خطراً عنده من الروح الذي يعتز به الحيوان ؟ وأليس هناك حكماء يتحرجون حتى عن إيذاء النبات وسلب روحه ؟ فالجواب الذي تردون به احتجاج اصحاب النبات : هو الجواب عن احتجاجكم انتم اصحاب الحيوان .

●

نعم لقد ندب الاسلام الى آداب ـ حول ذبح الحيوان وإصطياده ـ تقليلاً للأذية مهما امكن ، وتحرياً لراحة الحيوان ، وتخفيفاً من شعوره بالألم الكثير ... وهذه المندوبات خاصة بالاسلام فلا تجد مثيلها في اي دين او مبدأ او قانون .

فمن ذلك : انه كره ان يذبح حيوان في منظر آخر وشرطه أن يكون الذبح بالحديد لكونه اسرع، وندب الى إرسال الحيوان بعد الذبح لخفة النزع، وان تكون الشفرة حادة ... وغيرها .. كما كره الاصطياد بالليل ، وإيذاء الحيوان بأن يعرقب ، وقتل الحيوان عبثاً ... الى غير ذلك .

روى إبراهيم، عن الصادق (ع)، انه قال قال امير المؤمنين: (لا تذبح الشاة عند الشاة ، ولا الجزور عند الجزور ، وهو ينظر اليه) .

وقال محمد بن مسلم ، سألت ابا جعفر (ع)، عن الذبيحة بالليطة (قشر القناة وكل شيء له صلابة ومتانة المؤلف) وبالمروة ؟ قال : (لا ذكاة إلا بحديدة) .

وسأل حمران بن اعين ابا عبدالله (ع)، عن الذبح ، فقال: (اذا ذبحت فارسل ، ولا تكتف ولا تقلب السكين لتدخلها تحت الحلقوم وتقطعه الى فوق ، والإرسال للطير خاصة وإن كان شيء من الغنم ، فأمسك صوفه او شعره ، ولا تمسكن يداً ولا رجلاً) .

وروى جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام ، ان رسول الله ﷺ قال : (من ذبح ذبيحة فليحد شفرته ، وليرح ذبيحته) .

وقال الإمام الصادق (ع) : (اذا اردت ان تذبح ذبيحة ، فلا تعذب البهيمة ، احدّ الشفرة ، واستقبل القبلة ، ولا تنخعها حتى تموت).

وقال الامام الباقر عليه السلام : (يرفق بالذبيحة ، ولا يعنف بها قبل الذبح ولا بعده ، وكره أن يضرب عرقوب الشاة بالسكين) .

إلى غير ذلك .

وهنا أحكام أخر تتعلق بإيذاء الحيوان ، تكشف عن مدى اهتمام الاسلام براحة الحيوان ، وأن لا يمس بسوء مهما أمكن .

روى عبد الرحمن عن الصادق عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (لا تأتوا الفراخ في اعشاشها ، ولا الطير في منامه حتى يصبح ، فقال له رجل : ما منامه يا رسول الله ؟ قال : الليل منامه ، فلا تطرقه في منامه حتى يصبح ، ولا تأتوا الفراخ في عشه ، حتى يريش ويطير) .

وروى عمار بن موسى عن الصادق عليه السلام ، قال : (خرء الخطاف لا بأس به ، هو مما يؤكل لحمه ، ولكن كره أكله ، لأنه استجار بك ، وآوى في منزلك ، وكل طير يستجير بك فاجره) .

وروى ابو زياد ، عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (إذا حزنت على أحدكم دابته - يعني : إذا قامت في ارض العدو - فليذبحها ولا يعرقبها) .

واسمع الى هذين الحديثين ، لتعرف مدى عطف الاسلام على الحيوان وان الاسلام يجعل قاتل الحيوان - عبثاً - عرضة للعقوبة كما يكره أن يذبح حيواناً ينتظر من الانسان الخير والرحمة وبهذا المقدار يلاحظ الاسلام مشاعر الحيوان .

روي القضاعي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : (من قتل عصفوراً عبثاً ، جاء يوم القيامة وله صراخ حول العرش : يقول رب ، سل هذا ، فيم قتلني من غير منفعة ؟) .

قال محمد بن الفضيل للامام الرضا (ع) : كان عندي كبش سنة لاضحي به ، فلما اخذته واضجعته ، نظر إلي فرحمته ورققت له ، ثم إني ذبحته ؟ قال (ع) : (ما كنت أحب لك ان تفعل ، لا تربين شيئاً من هذا ثم تذبحه) .

هذا موجز عن احوال الحيوان ، في ظل الاسلام ، وانه كيف اعتنى به عناية لا يماثلها اي مبدأ او دين ... ولنذكر طرفاً من (النبات) في ظل الاسلام .

●

والنبات اخو الانسان الأصغر، بينما الحيوان اخوه الأوسط ، فكل هؤلاء الاخوة ذوات روح ونمو ، وإن اختلفت الأرواح فروح الانسان يزوده بالنمو والحس والإدراك ، وروح الحيوان يزوده بالأولين فقط ، وروح النبات يزوده بالنمو فقط .

ولنا أن نقول : الانسان ذو أرواح ثلاثة ، والحيوان روحان ، والنبات روح واحدة .

وإذ يكون للنبات روح فقد حثّ الاسلام على رعايته حثاً بليغاً .

روى أمير المؤمنين عن النبي ﷺ ، انه قيل له : (يا رسول الله ، فأي المال خير ؟ الى أن قال : (الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل ، نعم المال النخل) .

وعن رسول الله ﷺ ، أنه قال : (ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه انسان أو طير أو بهيماً ، إلا كانت له به صدقة) .

وروى أبو أيوب الأنصاري ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : (من غرس غرساً ، فأثمر ، أعطاه الله من الاجر قدر ما يخرج من الثمر) .

وروى ابن ابي جمهور – في درر اللآلىء عن النبي ﷺ، أنه قال : (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم الفسيلة ، فإن استطاع ان لا تقوم الساعة حتى يغرسها ، فليغرسها) .

وروى جعفر بن أحمد ، عن الصادق عليه السلام ، أنه قال : (ما في الأعمال شيء أحب الى الله تعالى من الزراعة) .

ولِمَ كل هذه التأكيدات ؟ لأن الزراعة إحياء وعمل .. والاسلام يحب إحياء كل ذي روح ولو كان نباتاً ، كما يحب العمل ، ولا غرابة بعد ذلك في حديثي ابن أبي جمهور وابن احمد .

ثم انظر إلى عطف الاسلام نحو النبات وهل ترى بعد ذلك من مزيد ؟

روى ابو سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ - في حديث - قال: (من سقى طلحة اوسدرة فكأنما سقى مؤمناً من ظمأ) .

وروى ابن مضارب عن الصادق ، (ع) ، قال : (لا تقطعوا الثمار فيصبُ الله عليكم العذاب صبا) ... لكن العلماء حملوا هذا الحديث على الكراهة ، جمعاً بينه وبين غيره ، مما يدلُ على الجواز .

وروى عمار بن موسى عن ابي عبدالله (ع)، قال (مكروه قطع النخل)

ومن احترام الاسلام للنبات: انه جعله - في الحرم - بمأمن ، كما جعل الحيوان في الحرم كذلك .

روى حريز عن ابي عبد الله (ع) ، قال . كل شيء ينبت في الحرم ، فهو حرام على الناس اجمعين .

إلى غير ذلك

هذه نبذة من احوال الحيوان والنبات في ظل الاسلام .

فهل تجد نحوذلك في اي دين او شريعة ، او مبدأ او قانون ؟ .

امـا المبادىء والقوانين ، فدع عنك ذكرها ، انها وجدت لاستغلال الناس واستعبادهم واستثمار البلاد واستعمارها ، وقد رأيت نموذجاً منها - فيما سبق - كالقوانين التي تبيح قتل مليونين ! وقتل ستة ملايين . ! وقتـل وتشريد اثنين وعشرين مليوناً !! وغيرها .. وغيرها .

واما الأديان . فلننقل إليك نص (الكتاب المقدس !) الذي هو مرجع اليهود والنصارى اشهر اديان العالم ، حتى تعرف الفرق بين الاسلام ، وبين سائر الأديان - ولا اقصد دين الله ، فإنه لطيف بعباده بل ديناً يقولون عنه انه دين سماوي ، واليك النص :

انظر :

(التثنية) (الاصحاح العشرون) (من الآية الثالثة عشرة) .

(وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً ، فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً الحثيين ، والأموريين ، والكنعانيين ، والفرزيين ، والحويين واليبوسيين) .

النكاح

الزوجان نواة البشرية ، فلا يتكون الانسان إلا من زوج وزوجة ، إلا أن يشاء الله غير ذلك كما في بدء الخلقة : آدم وحواء عليهما السلام ، وكما في الرسول العظيم : المسيح عليه السلام . والنواة اذا لم تجد الرعاية الكافية ، لم تثمر الثمر الشهي، وكذلك الزوجان، فإنه اذا لم تتوفر لهما أسباب الحياة، يكون الاجتماع نكبة ، أفضل منها حياة الوحش ، أما الأولاد وازدهار الحياة بالتعاون ، فيكون حينذاك من أساطير القصاصين .

والاسلام يحرص الحرص كله في إسعاد الزوجين كموضوع وكوسيلة ، فالسعادة للبشر هي المطلب الأول لكل بشر ... ثم سعادة الزوجين وسيلة لحياة الأولاد في رغد وهناء . ولذا يقرر الاسلام ابتداء التكافؤ بين الزوج والزوجة، ومرجعها الى الروحية أكثر من المادية : فيلزم ان يكون الزوجان متقاربين في العقائد ، حتى ان المسلم لا ينكح مشركة ، والمشركة لا تنكح مسلماً .

قال تعالى : [ولا تَنكحوا المشركات ، حتى يؤمنّ ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ، ولو أعجبتكم ، ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ، ولو أعجبكم ، أولئك يدعون إلى النار ، والله يدعو الى الجنة والمغفرة بإذنه ، ويبين آياته للناس ، لعلهم يتذكرون] .

أما اذا نكح المسلم مشركة ، أو العكس ، فإن الحياة تصبح نكداً ، والعيش مستحيلاً ، لأنه كيف ينسجم من يعتقد بمبدأ مع جميع مقوماته ولوازمه ، مع من يخـــالفه في جميع تلك المعتقدات – اللهم إلا ان ينسلخ احدهما عن مبدئه ، وينخرط في مبدأ الآخر – ولذا نرى الأمم الى يوم الناس هذا يصيغون قوانين وأنظمة لهذه الغاية ، وكان بعض الدول وضعت قوانين لعدم الاعتناء بهذه الناحية ، فاسفرت القوانين عن احد امرين : إما جمع الزوجين على صعيد (اللادينية) وهو صعيد موحد ايضاً ، وإما ولادة مشاكل جمة نكدت حياة الزوجين فانجرت الى الطلاق والشقاق .

وبعـــد اشتراط التكافؤ العقيدي ، يضع الاسلام قوانين للتكافؤ الخلقي والمادي .

قال علي بن مهزيار : كتب علي بن اسباط الى أبي جعفر عليه السلام ، في امر بناته ، وانه لا يجد احـداً مثله ، فكتب اليه ابو جعفر (ع) : فهمت ما ذكرتَ من امر بناتك ، وانك لا تجد احداً مثلك ، فلا تنظر في ذلك رحمك الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينـــه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) .

وقال الحسين بن بشار الواسطي : كتبت الى ابي جعفر (ع) أسأله عن النكاح ؟ فكتب الي : (من خطب اليكم فرضيتم دينه وامانته فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)

وروى محمد بن الفضيل عن ابي عبدالله الصادق (ع) قال : (الكفو : ان يكون عفيفاً ، وعنده يسار) .

كما ان الاسـلام ينفي الفروق القبلية والاقليمية وما اليهما ، فالمسلم كفو المسلم ، مهما كانت صبغة احدهما ، وإن كان الزوج او الزوجة ، دنياً في نفسه ، او سافلاً في حسبه .

عن امير المؤمنين علي (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) : (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، قلت : يا رسول الله ، وإن كان دنياً في نفسه ؟ قال : اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) .

خلق حسن ، وعقيدة صحيحة ، ويسار ... فهل بعد هذه شيء ؟ أما ان الزوج من اي قبيلة ! او هل يحمل شهادة ؟ او من كان ابوه ؟ او ما اشبه ... فأمور لا دخل لها في الحياة والعيش ... ولهذه العلة نفسها ينهي الاسلام عن تزويج سيء الخلق او مشوّه الخلقة ، او الأحمق او المجنون او شارب الخمر ، فإن الزواج ينقلب حينئذ عذاباً ، والعيش صعباً .

قال الحسين بن بشار الواسطي : كتبت الى ابي الحسن الرضا (ع) : (إن لي قرابة قد خطب إلي وفي خلقه سوء ؟ قال : لا تزوجه إن كان سيء الخلق) .

وعن الصادق (ع) ، قال : قال امير المؤمنين : (إياكم ونكاح الزنج ، فإنهم خلق مشوه) .

وعن ابي عبدالله (ع) ، قال : قال امير المؤمنين (ع) : (إياكم وتزويج الحمقاء فإن صحبتها بلاء ، وولدها ضياع) .

وعن محمد بن مسلم ، عن ابي جعفر (ع) ، قال : (سأله بعض أصحابنا عن الرجل المسلم ، تعجبه المرأة الحسناء ايصلح له ان يتزوجها وهي مجنونة ؟ قال : لا) .

وعن ابي عبدالله (ع) ، قال : قال رسول الله (ص) : (شارب الخمر لا يزوج اذا خطب) . وقال الصادق (ع) : (من زوّج كريمته من شارب الخمر ، فقد قطع رحمها) .

●

وبهذه الكيفية يضع الاسلام أول لبنة لحياة سعيدة : زوجان عاقلان كاملان... والزوج ذو يسار وليس بسيء الخلق ولا مشوه الخلقة ولا شارب الخمر، حتى يعربد ويؤذي اهله ، وأحياناً يفعل ما لا يحمد عقباه ، مما يعرفه الجميع .

وهذا هو الميزان الوسط للحياة الزوجية الرفيعة ، اما ان تكون الزوجة جميلة او ثرية ، او يكون الزوج ذا شهادة مدرسية او من بيت رفيع ، او ذا ثروة واسعة ، فإنها لا تحقق الحياة السعيدة ، ولذا نرى أُناساً في هـــذه الأزمنة يبتغون هذه الامور، واذا بالزواج اخذ في القلة ! واذا حصل الشخص على ما يريد ، يصبح العيش بعد ايام قلائل من اصعب الامور .

وهذا ليس معناه ان الاسلام ، لا يعرف الجمال، او يمنع عن تزويج الفقير ... بل بالعكس فالجمال عند الاسلام محبوب (ان الله جميل يحب الجمال) ، ففي الحديث عن الصادق (ع) قال : (المرأة الجميلة تقطع البلغم ...) ، وفي حديث آخر قال (ع) قال : (اذا اراد احدكم ان يتزوج فليسأل عن شعرها ، كما يسأل عن وجهها ، فان الشعر احد الجمالين) . وفي الفقير يقول القرآن الحكيم : [وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله، والله واسع عليم]. وإنما يضع الاسلام الخطوط الأصلية للزواج السعيد وهو ما توفر فيه حسن العقيدة والخلق والعمل والوجه ، وعدم قلة العقل واليسار، وفي ظل مثل هذا الزواج يمكن للزوجين ان يعيشا في هناء ورفاه ... اما في ظل الثروة والشهادة والجمـال والوظيفة وما اشبه ... فأجدر بالحياة ان تكون نكداً ، والعيش ان يكون تعساً .

ولو قارن الشخص بين الزواج الذي كان يتم في ظل الاسلام ، قبل نصف قرن مثـــلاً ، وبين الزواج الذى يتم في هذا اليوم لرأى الفرق جلياً والبون شاسعاً ، فكل عشر زيجـات لا بد وان يقع فيها خمس قضايا طلاق ، مـع

ارتفاع في النسبة او انحطاط كلما كان الزواج اقرب الى المدنية الغربية ... او إلى المبادىء الاسلامية .

●

وليس كل سبب لنكد العيش في هذه الأزمنة منوطاً بعدم انتقاء الزوجين، وإنما يرجع شطر كبير منه إلى عدم كون المعاشرة بين الزوجين على الطريقة الاسلامية ، إذ لا يكتفي الاسلام بالرباط الحسن — كما سبق شطر منه — وإنما يرعى الاسلام الزوجين بعد الزواج رعاية دقيقة ، حتى يسعدا في حياتهما الجديدة ، ولهذه الغاية يشرّع قوانين ويضع أنظمة ، يجمعها قوله تعالى : [فإمساك بمعروف او تسريح بإحسان] .

فالعدالة يلزم مراعاتها بين الأزواج لمن له زوجات : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة] .

وتحصُّن المرأة عن الخلاعة والاستهتار والتبرج ، لئلا يطمع فيها طامع ، ولا تطمع هي في رجل آخر ، واجب محتم : [ولا تبرّجن تبرُّج الجاهلية الأولى] [وقل للمؤمنات يغضضنَ من أبصارهن ويحفظنَ فروجهن ، ولا يُبدين زينتهن إلا لبعولتهن] .

عن أبي عبدالله (ع) ، في رسالة أمير المؤمنين (ع) إلى الحسن (ع): (لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فإن ذلك أنعم لحالها ، وأرخى لبالها وأدوم لجمالها ، فإن المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، واغضض بصرها بسترك واكففها بحجابك ، ولا تطمعها أن تشفع لغيرها ، فيميل من تشفعت له عليك معها ، وابق من نفسك بقية ، فان إمساكك عنهن وهن يرين انك ذو اقتدار ، خير من أن يرين حالك على انكسار) .

أما تزيين الزوجة بما يجلب النظر ، والخروج معها سافرة متبرجة الى الشوارع والملاهي ، والسينما والجامع .. أو ارسالها إلى المدارس والمعاهد ، فان ذلك ليس معناه إلا إيجاد نكد مستمر في الحياة الزوجية ، فانها لو رأت أترابها احسن ثروة ، او اكثر زينة : لطلبت من الزوج ذلك ، وليس كل إنسان يقدر على استجابة شهوات النساء ، فلا بد وأن ينكد العيش ، بالإضافة إلى ما يجره مثل هذه الأعمال من المشاكل الجنسية ، التي كثيراً ما تذهب بشرف العائلة وناموسها إلى الأبد ، وهذا ما وقع فيه المجتمع المتمدن !

وأقل تصفح للعوائل المتحضرة ، كافٍ للوقوف على مدى النكد الذي يسود العوائل في الناس هذا ، ولذا يزداد الطلاق كثرة يوماً بعد يوم .. بالعكس من النكاح الذي يقلّ يوماً بعد يوم .

●

وبعد العدالة والتحصن ، يأتي دور النفقات وحسن المعاشرة .

فالاسلام يوجب على الرجل القيام بنفقات المرأة ، من مأكل وملبس ومسكن .. حسب العرف والوسط ، لا إسراف ولا تقتير . قال اسحاق ابن عمار : قلت لأبي عبدالله (ع) : (ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً ؟ قال (ع) : يشبعها ويكسوها ، وان جهلت غفر لها) . وقال يونس بن عمار : زوجني ابو عبدالله (ع) جارية لابنه اسماعيل ، فقال : (أحسن اليها ، قلت : وما الاحسان ؟ قال : اشبع بطنها وأكسُ جثتها ، ثم قال : اذهبي وسطك الله ما له) . وروى محمد بن مسلم عن أبي عبدالله الصادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) : أوصاني جبرائيل بالمرأة ، حتى ظننت لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبينة .

وأما حسن العشرة ، فالاسلام يحرص عليه بالنسبة إلى عامة الناس (وقولوا للناس حسناً) فكيف بالزوجين ؟. عن أمير المؤمنين (ع) :

(.. فإن المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، فدارِها على كل حال ، واحسن الصحبة لها ليصفو عيشك) .

وقال الإمام الصادق (ع) : (رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته ، فإن الله عز وجل قد ملّكه ناصيتها ، وجعله القيم عليها) .

وقال (ص) : (عيال الرجل أسراؤه ، وأحب العباد إلى الله عز وجل أحسنهم صنعاً إلى أسرائه) .

أما سوء الخلق مع الزوجة ، أو ضربها .. فمما يحذر الإسلام عنه أشد تحذير ، ولقد تعجب نبي الاسلام (ص) عمن يضرب زوجته ثم يعاشرها معاشرة الأزواج ! قال (ص) : (أيضرب أحدكم المرأة ثم يظل معانقها ؟)

كيف والإسلام لا يرضى أن يبيت الرجل عند غير أهله ، فقد قال رسول الله : (هلك بذي المروة أن يبيت الرجل عن منزله بالمصر الذي فيه أهله !) .

هذا .. وعشرات المئات من الأحاديث الأخر .. في طرف المرأة .

●

أما في طرف الرجل ، فالاسلام يضع لرفاهه حدوداً وقوانين فمن الصادق (ع) : قضى رسول الله على فاطمة (ع) بخدمتها ما دون الباب ، وقضى على علي (ع) بما خلفه [1] .

وعنه (ع) ، قال : (.. أيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام ، أغلق الله عنها سبعة أبواب النار وفتح لها ثمانية ابواب الجنة تدخل من أيها شاءت) ، وقال (ع) : (ما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلا كان خيراً لها من عبادة سنة : صيام نهارها ، وقيام ليلها) .

---

(١) يعني ان على الرجل إدارة الحياة الخارجية وعلى المرأة إدارة الشؤون المنزلية ...

وقال (ع) : (أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق ، لم يتقبل منها صلاة ، حتى يرضى عنها) إلى غير ذلك .

وبمثل هــذه الأنظمة والدساتير حصّن الاسلام الزواج والزوجين من الانهيار ، نكاح صحيح ، وعشرة كريمة ... ونفع مثل هذا الزواج وهذه العشرة مزدوجة ، إذ كما يعيش الزوجان في ظله رغداً مرفهاً ، كذلك يقدم سائر الناس من العزاب على الزواج ، بخلاف العكس ، فإنــه لو رأى الفتى او الفتاة ، أن اترابهم وقعـوا في جحيم مقيم من جراء الاقتران ، فرّوا من النكاح امیالاً ، وبالأخص اذا هيـأ لهما المجتمع الاستمتاع الخالي عن الكلفـة والمسؤوليات ، بفتح المواخير ، والملاهي ، والسينماءات ، والمدارس والمسابح المختلطة ، فلمـاذا إذن ... يقاسي الفتى مشقات الزواج ، وهو يقـدر على اشباع نهمته من الشارع والملهى ؟ . انه اذاً لمجنون ! وكذلك الفتاة .

ولذا نرى في المجتمع الغربي تقـل نسبة النكاح ، حتى وصلت الى ستة في الألف ، وبالعكس زادت نسبة الطلاق ، حتى وصلت الى خمس وسبعين في المائـة !.

والاسلام فقط ، بإمكانه ارجاع النكاح السعيد الى المجتمع أمـا الانظمة الغربية والشرقية فلا تزيد الأمر إلا صعوبة واعضالاً .

العائلة

تتكوّن العائلة من أب وأم وأولاد واصهار واحفاد .. والعـائلة في ظل الاسلام فقط ، تسعد وتعيش في رفاه وبلهنية بمـا وضعه الدين من قوانـين لسعادتها ، فهو أول ما يهتم بانتقاء زوجة صالحة لئلا يسري إلى الولد ما بها من خلق سيء ، اذا كانت الزوجة غير صالحة .

قال الامام الصادق (ع) : قال النبي (ص) : (اختاروا لنُطـَفِكم..) وفي حديث آخر قال (ص) : (انكحوا الأكفاء وانكحوا فيهم ، واختاروا لنطفكم) .

أما اذا اختار الانسان امرأة سيئة الخلق ، او مريضة الجسم او دنيـة الأصل كولد الزنا ، فإنها لا بد وان تسري الى الولد ، ولذا يحرص الاسلام على اختيار الزوجة. قال ابراهيم الكرخي لأبي عبدالله (ع) : ان صاحبتي هلكت وكانت لي موافقة وقد هممت أن أتزوّج ؟ . فقال لي : (انظر أين تضع نفسك ومن تشركه في مالك ، وتطلعه على دينك وسرك ، فان كنت لا بد فاعلاً ، فبكراً تنسب إلى الخير ، وإلى حسن الخلق ..) .

ثم بعـد ذلك يأتي دور الرضاعة – بالغض عن ادب المبـاشرة والحمل والولادة – وهنا يضع الاسلام قوانين للرضـاع ، حتى ينشأ الولد صحيح الجسم ، سليم العقل ، مكتمل القوى ، فيكره استرضاع اليهودية والمجوسية

والنصرانيـة وولد الزنا ، وإن كان لا بد فلتُنهى اليهودية والنصرانيـة عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر .

سأل علي بن جعفر عن أخيه موسى (ع) : عن الرجل هـل يصلح له أن يسترضع اليهودية والنصرانية ، وهن يشربن الخمر ؟ قـال : (امنعوهن عن شرب الخمر ما ارضعن لكم) . وفي حديث آخر : (وتمنعها من شرب الخمر ، وما لا يحلّ ، مثل لحم الخنزير) .

بل أكثر من ذلك : أن لا يكون في المرضعة مرض عقـلي او جسمي ، روى الامام الرضا عن آبائه عليهم السلام ، قال : قـال رسول الله (ص) : لا تسترضعوا الحمقاء ، ولا العمشاء ، فان اللبن يعدي .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (تخيروا للرضـاع ، كما تخيرون للنكاح ، فان الرضاع يغير الطباع) :

ولا هذا فحسب ، بل يستحب أن يسترضع الانسان لولده امرأة حسناء ، حتى ينشأ نضراً جميلا !! قال محمد بن مروان ، قال لي أبو جعفر (ع) : (استرضع لولدك بلبن الحسان ، وإياك والقباح ، فان اللبن قـد يعدي) . وفي حديث آخر ، قال الامام (ع) – لزواره – : (عليكم بالوضاء من الظئورة ، فان اللبن يعدي) .

ثم بعد ذلك ، يأتي دور التسمية والتربية والتعليم ، والزواج الحسن :

قال الصادق (ع) : قـال رسول الله (ص) : استحسنوا اسمـاءكم ، فانكم تدعون بها يوم القيامة .

وروى موسى بن بكير عن أبي الحسن (ع) قال : (أول مـا يبر الرجل ولده : أن يسميه باسم حسن ، فليحسن احدكم اسم ولده) .

وقد كان من مهام النبي (ص) : (أن يغير الاسماء القبيحة) على مـا يرويه الامام الصادق عن آبائه عليهم السلام .

أتى رجل إلى رسول الله (ص) وقال : يا رسول الله، ما حق ابني هذا ؟ قال : (تحسن اسمه وأدبه ، وتضعه موضعاً حسناً). وفي وصية النبي (ص) لعلي (ع) : (يا علي ، حق الولد على والده : ان يحسن اسمه وأدبه ويضعه موضعاً صالحاً ، وحق الوالد على ولده : أن لا يسميه باسمه ، ولا يمشي بين يديه ، ولا يجلس أمامه ، ولا يدخل معه الحمام) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين ، ثم أدبه في الكتاب ست سنين ..) وقال (ع) : قال رسول الله (ص) : علموا أولادكم السباحة والرماية ، وقال (ع) : لان يؤدب أحدكم ولده ، خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم ، وقال (ع) : (اكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم ، يغفر لكم) وقال (ع) : (من حق الولد على والده ثلاثة : يحسن اسمه ، ويعلمه الكتابة ، ويزوجه إذا بلغ) .

وإذا نشأ الولد هكذا ، فإنه لا بد وأن يبرّ أبويه ، ويحسن عشرة اخوانه واهله ، وبذلك يظلل على العائلة رفاه ومودة وهدوء واطمئنان ، فينتفع الوالدان بولدهما ، كما ينتفع الولد بوالديه ، أما المدنية الحديثة التي تكفر بكل هذه القيم ، فيسود في ظلها على العوائل تفسخ اخلاقي، وانحراف سلوكي ، وبغض وشحناء عوض الحب والود ، ولا يحتاج هذا إلى دليل أزيد ، من أن ننظر إلى عائلتين احدهما ملتزمة بموازين الإسلام ، في الزواج والرضاع والتربية ، واخراجهما متمدنة بالمدنية الغربية ! ومثل هاتين العائلتين كثيرة الوجود في البلاد الإسلامية ، التي سيطر عليها الكفار المستعمرون ، فغيروا من معالمها ما قدروا ! فترى الأولى تعيش في النعيم ، والأخرى تشقى في الجحيم !

وليس ما ذكرناه من آداب الأولاد — الإسلامية ، هي السبب الوحيد للسعادة ، فإن هناك اموراً اخرى مؤثرة في التربية كالبيئة والمحيط والمدرسة،

وما إليها ، مما عالجها الاسلام معالجة حسنة ، كما أن من الأسباب ، الارشادات الاسلامية حول برّ الوالدين وصلة الأرحام ، والقيام بحقوق الأولاد .

قال معمر بن خلاد ، قلت لأبي الحسن الرضا (ع) ادعو لوالدي اذا كانا لا يعرفان الحق .؟ قـال : (ادع لهما وتصدق عنهما ، وإن كانا حيين لا يعرفـان الحق ، فدارهما فان رسول الله (ص) ، قال : ان الله بعثني بالرحمة ، لا بالعقوق ، وقال ابو جعفر (ع) : (ثلاث لم يجعـل الله فيهن رخصة اداء الأمانـة للبر والفاجر والوفاء بالعهد للبر والفـاجر وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين) وروى محمد بن مروان عن الصادق (ع) قال : (إن رجلاً أتى النبي (ص) فقال ! أوصيني : قال : لا تشرك بالله ، وان حرقت بالنار وعذبت الا وقلبك مطمئن بالايمان ، ووالديك فاطعهما وبرهمـا حيين كانا او ميتين ، وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل ، فان ذلك من الايمان) الى غير ذلك .

وفي باب صـلة الأرحام ، التي هي العروة الثالثة من عرى السعـــادة الاجتماعيـة ، والتي تتجلى اول مـا تتجلى في العـــائلة المكونة من اخوان وأخـوات ، واعمـــام وعمات ، واجداد وجدات ، واخوات وخالات ، واقرباء واحفاد ، يقول القرآن الحكيم : [فاتقوا الله الذي تسائلون بـه ، والأرحام، ان الله كان عليكم رقيباً] ، وقال رسول الله (ص) : (لا تقطع رحمك ، وان قطعتـك) ، وقـــال أمير المؤمنين (ع) : (اذا قطعوا الأرحـام ، جعلت الاموال في ايدي الاشرار) ، وقال الصـادق (ع) : (اتقوا الحالقة فإنها تميت الرجال) قال الراوي حذيفة بن منصور : قلت: وما الحالقة ؟ قال (ع) : (قطيعة الرحم) .

وأما القيـام بحقوق الاولاد ، فهو كقيام الاولاد بحقوق الابوين ، قـال رسول الله (ص) : (يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ، مـــا يلزم لهما من عقوقهما) ، وبر الولد في نظر الاسلام يتلو في الرتبة بر الوالدين ، قال رجل

للصادق (ع) : من أبر ؟ قال : والديك ، قـــال : قد مضيا ، قال : بر ولدك . وروى الصدوق عن الصادق (ع) انه قال : (بر الرجل بولده، بره بوالديه ، وقال (ع) : (ان الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده) أما الولد اذا كان صغيراً فبره آكد ، روى أبو عبدالله (ع) عن النبي (ص) انه قال : (أحبوا الصبيان ، وارحموهم ، واذا وعدتموهم شيئاً ، ففوا لهم ، فإنهم لا يرون الا انكم ترزقونهم) ، وروى كليب الصيداوي ، قـــال : قال لي أبو الحسن (ع) : (اذا وعدتم الصبيان ، ففوا لهم ، فانهم يرون انكم الذين ترزقونهم ، ان الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان) .

وهكذا يربي العائلة الاسلام ، ويرعى الوالدين والأولاد والأرحـام ، حتى يسودها الأمن والرفاه ، والسعادة والخير .. وهكذا تنشأ العـائلة في ظل الاسلام .

أما في ظل الكفر : فزوجان لا يتلائمان ، وأولاد لا يقـام بحقوقهم : فهم من بيت مليء بالمهاترات .. الى روضة اللهو واللعب .. الى مدرسة يكتنفها كل فكر هدام وإثم والحاد .. ثم تفسخ عائلي ، وانهيار اجتماعي !

المتقاربون

تتشابك مصالح افراد المجتمع ، بعضهم مع بعض.. ولكن بعضهم اقرب الى الآخر ، من سائر الناس : كالأصدقاء والجيران والشركاء ، والصحب ، ومن اليهم .. وهؤلاء في ظل الاسلام يحبرون في سعادة واخـــاء ، ومودة وإلفة ، إذ يضع الاسلام قوانين وأنظمة للمبادلة الحسنة بين كل عشير وعشيره وكل جار وجاره .. وهكذا . وبذلك يتوفر لكل متقارب مع آخر نصيبه من الحب والرفاه ، في ظل اخوة اسلامية ، ومودة انسانية ، وبذلك ترتفع سائر المشاكل التي تغص بها المدن والأرياف من جراء عدم زمالة حسنة .

واقل نظرة الى المجتمعات التي سادت عليها الروح الغربية كافية لتصديق ذلك ، فترى كل جار يؤذي جاره ، وكل صديـق يستغيب صديقه وكل شريك يعادي شريكه .. وهكذا .. وهكذا .. ومن راجـع المحـاكم هذه الأيام لرأى ان اغلب المنازعات تدور حول المتقاربين على آخر ، إما الفلاح على الملاك او العكس او احد الشركاء على الآخر ، او الجار على جاره ، او الصاحب على صاحبه .

والاسلام بادىء ذي بدء يقرر مناهج عامة للمعاشرة لترقيق العواطف ، وإثارة كوامن الضمائر نحو الخير والصلاح ، يقول الامـــام الصادق (ع) – لمعاوية بن عمار – : (وطن نفسك على حسن الصحابــة لمن صحبت :

في حسن خلقك ، وكف لسانك ، واكظم غيظك ، واقل لغوك ، وتغرس عفوك ، وتسخو نفسك) .

وقال ابو الربيع الشامي ، دخلت على أبي عبدالله (ع) والبيت غاص بأهله .. فقال : (يا شيعة آل محمد ، اعلموا انه ليس منا ، من لم يملك نفسه عند غضبه ، ومن لم يحسن صحبة من صحبه ، ومخالفة من خالفه ، ومرافقة من رافقه ، ومجاورة من جاوره ، ومما لحة من مالحه ..) . فالاسلام يحب حسن المخالفة للمخالف ، لا التعدي والتفريط ، كما هو شأن العداوات البشرية واذا كان الاسلام ينظر النظرة الانسانية الى الأعداء ، فكيف بالاخلاء والأصدقاء ؟.

والصحبة – كما يدل اللفظ – عامة تشمل جميع انواع المقاربة بالشركة كانت او الجوار او السفر او ما اليها ، حتى ان من مشى مع الانسان أربعين خطوة ، فهو في نظر الاسلام صاحب ، يسأل عنه يوم القيامة ، قال مفضل ابن عمر : (دخلت على أبي عبدالله (ع) ، فقال : من صحبك ؟ فقلت : رجل من اخواني ، قال : فما فعل .؟ قلت : منذ دخلت لم اعرف مكانه ، فقال لي : أما علمت ان من صحب مؤمناً اربعين خطوة سأله الله عنه يوم القيامة . ؟!) .

والإسلام لا يرضى بمجرد المخالطة المجردة ، التي لا يكون معها ودّ وتجاذب ، وانما يريد حسن المعاشرة والمقاربة ، حتى تزيد الصلة ، وتستحكم الألفة ، حتى ان امير المؤمنين (ع) ينصح قائلاً : (خالطوا الناس مخالطة ، إن متم بكوا عليكم وإن غبتم حنوا اليكم) وهكذا يسود المتقاربين – في ظل الإسلام – حب وألفة وصداقة .. لا معاشرة جافة ، فضلاً عن التضارب والتهاتر .. اللذين يسودان العشراء في ظل الكفر .

●

وبعد وضع الخطوط العامة لرفاه المصطحبين ، يقرر الاسلام انظمة لكل قسم من المتقاربين.. فالجار يوصي به الاسلام بكل تأكيد ، روى معاوية بن عمار عن أبي عبدالله (ع) قال : قال رسول الله ﷺ : (حسن الجوار يعمر الديار ، وينسيء في الأعمار) وقال ابراهيم بن أبي رجا ، قال الصادق (ع) : (حسن الجوار يزيد في الرزق) .

وليس معنى حسن الجوار كف الأذى فقط ، او حسن الملاقاة والبشر ، بل اكثر من ذلك ، عن عبدالله الوصافي ، عن أبي جعفر (ع) قال قال : رسول الله (ص) : (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع ، قال : وما من أهل قرية يبيت فيهم جائع ينظر الله اليهم يوم القيامة) .

أما كف الأذية عن الجيران ، فهو اول خطوة يأمر بها الاسلام ، روى طلحة بن زيد عن الصادق (ع) ، انه روى عن ابيه الباقر (ع) ، قال: (قرأت في كتاب علي (ع) ان رسول الله (ص) كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من اهل يثرب : ان الجار كالنفس ، غير مضار ولا آثم وحرمة الجار على الجار كحرمة امه). وعن زرارة عن الصادق (ع) : (إن رسول الله اعطى فاطمة كتاباً ، فإذا فيها : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ..) وعن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عن علي عليهم السلام : ان رسول الله (ص) قال : (من آذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة ، ومأواه جهنم وبئس المصير ، ومن ضيّع حق جاره فليس منا ، وما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه) .

وليس الجار عند الاسلام الى دار او دارين او ثلاث كما عند العرف ، بل الاسلام يريد توسيع دائرة الالفة والأخوة ، والتعاون والاحسان ، عن عكرمة عن ابي عبدالله (ع) : (... ان رسول الله اتاه رجل ، فقال : اني اشتريت داراً من بني فلان ، وان اقرب جيراني مني جواراً من لا ارجو خيره ، ولا آمن شره ، قال : فأمر رسول الله (ص) علياً وسلمان وأبا ذر

– ونسيت آخر وأظنه المقداد – أن ينادوا في المسجد بأعلى اصواتهم بأنه لا إيمان لمن لم يؤمن جاره بوائقه ، فنادوا بها ثلاثاً ، ثم أومى بيده الى كل اربعين داراً : من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله) ، وقال معاوية ابن عمار للصادق عليه السلام : جعلت فداك ، ما حد الجار ؟ قال : (اربعين داراً من كل جانب) .

أما الصاحب ، ولو في السفر ، فيقرر له الاسلام حقوقاً متبادلة ، حتى يعيشا في صحبتها – ولو كانت قصيرة – في حب وولاء ، عن علي بن الحسين عليهما السلام ، قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لجلسائه : تدرون ما العجز ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : العجز ثلاثة : ان يبدر أحدكم بطعام يصنعه لصاحبه ، فيخلفه ولا يأتيه . والثانية ان يصحب الرجل منكم الرجل او يجالسه ، يحب أن يعلم من هو ؟ من اين هو ؟ فيفارقه قبل أن يعلم ذلك . والثالثة : أمر النساء ، يدنو أحدكم من اهله فيقضي حاجته ، وهي لم تقض حاجتها) ، وعن الصادق عن أبيه عليهما السلام، قال : (قال رسول الله (ص) : ثلاثة من الجفاء : ان يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته ، وان يدعى الرجل الى الطعام فلا يجيب ، او يجيب فلا يأكل ، ومواقعة الرجل اهله قبل الملاعبة) .

ويؤكد الاسلام على الرفق بالصاحب ، حتى ان اكثرهما حباً لصاحبه هو الافضل في نظر الاسلام . روى السكوني عن الصادق (ع) ، قال : قال رسول الله (ص): (ما اصطحب اثنان إلا كان اعظمهما أجراً وأحبهما الى الله عز وجل : ارفقهما بصاحبه) بل واكثر من ذلك: روى مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله (ع) عن آبائه عليهم السلام : (ان أمير المؤمنين (ع) صاحب رجلاً ذمياً فقال له الذمي: اين تريد يا عبدالله ؟ قال: اريد الكوفة، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه امير المؤمنين (ع) .. فقال له الذمي : لم عدلت معي ؟ فقال له امير المؤمنين : هذا من تمام حسن الصحبة : ان

يشيع الرجل صاحبه هنيئة اذا فارقه ، وكذلك أمرنا نبينا .. فأسلم الذمي) .

وفوق ذلك كله : إن الاسلام يحب العدالة بين الأصحاب، حتى في النظر، عن جميل بن دراج عن ابي عبدالله (ع) ، قال : (كان رسول الله (ص) يقسم لحظاته بين اصحابه فينظر إلى ذا وينظر الى ذا بالسوية ، قال : ولم يبسط رسول الله رجليه بين اصحابه قط ، وإن كان ليصافحه الرجل ، فما يترك رسول الله يده من يده حتى يكون هو التارك ، فلما فطنوا لذلك، كان الرجل إذا صافحه ، مال بيده فنزعها من يده) .

فهل رأيت انظمة مثل هذه الانظمة ؟ او اخلاقاً مثل هذه الأخلاق ؟ أو هل سمعت بأن ديناً او مبدأ ، يهيء هذا الجو الأخوي الفاضل للناس ؟ نعم : الغرب والشرق يهيئان الجو ! ولكن .. الجو العدائي النفعي الانتهازي الاناني .. ألق بنظرك إلى زعمائهما ، ثم إلى الشعوب التي تظلهم انظمة الزعماء وقوانينهم ، وتكتنفهم الأجواء الموبوءة المشبعة بالكبر والغرور والرذائل .

ومن المؤسف أن عدوى الغرب سرى الى بعض المجتمعات الاسلامية ، فتحجرت الأرواح بالمادية ، ونضب معين الأخلاق في النفوس ، ولا علاج إلا برجوع الاسلام إلى كافة مرافق الحياة .

وأخيراً : يقرر الاسلام حقوقاً عامة ، لتوطيد دعائم المجتمع على التعاون والحب والخير ، حيث تسود الاخوة الصادقة والصداقة العميقة ، قال الحارثي : قلت لأبي عبدالله (ع) : ما حق المؤمن على المؤمن ؟ قال :

(من حق المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره ،
والمواساة له في ماله ،
والخلف له في اهله ،
والنصرة له على من ظلمه ..

وإن كان ناقلة في المسلمين ، وكان غائباً ، أخذ له بنصيبه ،
وإذا مات الزيارة له الى قبره ،
وأن لا يظلمه ،
وان لا يغشه ،
وان لا يخونه ،
وان لا يخذله ،
وان لا يكذبه ،
وان لا يقول له : أف ، واذا قال له : أف فليس بينهما ولاية ،
واذا قال له : انت عدوي ، فقد كفر احدهما !
واذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه ، كما ينماث الملح في الماء) .

يكفر احدهما اذا قال : (انت عدوي) ، ولمَ ذا ؟ لأن المسلم لا يعادي مسلماً ، وانما يعادي المسلم كافراً او الكافر مسلماً وهكذا يأمر الاسلام ، أما الضرب والفحش والنميمة والغيبة ، والتجسس والسعي الى الظالم .. فليست من الإسلام ، وانما هي من اخلاق الكفار ! .

المعاملات

تمحضت المادية الغربية – التي انتشرت حتى طبقت الأجواء ، فلم يبق صقع إلا وعمه ظلامها باستثناء مناطق معدودة تشع فيها أنوار الاسلام، كما تشع الحباحب في الليل المظلم – لجانب الجسد والمادة، فليس للروح في العالم المتمدن! مجال .

كما اختصت الناهيم الدينية السائدة – حالاً – غير الاسلامية من مسيحية ، وبوذية ، وكنفو شيوسية ، وزرادشتية ، بجانب الروح ، فلا ترى لأنظمة الحياة المادية فيها إلا نتفاً ضئيلة ، لا تسمن ولا تغني من جوع .

بقي الاسلام ... فإنه النظام الوحيد الذي يعني بالروح والجسد .

وليس القصد تفصيل هذه الناحية، والمقارنة بين الاسلام وغيره... ، إنما المقصود بيان ان من نواحي الاسلام الجمة ناحية المعاملات، التي هي من شؤون المادة ، فقد قرر الاسلام لتأمين المعاملات بين الناس ، وحفظها من الزيغ والانحراف ، والافراط والتفريط ، ووقايتها من نشوب الخلاف بين المتعاملين قواعد وأنظمة في كثرة هائلة ! ربما لا يكذب القائل اذ قال : إن القوانين المدنية ! (هكذا) السائدة اليوم على وجه الأرض لا تبلغ شأوها ، لا في الصحة والإتقان ، فإنها في القوانين خبر لا عين ، بل حتى في الكثرة والوفرة .

فمثلاً : إن بلغت الأحكام والأنظمة التي قررها الاسلام لتنظم البيع والشراء ... عشرة آلاف حكم وقانون... لا تبلغ القوانين الأرضية الموضوعة لهذه الناحية المعاملية هذا العدد ! أما الصحة والإتقان فيكفي في المقايسة أقل نظرة الى الاحكام الاسلامية ، حيث كانت سائدة على المعاملات ، ثم مقايستها بالاحكام الارضية السائدة اليوم ، حتى نرى البون الشاسع بين تلك وهذه ، ففي ظل الاولى ، ندرت الخيانة والغش والاحتكار والاستغلال والاستثمار والربا ... و... و... و... حتى بلغت المعدوم ، بالعكس من الثانية ، حيث تجد في ظلها اللافح كل انحراف واستغلال وخيانة .

وقد بلغت الاحكام الاسلامية حول المعاملات حداً مهولاً من الدقة وعمق النظر وجودة التنسيق ، بالاضافة الى أنها أخذت توجه المجتمع الى الوجهة الصحيحة ، بالعكس من القوانين الارضية ، التي هي لا تكاد تكون إلا نظماً غايتها تقويم المجتمع بما عليه من عرف وعادة ، نعم : منذ نصف قرن أو أكثر انتبهت الدول الكبرى الى هذه الناحية المهمة من التشريعات الاسلامية، فأخذت تضع القوانين لتوجيه المجتمع .

ولنقتطف جملاً من كتاب (التشريع الجنائي الاسلامي) حول بعض تشريعات الدين ، بتصرف ، المثال على ما زودت به المعاملات الاسلامية — قبل أربعة عشر قرناً — من الدقة والإتقان والتوجيه ، اقتبست منها القوانين منذ زمان قريب ، وأدركت ما فيها من التنظيم الرائع ، والشأو العالي ، وذلك حول آية الدين : [يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين] الخ ... البقرة آية ٢٨٢ التي هي أطول آية في القرآن الكريم .

ونص الآية يشمل عدداً من المبادىء التشريعية والنظريات الفقهية ، وسابين أهمها فيما يلي :

١ — نظرية الاثبات بالكتابة : فرضت الشريعة الاسلامية الكتابة وسيلة لإثبات الدّين المؤجل ، سواء كبرت قيمة الدين أو صغرت ، وذلك قوله

تعالى: [يا أيها الذين آمنوا ، اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه]، وقوله : [ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجله] . ويدخل تحت لفظ الدين كل التزام أيا كان نوعه ، لأن الالتزام ليس إلا ديناً في ذمة الملتزم للملتزم له ، فيدخل تحت لفظ الدين القرض والرهن والبيع بثمن مؤجل والتعهد بعمل وغير ذلك ... وظاهر من النص الذي فرض الكتابة أنه نص عام ومرن الى حد بعيد وأنه يصلح للتطبيق اليوم ، كما كان صالحاً من ثلاثة عشر قرناً ، وكما سيكون صالحاً للمستقبل البعيد ، وهـذه احدى مميزات الشريعة التي هيأتها لتكون غير قابلة للتعديل والتبديل .

وقد كانت العرب يوم نزول الآية أميين (فيهم سبعة عشر كاتباً فقط !) ولو كانت الشريعة كالقانون تأتي على قدر حاجة الناس ، لما جاء بها شيء خاص بإثبات الالتزامات ، أو لجـاء بها ما يتفق وأمية العرب ، فرضت الشريعة الاسلامية الكتابة بـين الأميين ، لتحملهم على ان يتعلموا ، فتتسع مداركهم ، وتتثقف عقولهم ويصبحوا أهلاً لمنافسة الامم الاخرى ، وهذه أغراض اجتماعية وسياسية بحتة ، أما الغرض القانوني ، فهو حفظ الحقـوق وإقامة الشهادات والابتعاد عن الريب والشكوك ، وقد بدأت الدول تأخذ بالناحية القانونية من النظرية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر (الميلادي) حين اشترط القانون الفرنسي — الذي أخذت عنه القوانين الاوربية — ان يكون الدّين مكتوباً اذا زاد عن مقدار معين، لكن شراح القانون رأوا ان نظرية الكتابة في كل صغير وكبير أفضل ، فأخذت بعض دول أوربا برأيهم .

٢ — نظرية إثبـات الدين التجاري : فقد استثنت الآية التجارة من الكتابة بقوله : (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها) والعلة ان الصفقات التجارية تقتضي السرعة ، وهي اكثر عدداً وتكراراً وتنوعاً ، فاشتراط الكتابة فيهـا يؤدي الى الحرج ،

وهذه النظرية هي النظرية السائدة اليوم في القوانين الوضعية الحديثة ، وإنها احدث ما وصل اليه القانون الوضعي في عصرنا الحاضر .

٣ ـ نظرية حق الملتزم في إمـلاء العقد : فقد أوجبت الشريعة أن يملي العقد الذي عليه الحق : [وليملل الذي عليه الحق] ، وذلك حماية لأضعف الطرفين ، إذ صاحب الدين أو صاحب العمـل ربما يجعل شروطاً قاسية على العـامل والمدين ، وهما تحت ضغط الحاجة ... ومن جراء جهلهما ، يقعان تحت وطأة هاتيك الشروط ، فالعقد الذي يمليه القوي يعطي لصاحب العمل كل الحقـوق ويرتب على العامل أو المستهلك كل التبعات ... وقـد جعلت القوانين لحل هذه المشكلة شروطاً تحمي المستهلك من المنتج ... وهكذا .. ولكن المشكلة بعد باقية ، وقد حلها الاسلام ، يجعل الإملاء للملتزم ، والآن في أوربا يحاول العمال ومن اليهم تطبيق هذا النظام ، تخلصاً من هذه المشكلة التي يرزحون تحتها .

٤ ـ نظرية تحريم الامتناع عن تحمل الشهادة ، وقـد قرر الاسلام تحريم شهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، والقوانين الوضعية اليوم تأخذ بها النظرية ... وهناك احكام اخرى في آية الدَّين لم نذكرها اختصاراً .

ومن ذلك تعلم ان القوانين الوضعية اخذت غالب نظريات الاسلام حول الدَّين .

وليعلم المسلمون ان سبب تأخـرنا وانحطاطنا هو اننا لم نطبق الشريعة تطبيقاً عادلاً ولا كامـلا ... واذا كان سبب تأخرنا هو إهمال الشريعة وترك أحكامها ، فلن يجدينا الأخذ بالقوانين شيئاً ، بل سيزيدنا تأخراً على تأخر ، وانحطاطاً على انحطاط ، وإنما عـلاجنا المجدي هو القضاء على سبب التأخر والعودة لأحكام الشريعة .

والاسلام بمـا أنه دين ودنيا ، يحرص على التعامل ، لازدهار الحياة ، وعمـارة الأرض وتقوية الصلات ، ورقي مستوى المعيشة ويتفرع على ذلك

توسع العلوم ، ونفي الفقر والمرض والانحراف الخلقي، ومحو الجرائم حينئذ، حيث ان الاسلام يربط كل ذلك بتقوى الله، ولذا نرى التجارة في ظل الدولة الاسلامية مزدهرة ازدهاراً لا مثيل لها ، حتى في هـذه الاعصر التي كثرت الوسائل النقلية والمواصلات ، ولا نعني بذلك الازدهار الكمي ، فان العـالم اليـوم أنشط في التجارة بواسطة سهولة المواصلات ... بل الكمي الكيفي ، والتجارة اليوم تفقد الأمر الثاني ، مما سبب القلق في التجار والتوتر العصبي، بالغض عن تعاطي الربا ، وارتكاب الاحتكار ، واستنزاف دماء الفقراء ... وما أشبه ... ولا يرجع التوازن الى التجارة العالمية إلا بالعودة الى أحكام الاسلام ، وتطبيق أنظمته على الاخذ والعطاء ، والبيع والشراء .

وقد حثّ الاسلام على التجارة والزراعة ، وجعل انظمة وقوانين لسائر المعـاملات – بالمعنى الأعم – من العارية والاجارة ، والوكالة ، والوقف ، والسكن ، والعمرى، والحبس، والهبـة ، والسبق ، والرماية ، والوصية ، والوديعة ، والمزارعـة ، والمساقاة ، والمضاربة ، والشركة ، والصلح ، والضمان ، والحجر ، والرهن ، والتفليس ، والجعـالة ، والشفعة ، وإحياء الموات ، واللقطة ... وغيرها ... وغيرها ...

روى ابو قـرة ، عن الصادق عليه السلام : (أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للموالي : إتجروا بارك الله لكم ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : الرزق عشرة أجزاء : تسعة أجزاء في التجارة ، وواحد في غيرها) .

وعن علي أمير المؤمنين (ع) قال : (تعرضوا للتجـارات ، فان لكم فيها غنى ، عما في أيدي الناس ، وإن الله عز وجل يحب المحترف الأمين ، المغبون غير محمود ولا مأجور) .

وروى الزعفراني عن ابي عبـدالله (ع) قال : (من طلب التجارة

استغنى من الناس. قلت: (وإن كان معيلاً ؟ قال: وإن كان معيلاً، تسعة أعشار الرزق في التجارة).

وروى هشام، قال: (كان ابو الحسن (ع) يقول لمصادف: اغدُ الى عزك، يعني السوق).

قال اسباط بن سالم: (سأل ابو عبـــدالله (ع) يوماً وانا عنده، عن معاذ بياع الكرابيس؟ فقيل: ترك التجارة، فقال (ع): عمل الشيطان! من ترك التجارة ذهب ثلثا عقله! أما علم ان رسول الله ﷺ، قدمت عير من الشام، فاشترى منها واتّجر، فربح فيها ما قضى دينه ؟!).

وفي حـديث، قال الصادق (ع): (التجارة تزيد في العقل، وترك التجارة مذهبة للعقل). وقال (ع): (أيعجز أحـدكم أن يكون مثل النملة ؟ فان النملة تجر الى جحرها) !

بل أكثر من هذه: إن الاسلام لا يرى موضعاً للدعاء — الدعاء الذي ورد فيـه: [قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم] — لمن يطلب الرزق من غير عمل، قال أيوب: كنا جلوساً عند أبي عبدالله (ع)، إذ أقبل علاء بن كامل: فجلس أمام ابي عبدالله (ع)، فقال: ادع الله ان يرزقني في دعة! قال لا أدعو لك، اطلب كما امرك الله عز وجل). وقال كليب الصيداوي: قلت لأبي عبدالله (ع): ادع الله لي في الرزق، فقد التاثت علي اموري! فأجابني مسرعاً: (لا، اخرج فاطلب).

وقد تحلى كبراء الاسلام وقادة الأعاظم بالتجارة وطلب الرزق، ليقتدي بهم المسلمون:

فقد كان رسول ﷺ — مدة من حياته — راعياً المواشي، كما كان مدة من حياته تاجراً.

وكان علي امير المؤمنين (ع) يزرع، ويكري ، ويحفر الآبار ، ويستقي بالاجرة .

وكذلك جماعة آخرون من الأئمة عليهم السلام – كما حفظ التاريخ – .

روى عبدالله بن الحجاج ، عن أبي عبدالله (ع) ، قال : (إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أظن ان علي بن الحسين يدع خلفاً افضل منه ، حتى رأيت ابنه محمد بن علي ، فأردت ان اعظه ، فوعظني ، فقال له اصحابه : بأي شيء وعظك ؟ فقال : خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقاني ابوجعفر محمد بن علي (ع)، وكان رجلاً بادناً ثقيلاً، وهو متكىء على غلامين اسودين ، أو موليين ، فقلت في نفسي : سبحان الله ! شيخ من اشياخ قريش، في هذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا !! اما انه لأعظنه ، فدنوت منه فسلمت عليه ، فرد عليّ بنهر (ببهر) وهو يتصبب عرقاً ، فقلت : اصلحك الله ، شيخ من اشياخ قريش ، في هذه الساعة على هذه الحالة فيطلب الدنيا !! أرأيت لو جاء اجلك وانت علىهذه الحال ؟ فقال : لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وانا في طاعة من طاعات الله عز وجل، اكفي بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس ، وإنما كنت اخاف لو جاءني الموت وانا على معصية من معاصي الله ، فقلت : صدقت ، يرحمك الله ، اردت ان أعظك فوعظتني) .

وروى عبد الأعلى ، قال : (استقبلت ابا عبدالله (ع) في بعض طرق المدينة ، في يوم صائف شديد الحر ، فقلت : (جعلت فداك ، حالك عند الله عز وجل ، وقرابتك من رسول الله ، وانت تجهد نفسك في مثل هذا اليوم ؟ فقال : يا عبد الأعلى ، خرجت في طلب الرزق لأستغني به عن مثلك) .

وروى علي بن ابي حمزة ، عن ابي الحسن (ع) ، فقال : (انه (ع) كان يعمل فيارض له ، قد استنقعت قدماه فيالعرق ، فقلت: جعلت فداك،

اين الرجال ؟ فقال : يا علي ، قد عمل باليد من هو خير مني ومن ابي في ارضه ، فقلت : ومن هو ؟ فقال : رسول الله وامير المؤمنين وآبائي كلهم ، كانوا قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين ، والأوصياء والصالحين) .

هؤلاء هم كبراء الاسلام ، وواضعوا احجاره الاولى ، يحبذون العمل والتجارة ، ويعملون بأنفسهم ... ليعلم المسلمون ان الاسلام يأمر بالعمل ويحب العمل ، ويكره تارك العمل... وهكذا يزدهر العمل في ظل الاسلام. وينشط المسلم في التجارة والصناعة والزراعة ، إن التزم بدساتير الاسلام ومناهج القرآن .

ثم الاسلام يقرر الحريات – بما في الكلمة من سعة – لأنواع التجارة والزراعة والصناعة وما اليها ، فلا تقيد هذه الامور بأي قيد ، إلا قيود اخلاقية اجتماعية ، تعود على المجتمع والأفراد بالنفع ، ولهاتين الغايتين يقرر الاسلام .

اولاً : حرية العمل ، فالمسلم مسلط على ماله ، يصرفه كيف شاء انى شاء، لا يقيده زمان ولا مكان ولا جهة خاصة وليس على أرباحه وأعماله وتجارته أي قيد حكومى ، فلا جمارك تُرفع فى وجهه ولا موانع تمنعه عن استيراد بضاعة ، أو إصدار بضاعة ، ولا رسوم ولا مكوس ولا حدود ولا قيود ، ولا مقدار لما يريد استيراده أو اصداره . ولا يحتاج الى إجازة من الدولة ، ولا تملق من ذوي السلطة. وهكذا... وهكذا... وفي الزراعة والعمارة... لا قيود ولا رسوم ، ولا ... ولا ... بل من أحيا أرضاً فهي له ، سواء احياها بالعمارة او البناء او ما اليهما، بل بالعكس فالاسلام يشجع على الزراعة والعمارة ... كما لا قيود على استخراج المعادن او الغوص ، او الصناعة ، او الانتفاع بالبر او البحر او الجو .

نعم : على الأرباح الخمس ، وعلى الغلات والانعـــام والنقدين الزكاة .. فحسب ! وتاريخ الاسلام الطويل شاهد صدق ذلك ، وقد خرج بعض الخلفاء الأمويين على أنظمة الاسلام من هذه النـــاحية ، فحدد التجارة ، تحديداً بسيطاً ، ولما استولى عمر بن عبد العزيز على عرش الخلافة ، رفض فيما رفض من البدع ، هذه البدعة ، فرجعت التجارة حرة ، على حسب ما يدل عليه نصوص الاسلام كتاباً وسنة .

وثانياً : أن لا تكون التجارة محرمة ، كالربا ، والاحتكار ، واخـذ الامتياز من شخص ولو كان صاحب السلطة ، فيما لم يقرر له الاسلام ذلك ، وأكل المال البـــاطل ، والاكتساب بالأعيـان المحرمة ، كالخمر والخنزير والمضرات .. ونحو ذلك ، فان الاسلام يحرم هذه الامور . وليس هـذا في الحقيقة تحديداً لحرية التجارة والصناعة وما اليهما .. بل معناها الانطلاق في حدود المصلحة ، وهذه المحظورات امور معينـة معلومة ، لا تزيد ولا تنقص فليس لأحد الزيادة في المحرمـات ، ولا النقيصة فيهـا .. فمثلا : ان الخمر حرام ، من يوم قرر الاسلام حرمتها الى يومنا هذا وبعد يومنـا هذا ، ولا يحللها احتياج الدولة إلى الماليات .. وهكذا .. وهكذا .

ومن ميزات المعاملات الاسلامية التي تفرد بها — بل جعل الخطوط لأجل التحفظ عليها — : البساطة المعاملية ، فان الاسلام يحرص الحرص على سهولة المعاملة كبيرة كانت أم صغيرة ، وذلك توفيراً على الطاقات الزمانية والبدنية والمالية .. وما اليها للمتعاملين ، بل وغيرهم ! . وقد رأى آباؤنا وأسلافهم ، كيف كانت المعـــاملة متسمة بطابع البساطة ، في ظل الاسلام ، فقد كان بائع الدار ومشتريها ، أو البستان او الحمام او الدكان او ما اليها .. يذهبان إلى رجل عالم ، ويتعاملان بهذه الألفاظ القلائل : (بعتك الدار المعينة بمبلغ كذا .. قبلت) وهكذا .. وتكتب الوثيقة ويشهد العـالم وشاهد آخر .. كل ذلك في مدة نصف ساعة او أقل — وهذه الطاقة الزمانية — .. أمـا

الطاقة الجسدية ، فهي مشي إلى بيت العالم مسيرة عشرة دقائق – مثلاً – وبهذا المقدار يصرف من النشاط الجسدي .. وأما الطاقة المالية ، فهي ما يعادل عشرة فلوس ثمن القرطاس ، أضف اليه اجرة الكاتب – ان لم يعرف الطرفان الكتابة – وهي خمسون فلساً على اكثر تقدير .

وأما الغل والغش ، فقد كانا نادرين ، ندرة العنقاء !

وهكذا الوقف . والاجارة . والجعالة . والمزارعة . والمساقاة وغيرها .

وإذا وقعت المنازعة .. فهل المدعي شاهدان ، او ورقة المعاملة ؟. فالحق معه ! والا فالمنكر يحلف ، وله الحق .. وكفى .

أما في ظل الاستعمار ، فالمعاملة من أشكل الامور وأعقدها حيث تبدد من المتعاملين ، وأفراد الدوائر والشهود وغيرهم ، طاقات هائلة : زمانية وجسدية ، ومالية .. ولا نحتاج الى بسط الكلام حول ذلك ، فمن باع او اشترى او وقف او رهن ، او .. او .. يعرف صدق ما ذكرناه تماماً .

واذا وقعت منازعة – فالعياذ بالله – من اللف والدوران ، بين الحاكم والحامين وشهود الزور والرشوة والتمييز والاستئناف و .. و ..

وأما الغصب والنهب ، والغل والغش.. فحدّث عنها ولا حرج ، أليس طريق الرشوة مفتوحاً ؟. أليس جيوب المحامين والحكام تنادي هل من مزيد ؟ أليس شهود (ربع دينار !) يتقربون الى المال بإحقاق باطل أو ابطال حق ؟. أليس ضعف الوازع الديني في النفوس ، فلا يعرفون إلا المادة ؟ .

ومعاملات الاسلام بعد هذا وذاك ، تمتاز بالعمومية ، بمعنى ان الاسلام لا يقيد المعاملة بالحدود الاقليمية وما أشبه .. بل المعاملة حرة عامة لكل من أراد – باستثناء الكافر الحربي – فالمسلم كغير المسلم .. واهل هذا القطر كأهل سائر الاقطار .. وذو الاملاك كالفقير .. كلهم يحق لهم ابتياع الدار

والعقـــار وما أشبه ، أما هذا أجنبي ، وذاك لا يدين بالاسلام ، والثالث له أمـلاك كثيرة فلا يحل له الابتياع ، ونحو هذه المشاكل ، فلا يعرفها الاسلام بتاتاً .

أما في ظل الاستعمار : فكل هذه الامور ، وأضعافها موجودة .

والسر أن الاسلام يريد دفع الحيـــاة الى الامام ، ويريد رقي الارض بالعمران ، ويريد رفاه أبناء آدم وحواء ، من كل جنس ولون وقطر وصبغة، ولذا يضع القوانين والأنظمة لهذه الغاية . أما المستعمر فيزيد خراب الارض، وفقر النـاس ، وجلب الثروة الى جيبه فقط وجعل الناس شيعاً وأحزاباً ، ويحب ان يستعلي على الناس ، فلذا يضع القوانين الموصلة الى غاياته الخبيثة .

الى غير ذلك ... من الاحكام التي وضعهـا الاسلام ، لازدهار المعـاملة — وقد كانت المعاملات كذلك طيلة ثلاثة عشر قرناً ، إبان الحكم الاسلامي ، والآن منذ نصف قرن حيث سيطرت القوانـين الاستعمارية في لهب الكافر الاجنبي ، يرزح البشر — في معامـــلاتهم ، كسائر الشؤون — تحت أنيار وأغلال .

يقول القرآن الحكيم — بصدد المعاملة — :

[إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم] .

ويقول : [أحل الله البيع وحرّم الربا] .

ويقول : [أوفوا بالعهود] .

ويقول : [خلق لكم ما في الارض جميعاً] .

ويقول ... ويقول ... وتقول السنة ... وتقول ...

المرأة

موضوع كثر الكلام حولها .

وغالب الكتاب الاسلاميين — الداعين الى الفضيلة والعفاف — يقارنون بين حال المرأة قبل الاسلام ، وحال المرأة في ظل الاسلام .

وهي مقارنة صحيحة .. لكن الكلام لا ينتهي عند هذا الحد .

وإننـــا بحاجة الى الفرق بين المرأة في المجتمع الاسلامي ، وبين المرأة في المجتمع الغربي .

ولا نريد الإسهاب في هذا الموضوع ، وانمـا نريد عرض طرف من المرأة في المجتمعين ، لنرى هل تتوفر راحـــة المرأة جسدياً وفكرياً ، وصحتها وثقافتها ، ونظافة سمعتها ، وإشباع غرائزها ، وطهارة المجتمع الذي تعيش فيه .. في ظل الاسلام ، أم في ظل الكفر ؟

تعيش المرأة في ظل الاسلام ، ولها من الحقوق والواجبات مثل مـا على الرجل من الحقوق والواجبات ، فهي شق له في كل شيء .. إلا بعض الامور التي استثنيت من جهة عدم المقتضي او وجود مانع ، فهي تشارك الرجل :

في الصلاة ، والصيام ، والخمس ، والزكاة ، والحج .

ولكن حيث أن لها وظائف بيتيـة ، بالإضافة الى خشونة الجهـاد التي لا يناسب ضعفها ودقة جهازها ، ووفرة مشاعرهـــا الرقيقة ، لا يحملها

الإسلام الجهاد على الأطلاق ، بل في ضرورة الضرورة فقط ، كما هو مشروع في كتب الفقه .

كما تشاركه : في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وولاية الصالحين، والبراءة من المجرمين — هذا بالنسبة الى العبـــادة — أما المعاملة — بمعناها الوسيـــع — :

فلها : التجارة . والرهن . والضمان . والوديعة. والمزارعة. والمساقاة . والمضاربة. والشركة . والصلح . والعارية. والاجارة . والوكالة . والوقف . والهبة . والوصية . كما يجري عليها الحجر والفلس .

ولها النـكاح والطلاق — اذا اشترطت — والنذر . والحلف . والعهد . والعتق . والتدبير . والمكاتبة . والاقرار . والجعالة . والصيد . والذباحة . والشفعة . واحياء الموات . واللقطة . والشهادة . والديات . والقصــاص . والارث .

كما ان الطعام والشراب بالنسبة إليها ، كسائر الرجال .

وغير ذلك .

نعم لها بعض احكام خاصة ، في بعض هذه الأبواب لأمور خارجة .

مثلاً : في الارث لها أقل من حق الرجل، لأن الرجل هو القائم بالنفقة، وعليه تبعة المسكن والملبس ، وليس الطلاق بيدهــا على الاطلاق لان حق القيمومة للرجل ، وذلك لأن ادارة البيت لا بد وان توكل الى واحد ، وحزم الرجل اكثر من المرأة ، ولذا جعلت اليه ، وفي قبال هذا الواجب جعل حق الطلاق ، لتكافىء الحقوق والواجبات .

وهكذا .. وهكذا ..

وقد كانت المرأة ، في ظل الإسلام ، تعيش آمنــة سعيدة مرفهة ، لهـا حقوقها ، وعليها واجباتها ، حتى جاء الغرب فرآها محرومة عن (حقين !)

فدافع بكل ما أوتي من حول وطول ، لارجاع الحقين اليها ، وجند لذلك كل عميل وذنب ، بامكانياته المنتفخة .

وما هما الحقان ؟ .

الأول : الحرية — بما في الكلمة من معنى — فلهـا الحرية ، في الذهاب والإياب الى المراقص والملاهي والسينماءات ، والمسابح والمدارس المختلطـة ، كما ان لها حق التبرج والسفور ، واتخـاذ الاخدان والحضور في الحفلات الساهرة ، وتعاطي اللذة البريئة : النظر . والكلام المتكسر . والملامسة . والأمر الأخير !!!) واعتبار كل دعوة الى الحشمة والوقار . والحياء والعفاف. والفضيلة . والأخلاق.. دعوة رجعية ، تنافي الحرية .

الثاني : حق مزاولة النشاطات السياسية ، ككونهـا رئيسة الجمهورية . او وزيرة . او متصرفة . او رئيسة البلدية .. او ما اليها ... ولمَ حرمانها ، وهي شطر الرجل؟ أليس ذلك جموداً، ورجوعاً الى القرون الجاهلية المظلمة، والعصر عصر العلم والتقدم والنور ؟ !

اننا نريد ان ننتقد هذين الحقـين .. ولا نريد ان نقول ان الحق الأول فساد وانهيـار ، لا حرية وحق.. وان الحق الثـاني خداع وغش ، لعدم ملاءمته لنفسية المرأة العاطفية ، وان الأمم التي تدعو الى هذا الحق ، هي بنفسها تحرمها ، ولا تراهـا قابلة لهذا المنصب ، ولذا لم يكن (ايزنهاور) و (خروشوف) و (مكميلان) و (ديغول) ... ومن سبقهم مثـل (روزفلت) و (تشرشل) و (ستالـين) وغيرهم .. وغيرهم .. نساء ...

بل نريد ان نبين شيئاً واحداً : وهو ان المرأة إلى اين وصلت حالتها ، في ظل النظم الغربية ، بعدما كان لهـا كل تجلـّة واحترام في ظل النظم الاسلامية ، لنرى كيف انهارت المرأة وانهارت معهـا الحياة العائلية ، من جراء الدساتير الكافرة التي لا تدين بالله واليوم الآخر .

وبعد ذا نسأل حماة الغرب : هل المرأة في ظل أنظمتكم ارفه حالاً واهنأ عيشاً واكثر سعادة ، ام في ظل الاسلام ؟

ولقد شهد المنصفون من الأجانب ، بما للاسلام من فضل على المرأة .

يقول (سيديو) : (والقرآن — وهو دستور المسلمين — رفع شأن المرأة ، بدلاً من خفضه ، فقد جعل (محمد) حصة البنت في الميراث تعدل نصف حصة اخيها ، مع ان البنات كنّ لا يرثن في زمن الجاهلية .

ومحمد — وإن جعل الرجال قوّامين على النساء — بيّن ان للمرأة حق الرعاية والحماية على زوجها) [1] .

ويقول (غوستاف لوبون) : (والاسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها ، رفعاً عظيماً ، بدلاً من خفضهما ، خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى ، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية احسن مما في اكثر قوانيننا الأوروبية) .

ويقول : (وهنا نستطيع ان نكرر — إذن — قولنا : ان الاسلام الذي رفع المرأة كثيراً ، بعيد من خفضها ، ولم يقتصر فضل الاسلام على رفع شأن المرأة ، بل نضيف الى هذا : انه اول دين فعل مثل ذلك ، ويسهل اثبات هذا ببياننا : ان جميع الأديان والامم التي جاءت قبل العرب اساءت الى المرأة) [2] .

وهنا مقتطفات من كتاب (الحجاب) للمودودي ، للبرهنة على مدى انحطاط المرأة ، في ظل الكفر والديمقراطية ، ونكتفي هنا بالنقل من دون ذكر المصادر التي نقل الكتاب عنها .. واليك النصوص :

---

(١) انظر : الاسلام بين الانصاف والجحود .

(٢) انظر : الاسلام بين الانصاف والجحود .

(وجاء قوم ، فمهدوا الأسباب لاكراه النساء ، وتقدموا بحرفة البغاء ، الى ان اصبحت تجارة دولية منظمة) .

(امر الاجهاض .. ليس هناك قطر من الأقطار ، الا وتقترف فيه هذه الشنيعة علناً وعلى نطاق واسع ، فهذه انكلترا يسقط فيها تسعون الف حمل في كل سنة على اقل تقدير ، وتكون في كل مائة من المتزوجات فيهـا خمس وعشرون ـ على الأقل ـ إما يباشرنَ الاسقاط بأيديهن ، او يستعنَّ عليـه بالمتخصصين ، وترتفع هذه النسبة فوق هذا في غير المتزوجات ، فقد أنشئت في بعض المدن هناك نوادٍ منظمة للاسقاط .. ويكثر في لندن عدد دور التمريض التي تكون معظم المريضات فيها من المسقطات) .

وفي فرنسا (نشر قائد لبعض الفرق العسكرية اعلاناً للجنود التابعة له فيه : قد بلغنا ان عامة الرجالة والخيالة يشتكون من تزاحم رجال البنادق على دور البغاء الجندية .. وان مكتب القيـــادة لا يزال يسعى لزيادة عدد النساء ، حتى يكفين لجميع الجنود ، ولكن قبل ان يتم ذلك نوصي رجال البنادق ، ان لا يطيلوا مكثهم داخل تلك الدور ، ويتعجلوا بقضاء شهواتهم ما استطاعوا) .

وفي فرنسا (ليس على من كان يريد الاتصال بآنسة من الآنسات، إلا ان يعلم الوكالة (الوكالة البغائية) بعنوان تلك الآنسة ، ويؤدي (٣٥) فرنكاً على سبيل الاجرة البدائيـــة ، وعلى الوكالة بعد ذلك ان تراود الآنسة على الأمر . ودلّت سجلات هذه الوكالة على انه لم تكن طبقة من طبقات المجتمع الفرنسي ، إلا وعامل كثير من أناسها هذه الوكالة ، وتمتعوا بخدماتها) .

(لم يعد الآن من الغريب الشاذ وجود العلاقـات الجنسية بين الأقارب في النسب : كالأب والبنت ، والأخ والأخت ، في بعض الأقاليم الفرنسية) .

(ولقد كان عدد النساء اللاتي كن يحترفن البغـــاء قبل الحرب العالمية الأولى : نصف مليون) .

وصرح « مسيو فردينان دريفوس » احد اعضاء المجلس الفرنسي منذ بضع سنوات : ان حرفة البغاء لم تعد الآن عملاً شخصياً بل قد أصبحت تجـارة برأسها ، وحرفة منظمة بفضل ما تجلب وكالاتها من الأرباح الغزيرة ، فلها في هذه الأيام وكلاء يبيثون (المواد الخام) وآخرون يتجولون في البـلاد ، ولها الآن اسواق منظمة ، تستورد فيها ، وتصدر منهـــا الفتيات والصبايا كالأموال التجارية ، واكثر ما يطلب في هذه الأسواق من الأموال هو بنات دون العاشرة .

وربما تبلغ البهيمية في القائمين بها اقصى حدود الظلم والقساوة ، فيقال : ان محافظ بلدية في شرقي فرنسا ، اضطر الى التدخل في هذا الأمر ، لانجاء فتاة كانت قد فرغت في يومهـا من سبعة واربعين وارداً ، وكان عدد منهم بعد بالباب يترقبون .

(وجاءت الحرب العالمية الاولى ، فابتدعت بدعة (البغـاء المتطوع) علاوة على (البغاء التجاري) .. فجعلت هؤلاء النساء يتعاطين البغاء بصورة منظمة ، واصبح تشجيعهن وإعانتهن فضيلة خلقية ، عند أولي الدعـــارة والفجور ، وعنيت الجرائد اليومية الكبرى عنـــاية بالغة ، باستمالة رجال العمل المهن .. وقد نشرت جريدة واحدة في عدد واحد (١٩٩) اعلاناً عن امرهــن) .

يقول بول بيورو : (إن جميع الأزواج المتزوجة في مجتمعاتنا قوم خونة متجردون من الوفاء اللازم للعشرة الزوجية) .

(وقد نجم عن هذه الموبقـــات الأمراض السرية الفتاكة ، فقد اعفت الحكومة الفرنسية ، في السنتين الاولين من سني الحرب العالمية الاولى خمسة

وسبعين الفاً ، لكونهم مصـابين بمرض الزهري ، وابتلي بهذا المرض وحده ٢٤٢ جندياً في آن واحد في سكنة متوسطة) .

ويقول الدكتور الفرنسي (ليريد) : (انه يموت في فرنسا ثلاثون الف نسمة بالزهري وما يتبعها من الامراض الكثيرة في كل سنة .

ولهذه الامور رغبت الرجـال عن النكاح ، فبقيت النساء والرجـال ـ على حد سواء ـ يتعاطون البغاء ، وفسد النظام العائلي .

(فسبعة او ثمانية في الالف هو معـدل الرجال والنساء الذين يتزوجون في فرنسا اليوم) .

وكثر الطـلاق كثرة مدهشة (حتى ان محكمة الحقوق بمدينة (سين) فسخت ٢٩٤ نكاحاً في يوم واحد) .

إلى كثير .. وكثير .. من امثال هذه المآسي التي حلت على البشرية من جرّاء اعطاء المرأة (هذين الحقين) !.

فهل في ذلك خدمة للمرأة ؟ او للرجل ؟ او للمجتمع ؟.

كلا ! فالمرأة سائبة ، لا تجد لقمة الخبز الا بالبغـاء ـ كثيراً ـ وهي مـــع ذلك تتعب وتنصب ، وتهان وتزدرى ، وتهدد لها كل كرامة وحـــق ! .

والرجـل لا يجد القلب الحنـون ، والشق الرؤوف ، كما لا يجـد الأم الرؤوم لأولادها !.

والمجتمع ، لا يجد الفتيان والفتيـات الصالحين والصالحات بـل يخيم في طول البلاد وعرضهـــا الامراض الفتاكة ، والأجسام العليلة والاخـلاق السيئـــة !.

وهكذا الحال في كل مجتمع اعطى للمرأة (الحرية المزعومة !) من غير فرق بين فرنسا . وأمريكا . وروسيا . وانكلترا . والسويد . والمانيا .. كما تشهد بذلك الوثائق الكثيرة .. ولم تنج من هذه المفاسد إلا البلاد الاسلامية ، ولكن على قدر : قدر ما رفضت الانظمة الكافرة ، ولم تخنع للحريات المزعومة .. اما البعض الآخر فحاله حال البلاد الكافرة ، في الفساد الخلقي ، والأمراض والانهيار .

فهل المرأة في ظل الإسلام اكثر كرامة ، واحسن حالاً ، واحفظ حقاً وحرية .. أم في ظل الكفر الذي اخذ اليوم بزمام العالم ؟ . ولا نجاة للمرأة ولا للمجتمع من هذه الويلات ، الا بالتمسك بتعاليم الاسلام .

الثروة

يرى الاسلام الكون جهازاً موحداً ، والانسان هو القيم على هذا الجهاز ، المأمور بكشف سرائره ، وإخراج كنوزه وتوجيهه إلى الأمام ، والانتفاع بما فيه ، على نحو الحكمة والصلاح .. وكيف لا يكون كذلك وهو ممثل الله في الأرض ؟ [وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة] والخليفة ينوب الاصل فيما له .

وقد بعثر الله تعالى الثروات المادية والأدبية ، في أمكنة شتى من الارض والسماء والماء .. فبعض الأماكن يختص بالمعادن الذهبية والماسية — كبعض نقاط أفريقيا — وبعضها يختص بالثروة النفطية كالخليج العربي ، وبعضها يختص بالثروة السماوية كالشرق الاوسط الذي يزخر بالأنبياء العظام.. وهكذا.. وهكذا .

والغاية من ذلك التعاون الشامل بين أفراد الانسان ، من شرق الارض إلى غربها ، ومن شمالها الى جنوبها ، فبعض الأقطار يحتاج إلى بعضها الآخر في الدين .. وبعضها يحتاج الى بعضها في التوابل وبعضها يحتاج الى بعضها في العلم . او الفن .. او الصنعة .. او الثروة .

وقد أنزل الله نظاماً موحداً ، (الإسلام) لتأمين هذا التعاون ، وتأليف اجزاء الكون في إطار من الحب والألفة والسلام .. وهذا النظام يعنى بكل

شيء من إنسان وحيوان ونبات ، وبحار وأنهـــار وقفار ، وسماء وأرض وجبال .. إلى غيرها .. ويعني فيما يعني بالثروة ، بحيث توزع توزيعاً عادلاً بعدما تستخرج استخراجاً كاملاً .

أما التوزيع الجائر ، فليس يرتضيه الإسلام .. كما ان الاستخراج المتلكىء مما يبغضه الدين .

اما الاستخراج ، فالإسلام يحرص الحرص كله على استخراج كنـوز الله المودعة في الكون ، بكل وسيلة .

ولِمَ لا يحرص .؟ هل لان الله يحتاج إليهـا ، واستخراج الكنوز ينقص عن ثروته .؟ فالله الغني وإيجاد الثروة بين (ك ن) و (لا يزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً) كما في دعاء الافتتاح أم لان الكنوز خلقت لغـــاية غير انتفاع الانسان بها يوجب انحرافاً عن تلك الغاية ؟ . فالقرآن ينادي بصوت عال [خلق لكم ما في الأرض جميعاً] ، [كلوا مما في الارض حلالاً طيباً] وفي الحديث القدسي : (خلقت الاشياء لاجلك ، وخلقتك لاجلي) .

أم لان الله يبغض الغنى — بذاته — ؟ فإنه هو الذي أغنى كما في القرآن الحكيم ، وقد قال رسول الله ﷺ :

(نعم العون على تقوى الله : الغنى[1]) .. أم لغير هذه الأمور ؟ . فمـا هي ؟. ثم إذا لم تكن الحكمة في خلق هذه الثروات ، وايداعهـــا بطون الارض ، وظلمات البحار ، وطبقات الجو ، هي انتفاع الانسان ، فما الحكمة في خلقها ؟ وهل خلقهـا عبث ؟. والله يقول : [ومـــا خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين] .

إذاً : فالإسلام يحرص على الثروة وعلى اقتنائهـــا ، وعلى استخراجهـا

---

(١) الوسائل (ج ٢) باب ٢٨ من كتاب التجارة .

[قل : من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ؟.]
نعم يحرم الاسلام التكالب والفساد والطغيان وما أشبه ، وهو بحث آخر .

وإليك نماذج من حرص الإسلام على استخراج الثروة :

١ — استحباب التجارة واختيارها :

روى جميل بن صالح عن أبي عبدالله (ع) : (في قول الله عز وجل : [ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة] قال : رضوان الله والجنة في الآخرة ، والسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا .

قال معلى بن خنيس : رآني ابو عبدالله (ع) وقد أخرت عن السوق ، فقال (ع) : (أغد إلى عزك) .

وروى محمد بن مسلم عن الصادق (ع)، قال : قال امير المؤمنين(ع) : تعرضوا للتجارة فان فيها غنى لكم عما في ايدي الناس .

٢ — كراهة ترك التجارة :

قال حماد بن عثمان : قال ابو عبدالله (ع) (ترك التجارة ينقص العقل) .

وقال فضيل بن يسار قال لي ابو عبدالله (ع) (اي شيء تعالج ؟ فقلت ما أعالج اليوم شيئاً ! فقال كذلك تذهب أموالكم . واشتد عليه) .

وقال معاذ بن كثير لأبي عبدالله (ع) إني قد ايسرت ، فأدَع التجارة ؟ فقال (انك ان فعلت قلّ عقلك ، او نحوه) .

وعن معاذ بيّاع الأكيسة، قال : قال لي ابو عبدالله (يا معاذ ، أضعفت عن التجارة ، او زهدت فيها ؟ قلت ما ضعفت عنها ، ولا زهدت فيها ؟ قال فما بالك ؟ قلت : كنا ننتظر امراً ، وذلك حين قتل الوليد ، وعدي

مال كثير ، وهو في يدي ، وليس لأحد عليَّ شيء ، ولا أراني آكله حتى أموت . فقال : لا تتركها ، فان تركها مذهبة للعقل ، اسعَ على عيالك ، واياك أن يكونوا هم السعاة عليك) !

وقد بلغ من حث الإسلام على التجارة ، انه ندبها حتى في أشد الأحوال، وهو حال الحرب حين يتلاقى الصفان ، قال هشام الصيداني ، قال ابو عبدالله (ع) يا هشام ، ان رأيت الصفين قد التقيا ، فلا تدع طلب الرزق في ذلك اليوم[1].

٣ — استحباب جمع المال وطلب الغنى .

قال عمر بن جميع : سمعت أبا عبدالله (ع) يقول (لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال ، يكف به وجهه ، ويقضي به دينه ، ويصل به رحمه) .

وقال عبد الاعلى ، قال الصادق (ع) ، (اسألوا الله الغنى في الدنيا والعافية ، وفي الآخرة المغفرة والجنة) .

٤ — استحباب العمل باليد .

روى زيد الشحام عن الصادق (ع) ، قال (ان امير المؤمنين (ع) أعتق الف مملوك من كد يده) .

وعن فضيل بن أبي قرة ، عن الصادق (ع) ، قال (كان أمير المؤمنين (ع) يضرب بالمر ويستخرج الارضين . وكان رسول الله ﷺ يمص النوى بفيه ويغرسه) .

---

(١) الوسائل : ج ٢ ، باب ٥ ، من أبواب التجارة .

وفي الحديث : (ان الله أوحى الى داود انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ، ولا تعمل بيدك شيئاً .. وفي آخره : انه عمل الدرع وباعها واستغنى عن بيت المال) .

وعن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : (كان امير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس ، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز) .

وقد تقدم بعض الأحاديث في ذلك .

٥ – استحباب شراء الدار والعقار وما أشبه :

قال زرارة قال الصادق عليه السلام : (ما يخلف الرجل بعده شيئاً أشد عليه من المال الصامت . قلت له : كيف يصنع به ؟. قال : يجعله في الحائط والبستان والدار) .

وعن مرازم عن ابيه ، قال : قال أبو عبدالله عليه السلام لمولاه مصادف : (اتخذ عقدة [الأرض الكثير الشجر] او ضيعة) .

٦ – استحباب طلب الدنيا على حد طلب الآخرة :

قال تعالى : [ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، اولئك لهم نصيب مما كسبوا] .

وروى الصدوق عن الإمام عليه السلام ، قال (ليس منا من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه) ، وقال عليه السلام (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) .

٧ – استحباب الزراعة .

قال هارون الواسطي : سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن الفلاحين فقال (هم الزارعون كنوز الله في أرضه ، وما في الأعمال شيء أحب إلى الله من الزراعة ، وما بعث الله نبياً إلا زارعاً الا ادريس (ع) فانه كان خياطاً).

وروى سيابة عن ابي عبدالله (ع) ، قال سأله رجل ، فقال له جعلت فداك أسمع قوماً يقولون ان الزراعة مكروهة ! فقال له (ازرعوا واغرسوا ، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحل ولا أطيب منه ..) .

وعن يزيد بن هارون ، قال سمعت أبا عبدالله (ع) يقول (الزارعون كنوز الأنام ، يزرعون طيباً اخرجه الله عز وجل ، وهم يوم القيامة احسن الناس مقاماً ، وأقربهم منزلة ، يدعون المباركين) .

٨ – استحباب العمارة .

في حديث عن أمير المؤمنين (ع) قال (.. ان معايش الخلق خمسة الامارة والعمارة والتجارة والاجارة والصدقات واما وجه العمارة ، فقوله تعالى : [هو الذي انشأكم من الارض واستعمركم فيها] فأعلمنا سبحانه انه قد أمرنا بالعمارة ، ليكون ذلك سبباً لمعاشهم) .

٩ – جعل الأرض لمن احياها من دون بدل او اجرة .

روى عبد الرحمن عن الباقر والصادق عليهما السلام ، قالا ، (قال رسول الله صلى الله عليه وآله من احيى ارضاً مواتاً فهي له) .

وروى عبدالله بن سنان عن الصادق (ع) انه سئل عن رجل احيى أرضاً مواتاً ، فكري فيها نهراً ، أو بنى فيها بيوتاً ، وغرس نخلاً وشجراً ؟ فقال (ع) هي له ، وله أجر بيوتها ، وعليه فيها العشر ..) أي الزكاة .

١٠ – استحباب المضاربة .

عن محمد بن عذافر ، قال أعطى أبو عبدالله (ع) أبي ألفاً وسبعمائة دينار ، فقال له اتجر بها لي ، ثم قال أما انه ليس لي رغبة في ربحها – وإن كان الربح مرغوباً فيه – ولكن احببت أن يراني الله عز وجل

متعرضاً لفوائده ، قال فربحت له فيه مائة دينـار ، ثم لقيتـه فقلت له قد ربحت لك فيه مائة دينار ، قال ففرح أبو عبدالله (ع) .

إلى غير ذلك ، من صيد البر والبحر ، والغوص واخراج المعادن ، وحفر الكنوز .. وغيرها .. وغيرها .. مما يحتاج بيانها إلى مجلد ضخم .

كل ذلك يأمر به الاسلام ، لاستحصـال الثروة ، وجلب الغنى ، وطرد الفقر ، وازهار الحضارة ، وعمـارة الأرض ورفع المستوى للمعيشة .. وعلى ضوء هذه النظرة – حول استخراج الثروة – يسهل الاسلام طرق تحصيلها ، ولا يضع أي قيد او شرط على استحصالها :

فلا جمارك ولا مكوس .

ولا ضرائب ولا رسوم .

ولا تحديد ولا تقييد .

ولا حدود ترفع في وجوه التجار ، لان البضاعة محرمة .

ولا حاجة في الاتجار ، او حيازة الأرض ، او اقتناء الدور والعقـار والبساتين ، او استخراج المعادن ، او شق الأنهار ، او امتلاك الآجـام والغابات ، إلى اجازة ، او تحصيل موافقة او غير ذلك .

ولم الحاجة الى هذه الامور ؟. ألأنها محرمة ؟. ولا الحرام في الاسلام إلا امور معدودة .. او لان الدولة تحتاج إلى المال ؟ وما تأخذه الدولة الاسلامية أشياء خاصة .. أو للزوم تكافىء الصادر والوارد وتوازن الاقتصاد ؟ فالحرمة أثمن منها وانطلاق التجارة أدر ربحاً على الدولة والافراد من تقييدهـا .. أم لهواية الحكام في الاسلام إلا من يطبقون نظام الاسلام ، لا من يحكمون حسب شهواتهم [ومن لم يحكم بمـا انزل الله فأولئك هم الكافرون] أم لغير ذلك ، فما هو ؟

أرأيت لو أجازت الحكومة - أية حكومة كانت - الاصدار والاستيراد ، وحيازة الارضين ... وما اليها مما تقدم ... فكم يقدر تقدم العمران ، ورخص الاسعار ، ورفاه الناس ، ونجاتهم من الاغلال الموضوعة عليهم ، وعمارة الارض ! بالاضافة الى استغناء الحكومة عن جهاز كبير من أجهزة الكبت والتقييد . لا ، بل أجهزة متعددة :

جهاز الجمارك .

جهاز الضرائب .

جهاز التسوية وما اليها .

جهاز الاراضي .

وغيرها ... وغيرها ...

وبعد ذلك : فهل الثروة في ظل الاسلام حرة مزدهرة، أم في ظل النظم الغربية وما يتبعها ؟ وهل الانسان أكثر تمتعاً بخيرات الارض والسماء والبحار ... في ظل الاسلام وشريعة السماء أم في ظل الحكومات التي تطبق دساتير الأرض وقوانين البرلمانات ؟

هذه هي الثروة الاسلامية ... وهذه كيفية استخراجها .

هل هناك ثروة محرمة في الشريعة ؟ ولِمَ التحريم ؟

سؤالان جديران بالبحث .

أما الإجابة عن السؤال الاول : نعم ... حرمت الشريعة الاسلامية أقساماً من الثروة ، نلمح اليها بإيجاز .

وأما الإجابة عن السؤال الثاني : ان علة التحريم هي الضرر العام أو على خصوص المتعاطى ومن اليه .

والثروة المحرمة هي :

١ ـ الربا ـ الذي يعبر عنه اليوم بـ (الفائض) ـ .

والاسلام يحرمه تحريماً لا هوادة فيه ، وهل سمعت بأعظم تحذيراً من قوله تعالى : [اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله] ؟ حرب مع الله ورسوله ! والربا بكل صوره، وبأي اسم محرم في الشريعة ... وان تقمص اسم (المصارف) أو (البنوك) ورأيت الناس يدخلون فيها أفواجاً ! وهو إن بدأ ، بادىء ذي بدء ، بدأ ضئيلاً، لكنه ـ كما في كتاب الاقتصاد ـ « عصب الرأسمالية ودعامتها الراسية، لأن الربا لا يكون إلا في المجتمع المضطرب فيه الثري الذي نقوده أكثر من نفقاته وتجاراته ، وفيه المحتاج الذي سُدت في وجهه السبل ، فلم يجد منفذاً يرتزق منه أينما اتجه ، حتى التجأ الى المعاملات الربوية، بدافع الحاجة والاضطرار وإن حسن الفائز كل يوم ، لكنه كالمقدم على الانتحار ، وهكذا الربا ينمو ويزيد أضعافاً مضاعفة، فما هي إلا سنوات و حتى تتسرب ثروات هائلة من أنامل الكادحين الى مخازن المترفين .

وكم نعرف أناساً أقدموا على الديون الربوية لترميم بيوتهم ، أو مصانعهم ، ثم عصفت أزمات اقتصادية ، عاقتهم عن أداء الديون ، وتضاعف الربا عاماً بعد عام ، حتى أخذت المصانع والبيوت من أيديهم ، وضلوا يلفظون حياتهم في سلسلة من الحسرات والعبرات !

فهذا الفائض يستمتع به صاحب المال ابتزازاً ، يتحين ساعة احتياج الناس ... إنه العرق والدماء ، يلغ فيهما بنهم وشراهة، لا لشيء إلا لأنه صاحب المال ... والاسلام الذي يقدس العمل ويجعله السبب الأساسي للربح ، لا يعترف بهكذا أموال ... ولا يعرفها إلا سرقة قانونية ، لأن المال بنفسه لا يولد المال، وإنما الجهد والعمل يحصلان على الفائدة، فيجب أن تعود غلة الجهد لصاحب الجهد وأن يعود المال مفرداً لصاحب المال .

وهناك الخطر الجاثم خلف إباحة الربا هو : تمهيد الوسائل لتضخم رؤوس

الأمــوال ، بلا جهد وكفاح في سبيله وتكاثر الفقر والفقراء ! ومعنى ذلك توزيع المجتمع طبقتين متباعدتين : طائفة من المترفين البطالين ، يعتمدون على الربا في تنمية أموالهم بلا حساب، وفرقة الكادحين المتسولين، يقترضون بالربا ، في العسرة ، ثم يعوزهم الأداء ، فيصبح المجتمع أشبه بكفتي الميزان تعلو الطبقة المثرية الفـاجرة ، كلما يشيع الفقر ، ويزداد الفقراء » [1] .

واذا تفكك المجتمع بهذه الصورة ، لابد وان تقـوم اضطرابات ... ثم اضطرابات ... ثم ثورات ... ثم حروب تزهق النفـــوس وتهلك الضرع والزرع ... ولا أدل على ذلك من الحركة (الماركسية) التي ولدت في المجتمعات الربوية ... كما فعلت الاضطرابات النـاجمة من قسوة الربا وبؤس العمال ومن اليهم... ذروتها ـ كما يدل على هذا (رأس المال) الماركسي ـ .

والبشرية الى اليوم منـــذ أكثر من نصف قرن تعاني آثار هذه النكبة الهـــوجاء ، التي عصفت بملايين من البشر ـ بدون أي ذنب ـ سـوى أن الرأسماليين يحبون تضخم ثروتهم، ولذا فإن الشيوعية التي قامت في روسيا، واستغلها (لينين) توظيفاً لزعامته حرمت أول الأمـر (الربا) ، ولكن بعدما استولوا على الجهاز ، اباحوه بكل صلابة ووقاحة ، فإذا بهم (شهاب الدين...) بالنسبة الى الغرب الكافر ، وها هي الدول الضعيفة ـ التي امتص دماءهم الغربيون ـ ترزح تحت وطأة (اتاوتهم) التي يأخذونها باسم (فائض) الأموال أو البضائع التي أصدروها اليهم باسم (القروض) كي تكمل بالنسبة الى هؤلاء الدول الضعيفة خاتمة المأساة فكان لسان حال هذه الدول الصغيرة:

(أكل الأبعدون لحمي ، وجاؤا . مدعو النجو . . ثم مصوا عظامي).

---

(١) الوعي الاسلامي : ج ٢ .

٢ ـ الاحتكار :

أ ـ من احتكار الأرض ، فلا تعمر إلا بإذن من القوى أو الشيخ ... أو الدولة ... أو من اليهم .

ب ـ واحتكار الشعب الذي يسمى بـ (الحمى) .

ج ـ واحتكار الاختصاص ، الذي يسمى بـ (الامتياز) .

د ـ واحتكار الطعام .

هـ ـ واحتكار الفضاء والماء .

فإن كل هذه الأقسام ، مضرة بالصالح العام ، منافية للحريات المعقولة ، وتقييد للثروة بدون أي مبرر ، وقد قرر الاسلام حرمة هذه الاقسام من الاحتكار .

قال رسول الله ﷺ : (من أحيى ارضاً مواتاً فهي له) .

وفي حديث : (لا حمى إلا لله ورسوله) .

(الناس مسلطون على أموالهم) .

وفيه ويروي النبي ﷺ عن جبرائيل عليه السلام قال : (اطلعت على النار ، فرأيت وادياً في جهنم يغـلي ! فقلت: (يا مالك لمن هذا ؟ قال لثلاثة : المحتكرين ، والمدمنين للخمر ، والقوادين) .

أما الخامس من أقسام الاحتكار ، فإنه وإن لم يرد فيه نص يشجبه ـ صراحة ـ لعدم تعارف هذا القسم من الاحتكار في زمن الرسول والأئمة ، إلا أن النصوص الواردة بشأن الانتفاعات عامـة شاملة له ولغيره ، كهذه النصوص :

[أُحل لكم صيد البحر وطعامه ، متاعاً لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً] أما بعد الاحرام فيحل [وإذا حللتم فاصطادوا] [يسألونك : ماذا أحل لهم ؟ قل أحل لكم الطيبات ...] [فامشوا في

مناكبها ، وكلوا من رزقه] [خلقت الاشياء لأجلك] الى كثير... وكثير ... من أمثالها .

٣ ـ الأكل بالباطل :

أ ـ رشوة كانت .

ب ـ أو غلولاً .

ج ـ أو غصباً .

د ـ أو تطفيفاً .

هـ ـ أو استملاكاً .

و ـ أو ضرائب خارجة عن نطاق الاسلام .

ز ـ أو أكلاً للحقوق المقررة للاسلام ، وعدم دفعها الى اربابها.

ح ـ أو سرقة .

يقول الاسلام : (الراشي والمرتشي كلاهما في النار) . ويقول : [ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة] . ويقول : لا يحل لأحد ان يتصرف في مال غيره إلا بإذنه . ويقول: [ويل للمطففين] . ويقول: [ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل] . وغيرها ...

٤ ـ المعاملات المحرمة :

أ ـ من غش .

ب ـ من ثمن خمر .

ج ـ او خنزير .

د ـ او قيادة

هـ ـ او قمار .

و ـ او لهو .

ز ـ او ما اشبه هذه الامور ، مما هو مذكور في الكتب الفقهية .

فإن هذه الامور محرمة في الشريعة، و(إن الله اذا حرم شيئاً حرم ثمنه) ـ كما في الحديث ـ .

واذا احصيت المحرمات في الشريعة الاسلامية ، رأيتها اموراً ضارة تفسد الافراد والمجتمعات، إما فساداً جسمياً كالخمر والخنزير وما اليهما، وإما فساداً روحياً كالربا والاحتكار وما أشبههما ... فإنها تورث البغضاء والعداوة ونحوهما ... وإما كبتاً واستغلالاً وتقييداً واضرابها ، كالحدود والجمارك والامتيازات وما اليها ... والاسلام يريد المجتمع نشيطاً ، والفرد حراً ، والتجارة منطلقة، والاجسام صحيحة، والافكار مستقيمة، والنفوس طرية، والارواح منبسطة .

اما الكبت والاستغلال، اما الاستثمار والاستعمار، اما العبودية والأغلال، اما الأجسام المريضة والعقول الآسنة والأرواح العفنة ، والمجتمع المتفكك... فليست من الاسلام ، وليس الاسلام منها .

هذه هي الثروة الاسلامية ، وهذه مواردها ومصادرها ، وهذه حدودها وقيودها ... فهل ترى فيها انحرافاً عن سنن الطبيعة ؟ ام هل تراها تنافي الحرية والانطلاق ؟ ام فيها استغلال واستثمار ؟ ام هل فيها نقص يحتاج الى التكميل ، ام تعدٍّ يفتقر الى التعديل ؟

كلا ، إن نظامها من عند الله [ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً] .

وليست الثروة الاسلامية ، في ظل دساتيره وقوانينه، شيئاً غير مجرب ، حتى يشك في انها بهذه الحدود والمزايا . هل هي قابلة التطبيق ؟ ام هـل يعيش المجتمع في ظلها في رفاه وسعة ؟ ... بل لقـد طبقها المسلمون ، طيلة قرون ... واجيال... واجيال... فلم يجنوا منها إلا خيراً وبركة ، ورفاهاً وغنى ، وحرية وانطلاقاً .

فهل للعالم ان يرجع الى صوابه ، ويأخذ بهذا النظام ؟... وهل للامم ان تدين بدين الاسلام ، حتى تعود اليهم السعادة ؟ ...

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمـــد لله رب العالمين .

عبادات الاسلام



تمهيد

ينقسم اصحاب المبادىء والاديان السائدة في العالم اليوم الى قسمين : قسم يهتم بالروح ويغفل عن المادة فلا يرى للملاذ الجسمية ، والمباهج البدنية ، وما يحتوي الانسان من منازه ومناظر ، اية قيمة وهذا القسم يؤول امره بالأخرة الى الفرار عن المجتمع نحو العزلة والترهب وبذلك تفسد المدنيـة ، وتنهدم الحضارة ويتوقف الرقي وتذبل زهرة الحياة الدنيا ، وبالأخرة يختل التوازن .

وقسم يهتم بالمادة ، فلا يعبد الا اياها ، ولا يعير الروح اي اهتمام ، فهـو في تعمير الحياة دائب دائم فلا يزال يبني المدن ، ويجعل الانظمـة ، ويقنن القوانين ، ويظهر اثر هذه الحضارة ، في ميادين البنـاء والحروب ، وبذلك يهمل امر الروح ، ويكون المجتمع حينئذ كالمتورم المحمر ، الذي يعجبـك جسمه ورواؤه ، لكنه يشكو آلاماً واسقامـاً ، ولا يزال يستفحل الخطر حتى تتوالى الحروب وتفسد الارض ومن عليها .

وقد رأى الانسان في عهده الطويل هذين القسمين ، ولمس الويـلات التي جرتها الجماعات المتطرفة على انفسهـا : فقد فسدت المدنية وذبلت زهرة العيش ، في عهود سيطرة الكنيسة الروحية — الروحية المخترعة — كما فسدت الحضارة ، وساور الناس الفقر والقلق والمرض ، في عهود سيطرة المـادة ، التي يعبدها العالم المتمدن ! اليوم وفي كثير من القرون الماضية .

والانسان حيث كان مركباً من روح وجسد ، مشتملا على عقل وعاطفة وجسد وجوارح ، لا يقوم اوده ولا تتوازن اطرافه ، اذا كانت القيادة المسيطرة عليه ، المسيطرة روحية وجسمية ، ويكون المبدأ الذي يدين به ناظراً الى اطراف الحياة المتشعبة ، وتكون القوانين ، عادلة تشمل نواحي الروح ، الى جنب كونها تعتني بشؤون المادة .

وفي هذا فقط تنمو الملكات، وتزدهر الحضارات وترتقي المدنيات ويأخذ كل شيء حظه من الحياة والازدهار .

والمبدأ الذي نظر الى الكون هذه النظرة المستوعبة ووضع القوانين الكافية ، وشرع الانظمة المكتملة ، ليس إلا الاسلام – والاسلام وحده – فهو اذاً سعادة الآخرة ورفاه الدنيا .

والاسلام كمعجون مفعوله اصلاح الانسان ، ليعيش آمناً مطمئناً وينتقل الى الدار الآخرة سعيداً مثاباً ، وكما تختلف اجزاء الدواء كمية وكيفية ، فكذلك الاسلام تختلف مقوماته ، فمن الصلاة ركعات ومن الصيام أيام ، ومن الحج افعال ومن الزكاة والخمس مقادير ومن البيع والرهن والنكاح والطلاق والحدود والديات حدود وكيفيات .

وبهذا المجموع المركب يسعد الانسان أما لِمَ جعلت الصلاة سبع عشرة ركعة ؟ وما سبب كون الخمس من الخمسة واحد ؟ وما العلة في جعل الحج مرة في العمر ، والصيام في كل سنة ؟ وأي داع لكون عدة الطلاق كذا ، وحد شرب الخمر كذا ؟ وهكذا فما لا يعلم وان علمنا الخطوط العريضة للاحكام .

وكثيراً ما يذكر بعض العلل في لسان الادلة فيظن الغر انها لو تخلفت انتفى الحكم ، ولكن ليس كذلك ، أفهل يخرج الطبيب عن كونه طبيباً اذا لم ينفع علاجه في مريض أو مرضى ؟ او هل تخرج الشمس عن كونها مضيئة

اذا انكسفت لعارض ؟ أو هل يسلب عن الانسان الحرية اذا تصرف شخص من نوعه تصرفاً سيئاً ؟

ان الامور جعلت على طبائع الاشياء وشذوذ فرد أو أفراد غير ضائر .

وكذلك بعض الاحكام ، فكون الحكمة في العدة عدم اختلاط المياه مع احترام المزوج – مثلاً – لا يوجب تخلف الحكم اذا علمت الزوجة بعدم الحمل أو كان ممن لا يستحق التجلة . وهكذا . وهكذا .

ثم ان الاسلام ينقسم الى خمسة اقسام : الاصول. والعبادات . والاخلاق . والمعاملات . والأحكام .

فالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد والجنة والنار وسؤال البشر وما اليها .. من الاصول . والصلاة والصيام ، والحج والزكاة وما اليها من العبادات .

والصدق والوفاء ، والجود والامانة ، وما اليها ، من الاخلاق والبيع والرهن . والمزارعة . والمساقاة . ونحوها . من المعاملات والحدود والقضاء والقصاص والديات . واضرابها من الاحكام .

وكما لا تكتمل الدار إلا بتمام مرافقها من غرف وسطوح ، وماء وكهرباء.. كذلك لا يكتمل الإسلام إلا بتطبيق جميع جوانبه ، على الحياة العملية : الفردية والاجتماعية أما من يصلي ولا يصوم .. او يحج ولا يزكي ، او يأخذ بالاحكام دون الاخلاق .. أو ما الى ذلك فليس من صميم الاسلام ، وانما هو في جانب ، فلا يحمل تبعة اختلال توازن الحياة على الإسلام ، وانما التبعة على نفسه ، حيث أخذ بناحية دون ناحية ، كمن يأخذ ببعض الدواء دون بعض وربما انعكس الامر فصار الاسلام الناقص وبالاً عليه وكان مثله كمن ركب طائرة غير مكتملة الاجهزة فإنها ربما سقطت عن أقلتهم .

وإنما في هذه الكراسة نبغي أن نستعرض جانباً من جوانب الإسلام الخمسة ، وهو العبادات التي جرت العادة بتعدادها عشرة : الصلاة .

والصيام . والحج . والزكاة . والخمس . والجهاد . والأمر بالمعروف . والنهي عن المنكر . والتولي . والتبري .

لكن لا على ضوء العلم الحديث كما هي العادة في الكتب العصرية غالباً وانما على ضوء الكتاب والسنة في اطار العقل غير الملتاث بشوائب التقاليد الجامدة أو التقاليد السيالة التي مني بها الشرق الاسلامي منذ ان وضع الغرب الكافر اقدامه في ارض الاسلام .

ومما ينبغي التنبيه عليه ان ما ذكرنا من تقسيم الاسلام ليس إلا تقسيماً سطحياً وإلا فمن الحق أن نقول : ان العبادة سارية في جميع الأحكام الاسلامية وكذلك الاخلاق ونحوها ، فالصدق عبادة وخلق شريف والصلاة خلق فاضل الى جنب كونها عبادة والنكاح والبيع واضرابها وان أمكن أن يؤتى بها جوفاء بدون القربة ودون لحاظ مالها من معاني انسانية سامية وخلق رفيع إلا ان الاسلام يحبذ فيها جميع النواحي حتى تكون خلقاً وعبادة وحكماً ومعاملة . وهكذا يشاء الاسلام .

وقد جربنا نحن المسلمين وجرب معنا غيرنا المبادىء والأديان فلم نرَ في غير الاسلام السعادة والرفاه ولم يكن ذلك عرضاً طارئاً بل لقد امتدت دولة المسلمين في رقعة فسيحة من الأرض ربما بلغت النصف أو الأكثر وطال حكمهم – بما في كثير من حكامهم من الخروج عن السنن – قرابة ثلاثة عشر قرناً فلم نرَ فيه إلا الأخلاق الفاضلة والحرية بتمام معانيها والمعاني الانسانية والحق والعدل .

أما الأديان الأخرى فيكفي أقل المام بالتاريخ لأن نطلع على مدى ضررها على المجتمع البشري حيث كانت سائدة وهذه قرون اوروبا الوسطى حيث سيطرة الكنيسة تدل على ما كان يرسف فيه البشر من قيود واغلال

وفتك وظلم وظلمـات وكذلك كثير من نواحي الشرق حيث سيطرة البوذية والبرهمية والأوثان .. وما اليها .

وأما المبادىء فأمام أعيننا ديمقراطية هتلر وستالين وموسليني ونابليون . كما ننظر إلى بحار الدماء والدموع ونسمع فرقعات الصواريخ والمدافع ونلمس اطلال المدن المبعثرة في شظايا ودماء .

وكل ذلك ولم يمض على سيطرة المبـــادىء – على العـالم – غير نصف قرن .

وسيظل العـالم يتخبط خبط عشواء حتى يستعيد قيـــادة الاسلام والله المستعان .



الصلاة

الانسان بطبعه ميال الى الشهوات ، يسلس قياده لملاذ الحياة الدنيا ، وكلما ازداد عباً من الحماء الآسن ، ازداد عطشاً ونهماً ، حتى تكون حياته كحلقة مفرغة من اللذة الخسيسة ، والشره الدني ، وربما فتح الانسان عينه بعد ما مضى من عمره خمسين سنة او اكثر ، فيرى نفسه بين حانة وخمور وموسات وفجور ، وكذب ورياء وغش ، وظلم وارتشاء وموبقة ، فيكون حاله كالمرتطم في اوحال غضة كلما اراد أن يخرج منها ، ارتكس فيها من ام رأسه .

ومثل هذه الحياة لا تستحق من التقدير إلا ما يستحق المجرم من اهانة وتعذيب . والجماد خير من هذا الحي ، فانه وان لم ينفع لكنه لم يضر ، أما من يضر نفسه ومجتمعه ، وجسمه وعقله ، فهو لئيم حري بأنواع الذلة والهوان .

وهناك امراض تطرأ على النفس تؤدي بها الى الهلاك كالقلق والتوتر ، والخوف والارتباك ، وما اليها ، ولا ينفع لطردها مال وجمال، وقوة وعزة، ولذا ترى الاقوياء الاثرياء .. اكثر ابتلاءاً بهذه المخاوف .

والصلاة ، التي هي صلة بين الفرد وبين الله ، تضرب بهذين الامرين — والفساد والقلق — عرض الحائط ، فان من يقف أمام أعظم

الملوك ، واقدر القــادرين ، كل يوم خمس مرات ، ثم يذكر فضله ونعمته ، ويتذكر أوامره ونواهيه ، ويرى نفسه في قبضته ، لا يكون شيء الا بأمره ، يقلع عن الفساد فلا يأثم ولا يجرم ، ويطمئن باله فلا يقلق ولا يخاف « ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» « ومن يؤمن بالله يهد قلبه ».

يقول الله تعالى « ان الصــلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » اذ الفحشاء لا تأتي إلا من نفس غافلة ، والمنكر لا يعمله إلا لاه عن الحق والصلاة بمــا فيها من ذكر وقراءة ، وقنوت وخضوع تذكر بالله العظيم الذي لــه ملك السماوات والأرض ، وتعرض نعمه واحسانه وتوجه الى امره ونهيه وبذلك يقلع العبد عن الشهوات وينقطع عن المنكرات .

وليس المراد أن كل مصل لا يأتي بالمنكر ولا كل آت بالفحشاء لا يصلي فكم من مصلٍ وهو منغمس في الشهوات مرتطم في اللهو والعبث بل المقصود ان الصلاة بطبيعتها الاولية مانعة عن الرذيلة وان عرضت لها عوارض تسلبها هذه الخاصية ، كالقلب الموصد والنفس السوداء .

وهكذا كما يقـــال : العقار الكذائي يمنع الحمى انــه ليس العقار العلة الوحيدة مائة في مائة وانما طبيعة العقار هكذا اذا لم يصرفه عن طبعـــه صارف ولم يحل دون مفعوله حائل .

وهكذا حال كل قضية طبيعية مثلاً نقول : فلان مهندس او فلان طبيب أو الشمس مضيئة ، لا نريد أن الأول يعرف كل بنــاء ، والثاني يشفي كل مريض ، والشمس تضيء ولو في حال الكسوف .

اذاً فالصلاة التي تؤتى بشروطها مع الخلو عن الموانع تنتج رفــع الفساد بكافة أنواعه وبجميع ألوانه ، لا ان كل صلاة كذلك ، وهنا نذكر بعض ما للصلاة من خصوصيات حتى يقرب إلى الذهن مــا نحن بصدده من ان الصلاة الجامعة للشرائط تنفي الفحشاء وتنهي عن المنكر .

قال الإمـــام الرضا عليه السلام — في جواب من سأله عن علة الصلاة — :

« ان علة الصلاة انها اقرار بالربوبية لله عز وجل ، وخلع الانداد ، وقيـام بين يدي الجبار جل جلاله بالذل والمسألة والخضوع والاعتراف والطلب للاقالة عن سالف الذنوب ووضع الوجه على الأرض كل يوم اعظاماً لله عز وجل وان يكون ذاكراً غير ناس ولا بطر ويكون خاشعاً متذللاً ، راغباً طالباً للزيادة في الدين والدنيا مع ما فيه من الإيجـاب والمداومة على ذكر الله عز وجل بالليل والنهار لئلا ينسى العبد سيده ومدبره وخالقه فيبطر ويطغى ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديـه زجراً له عن المعاصي ومانعاً له عن أنواع الفساد » .

ولنقف قليلاً عند جمل من هذه الرواية :

« اقرار بالربوبية لله عز وجل وخلع للانداد » .

اعتراف وتوحيد ومن اعترف بالله رأى نفسه تحت مراقبته فلا يطغى ولا يعمل كما توحي اليه شهواته ولا يفسد ولا يطغى أيطغى ويفسد وهو مخلوق مربوب ، له مالك يحاسبه ويعاقبه ؟! ومن وحد الله فلا إله إلا هو خرج عن اسار الخرافة وابتعد عن نير الضلالة والحمق فالمجوس تعتقد بإلهين والنصارى تقول بآلهة ثلاثة وبعض الفلاسفة تقول بقدماء خمسة ، ومشركي العرب كانت تعتقد بما ينوف على ثلثمائة إله وهكذا .. وهكذا . حتى بلغ عدد الآلهة عند الهند الأقدمين ، ثلثمائة وثلاثين مليوناً ! انه عدد جنوني ! ولكنه كان — بالرغم من ذلك — كما يحدثنا التاريخ . وبعد هـذا ألا يكون الاعتراف بالاله الواحـد — كما تشتمل عليـــه الصلاة — اعترافاً بالحق وخروجاً عن الخرافة والجهل ؟

« وقيام بين يدي الجبار بالذل والمسألة والخضوع » .

ان الحضور بين يدي ملك عادي لا يملك إلا بضعة أميال من الارض ولا

يحكم إلا على مئات ألوف من البشر موجب لانطباع في النفس يكتنفها الى حيث اتجاه ذلك الملك وقديماً قيل : « المجالسة مؤثرة » انك لو حضرت أمام حاكم يحب العدل ويعمل به فلا بد وانك تتأثر بفكرته فتطبع على حب العدل ، وبالعكس لو مثلت بين يدي آمر يظلم ويرتشي فلا بد وان تضأل جريمة الظلم والارتشاء أمام عينك.. فكيف تكون حالك اذا قمت بين يدي الله : الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الجبار العليم القدير.. انه لا شك يؤثر فيك ويغير اتجاهك إلى كل خير وكل ذل ومسكنة في النفس ويؤثر هذا الأمر بدوره في الملكات النفسية فتطبعها بطابع الحق والتواضع والنظام والانقيـــاد .

« ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زجراً له عن المعاصي ومانعاً له عن انواع الفساد » .

الإنسان لو علم انه لا بد وان يحضر عند من يعلم سريرته ويرى علانيته كان ذلك رادعاً له عن ارتكاب مخالفات تسقطه في عين من يحضر عنـده — هذا اذا كان من أفراد الناس — فكيف اذا كان كبيراً يرجو منه النفع ويخاف منه الضر ؟ انه لا بد وأن يجتنب سخطه ويعترض رضاه اذاً : فما الحال اذا علم الانسان بأنه سوف يحضر عند مالك الملوك ومن بيده حياته وموته وصحته ورزقه وكل شيء حتى انفاسه وألحاظه ؟ أفلا يكون هـذا التذكر وهذا القيام زاجراً له عن المعاصي ومانعاً عن الفساد ؟

* * *

والصلاة بالاضافة إلى كونهـا مذكرة بالرب العظيم وناهيـة عن الفحشاء والمنكر تجدد ذكرى الرسول وآله وفي ذلك ما فيه من توثيق الصلة بـين الناس وبين نبيهم الذي هو مصدر سعـادتهم ومنبثق مدنيتهم وحضـارتهم وذكره يحفزهم إلى استطلاع حاله والاستنـارة بأقواله اوالاستضـاءة بعلمه والاقتداء به في كل فضيلة ومكرمة .

ولهذا تجب الشهادة لمحمد «ص» بالرسالة والعبودية في كل صلاة مرة او مرتين والصلاة عليه وآله ويستحب ذكره بالصلاة في الركوع والسجود وما اليهما .

وإلى هذا أشار ابو عبدالله الصادق (ع) « قال هشام بن الحكم سألت أبا عبدالله (ع) عن علة الصلاة فان فيها مشغلة للناس عن حوائجهم ومتعبة لهم في أبدانهم ؟ قال (ع) فيها علل وذلك ان الناس لو تركوا بغير تنبيه ولا تذكر للنبي «ص» بأكثر من الخبر الأول وبقاء الكتاب في ايديهم فقط لكانوا على ما كان عليه الأولون ، فإنهم قد كانوا اتخذوا ديناً ووضعوا كتباً ودعوا أناساً إلى ما هم عليه وقتلوهم على ذلك فدرس أمرهم وذهب حين ذهبوا وأراد الله ان لا ينسيهم امر محمد «ص» ففرض عليهم الصلاة يذكرونه كل يوم خمس مرات ينادون باسمه وتعبدوا بالصلاة وذكر الله لكيلا يغفلوا عنه فينسوه فيندرس ذكره » .

فلولا تنبيه مستمر ولولا تذكر للنبي (ص) بل كان ما لديهم هو ما سمعوه من الخبر عن النبي (ص) وما رأوه مرة او مرات في كتبهم من ذكره (ص) لدرس امر النبي (ص) كما درس الأنبياء السابقون ألا ترى ان الأنبياء كما في الأحاديث : مائة وعشرون الف وأربعة آلاف ومع ذلك لا يعرف اسم احد منهم إلا عدد قليل لا يبلغون المائة .

ان الدنيا قامت على التكرار فلولا تكرر طلوع الشمس لما نبتت الأرض ولولا تكرر وصول الماء الى الاشجار لما اينعت وأثمرت ولو تكرر ايصال الغذاء الى جسم الحي لهلك . ولولا تكرر العلوم لما حفظت ولولا تكرر الذوق واللمس وما اليهما لم تخزن الألوان والطعوم وما اليهما في الحافظة وهكذا . وهكذا . والصلة بين الناس والنبي لا تدوم إلا بالتكرر والتذكر المستمر وخاصة اعتراف لمحمد (ص) بالعبودية والرسالة وهذا مما يحفز على

السؤال : ما معنى العبد ؟ وما معنى الرسول ؟ أرأيت ان التمثال المنصوب يلقي في النفس ظلاً عن الممثـل وانه رجل عظيم وذلـك بوجوب السؤال عن صاحب هذا التمثال ؟ وهكذا ذكر شخص بالعظمة .

وبهذا النحو من الذكر والتكرار تبقى الرسالة طريـــة والرسول مورد اقتداء واتساء . وهذا رأس حلقة الفضائل والسعادة في الأولى والاخرى .

وبالجملة للصلاة فوائد نذكر منها أربعة :

١ — تذكير بالخالق العظيم .

٢ — توثيق الصلة بين المسلم وبين نبيه وذلك رأس الفضائل .

٣ — تطهير للنفس عن الأدران ورواسب المعـاصي والمنكرات وتنزيهها عن اقتراف الآثام فيما بعد ولقد شبه رسول الله (ص) الصلاة بالنهر الجاري الذي يغتسل منه الشخص وهل يبقى بعد الاغتسال على الجسد درن ، فالنهر يطهر الأوساخ الجسدية والصلاة تنظف القذارات النفسية .

روى الإمـــام الصادق عن أبيه الباقر (ع) انـه قال: (قال رسول الله «ص» : لو كان على باب دار احـدكم نهر واغتسل في كل يوم منه خمس مرات ، أكان يبقى في جسده شيء من الدرن ؟ قلت لا . قال : فان مثل الصلاة كمثل الماء الجاري كلما صليت صلاة كفرت ما بينهما من الذنوب » .

ولا يزعم زاعم ان معنى هـــذا الحديث أن يقترف الشخص كل اثم ، ثم يصلي وصلاتـه كفارته ، ان هـذا المعنى بعيد عن منطق الاسلام وكلام رسوله ، بل المراد ان الذنوب الطائرة التي قد تجمع النفس ثم يندم مرتكبها مثل هذه الذنوب الشاردة تغفر إذ فيهـا يستغرق العبد ويتوجه الى الرب فيرى ضآلة نفسه ومهانتها وهذه هي التوبة .

أما (صلاة المنائر) فهي تزيد الذنوب ولا تنقصها واليك :

ذهب رجل إلى مسجد الكوفة وقصد أن يصلي صلاة فارغ القلب بحضور

وخشوع ، فشرع في الصلاة وإذا به يتوجـــه الى ان هذا المسجد العظيم لا منارة له ، فأخذ يفكر في موضع المنارة وكيفية بنائها ومـا يتطلبها من المصارف ، والوقت الذي يستغرقه انجازها . وهكذا ولما قـال : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » تمت المنارة الخيالية .

واذا به يتوجـه الى ان هذه الصلاة كانت حافلـــة بكل فكر غير فكر الصلاة .

٤ – طرد للقلق الذي يعترض النفس فان النفس لا تزال تجيش وتهجم عليها الأفكار خصوصاً إذا كان الشخص من رجال الأعمال ولا تفتر تلاحقه الأفكار السيئـــة والخطرات السوداء ، حتى ان هذه الخواطر لا تدعـه في النـــوم .

والصلاة بحضور البـــال – كما هو المأمور – تزيح الأفكارر عن الذهن وتعوّض عنها بسبحات إلهية وهدوء وسكون وراحة واطمئنان .

ولهذا ورد في الحديث : « ان النبي (ص) اذا هاجمه الحزن – وهو في وقت الصلاة – قال لبلال : أرحني يا بلال » يريد أن يؤذن ليصلي فينصرف عن أحزانـــه .

وهنا نشير إلى فصل اقتطفناه عن العلم الحديث لفوائد الصـــلاة الكثار التي منها طردها للقلق مما نحن الآن بصدده .

* * *

(غاندي) هو من عرفه العالم بتحرير الهند من نير الاستعمار ، وكان هو بنفسه من دعاة (اللاعنف) وقد قاسى من المصاعب والمتاعب ، وقد كان خليقاً به أن يكون معتوهاً عن معاناة هذا العبء الثقيـــل لو لم تشد ازره الصلاة انه يقول : « بغير الصـــلاة كان يتحتم ان أغدو معتوهاً منـــذ أمد طويـــل » .

ويقول (كارينجي) مؤسس معهد العلاقات الانسانيـة بنيويورك الذي هو وحيد طرازه في العالم المتمدن اليوم ، حين تستنفد الخطوب كل قوانا أو تسلبنا الكوارث كل ارادة ، غالباً ما نتوجه غمرة اليأس الى الله فلماذا بالله ننتظر حتى يتولانا اليأس ؟ لماذا لا نجدد قوانا كل يوم بالصلاة والحمد والدعاء .

ويقول المحامي (جون انطوني) بمدينة (هوستون) بولاية (تكساس) بعد ما يحدث عن نكبته التي مني بها حتى اشرف على الانتحار : (.. ثم خطر لي ان اتجه الى الله وأبثه شكواي فرحت اصلي واضرع اليه سبحانه أن ينير بصيرتي ويسدد خطاي في هذا الظلام الكثيف الذي يكتنفني من كل جانب وان يوفقني من عملي عسى أن أجد من المال ما يمسك رمق زوجتي وأولادي وما إن فرغت من صلاتي وضراعتي حتى حدثت معجزة فقد زال عني توتر أعصابي وتلاشت مخاوفي وانقضى قلقي واستشعرت شجاعة وأملاً وايماناً .) ثم يذكر انه كيف أقبل عليه العمل والمال ببركة الصـلاة التي أوحت بالطمأنينة والسكون .

ويقول البطل (جاك دمبشي) : (انه لا يأوي الى مضجعه قبل أن يتلو صلواته ولا يتناول طعاماً حتى يحمد الله الذي وهبه اياه وانه لا يفتأ يردد الصلوات والدعوات اثناء تدريبه على الملاكمة وقبل كل جولة يخوضها) .

ويقول الدكتور (الكسيس كاريل) لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت الى يومنا هذا وقـد رأيت بوصفي طبيباً كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم رفع الطب يديـه عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة فبرأتهم من عللهم ان الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر للاشعاع ومولد ذاتي للنشاط وبالصلاة يسعى الناس الى استزادة نشاطهم المحدود حين يخـاطبون القـوة التي تهيمن على الكون ويسألونهـا ضارعـين ، أن تمنحهم قبساً منها يستعينون به على معاناة الحياة ، بل ان نجد الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد

قوتنا ونشاطنا ، وان نجد احداً تضرع الله مرة ، إلا عـــاد التضرع اليه بأحسن النتائج) .

ويقول الدكتور (توماس هايسلوب) : (ان اهم مقومـات النوم التي عرفتها في خلال سنين طويلة من الخبرة والتجريب هو الصلاة وأنا القي هذا القول بوصفي طبيباً، فالصلاة هي أهم وسيلة عرفت الى الآن لبث الطمأنينة في النفوس ، وبث الهدوء في الأعصاب) .

ويقول الدكتور (ادوين فردريك باورز) استاذ الامراض العصبيـة ، بالولايات المتحدة : امكن ابراء كثيرة من الأمراض المعدية في وقت قصير مدهش بالنسبة لقصره ولكن بقطع النظر عن جميع معجزات العـلاج التي تمت في دنيانا هذه ما زالت هناك معجزات اخرى في ابراء المريض والأعرج والكسيح والأعمى لا يمكن تعليلها ولا ينفع فيها العلاج الطبي ، أو الجراحي أو السكلوجي أو الاهتزازي فهنـاك ألوف الحالات التي لم يجد فيهـا اشهر الأطباء وأشدهم فطنة أدنى بارقة أمل والتي تم فيهـا مع ذلك شفاء المرضى واستعادتهم الصحة والعقل خلال معجزة من معجزات الصلاة) .

وهذه الأقوال انما اوردناها لا للاستشهاد والاستدلال بها بل اشارة الى ان ما يخالف الإسلام يعترف بفوائد الصلاة من هذه الناحية وان كانت الصلاة عندنا وعندهم مختلفة في الكيفية والمزايا .

* * *

وللصلاة في الشريعة الاسلامية آداب : واجبة ومندوبة .

منها الأذان والاقامة .

تبتدىء بها قبل الدخول في الصلاة .

والمقصود من ذكرهما هنا ليس الحكم الفقهي العملي بل الالماح الى ما انطوتا عليه من القيم العليا .

فالأذان صورتها : ١ (الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر) .

للانسان في الحياة : نفس . وأهل . ومال . وجاه .

والله اكبر من نفس الانسان فمهما دار الأمر بين أن تذهب كلمة الله أو تزهق النفس فالله أكبر . بل يجب تقديم النفس ضحية في سبيل ابقاء الاسلام والدين .

والله أكبر من أهل الشخص فاذا كان ولا بد من تضحية الأهل في سبيل الدين أو العكس كان الأول مقدماً .

والله أكبر من مال الشخص فاذا توقف سلامة الدين على بذل المال لزم لأن الله اكبر .

والله أكبر من جاه الفرد ومنصبه فاذا توقف سلامة الدين على التخلي عن المنصب وجب لأن الله اكبر .

والله اكبر من جاه الفرد ومنصبه فاذا توقف سلامة الدين على التخلي عن المنصب وجب لأن الله أكبر .

وهنا تذكرت ظريفة بهذا الصدد لا بأس بذكرها وهي : (حيث كان رئيس الحكم في بعض البلاد الاسلامية في نشاطه المحموم ضد الاسلام والقرآن يقتل رجال الدين ويشردهم ويغلق ابواب المساجد ليفتح عوضها الحانات والمباغي وينتهك حرمات الاسلام إلى غير ذلك من ألوف الجنايات والخيانات على الاسلام والوطن الاسلامي شاء أن يعلن اجبارية السفور على النساء المسلمات واقتضت خطته المدبرة في (لندن) مزرعة الجلالات المضادة للدين أن يأمر كل صنف بحضورهم مع نسائهم متبرجات في حفلة يعقدها رئيس الصنف حتى وصلت النوبة الى العلماء فطلب هو أحد العلماء المنصوبين من قبل البلاط وقال له : انك تعلم احساني اليك ولطفي لك وسوابق خدمتي لبيتكم

والآن يجب عليك بصفتك أكبر العلماء أن تعقد حفلة تدعو فيها مختلف رجال الدين مع نسائهم سافرات وإلا صيرتك عبرة لغيرك وأخذ يفرغ جام غضبه الاستعماري على الدين ورجاله لو لم يمتثل له الأمر !

فاستمهله الرجل الديني الكبير ، إلى غد فامهله وفور خروجه عن دار الرئيس ركب السيارة نحو دار عالم آخر من اكبر رجال الدين والسياسه هناك ، وبعد ما استقر به المجلس فاتحه الكلام واستشاره في الموضوع بعد ما ذكر له الخطر المحدق به ، لو لم يمتثل اوامر الرئيس .

قال له (السيد العظيم) اعلم ايها الأخ : ان لنا (مالاً) و (نفساً) و (عرضاً) و (ديناً) والواجب علينا أن نفدي أنفسنا باموالنا ، ونفدي اعراضنا بأنفسنا ، ونفدي ديننا بأعراضنا ، وليس اكثر من هذا ، فدعه يصنع معك ما شاء له غروره من نهب مالك وازهاق روحك واذية اهلك ودع دينك سالماً فان امتثال مثل هذا الأمر وأد الدين ، خصوصاً اذا كان المقدم على ذلك ملك ممن له المقام الرفيع عند المسلمين ، وأعلم انه ان فعلت ذلك انتقم الله منك أشد الانتقام ، ولم يكن لك ناصر في الأرض ولا في السماء .

قال (الامام) فاطمأننت الى كلامه ، وعزمت على ذلك ، ولو كنت اعلم ان ثمنه يكون بأغلى ما عندي ، وأخيراً لما قابلت (الطاغية) ذكرت الأمر مستسلماً لقضاء الله وقدره ، لكن الله رد كيده ولم يزد على بضع كلمات من السباب – على ما هو عادته – ثم قال : ان ما ذكرت ليس من عندك ، وانما هي من ذلك الشيطان : (يقصد السيد) وسبه بما يليق بنفس السباب ، ثم عدت إلى داري وجلاً خائفاً ولكن الله رد كيده ، ونصر ناصر دينه كما وعد « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

وبهذا حفظ رجال الدين من هذا العار الذي لولاه كانوا اذل وأخزى والله المستعان .

وفي الحقيقة ، قام هذان البطلان بمقتضى (الله أكبر) .

ومما يجدر بالذكر أن نشير الى قصة (الشورى) وموقف أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام فيها وهي : « ان الامبراطورية الاسلاميـــة المترامية الاطراف ، التي كانت قوية شابة تتحفز إلى الامام برجالها ومالها وسيادتهـا ورفاهها ، ومبادئها الانسانية وقيمه الخلقية وما إلى ذلك .. جعلت في كفة من الميزان ، وكلمة صغيرة ، وهي كذبة بسيطة يقولها الامام (ع) لينال هذا المنصب الخطير ، جعلت في كفة اخرى ، حين قالوا له : (نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين) قـال (ع) : أمـا كتاب الله وسنة رسوله فنعم وأما سيرة الشيخين فلا . وبذلك افلت من يده الخلافة الظاهرية بما لها من جاه ومال وامر ونهي .. ولم يكن مورد المقابلة إلا كلمتين فقط : (سيرة الشيخين) وكان بامكانه ان يقول وينال الخلافة ثم يقلب ظهر المجن ، كما فعل غيره لكن لم يفعل » .

وهذا معنى العمل بمقتضى (الله أكبر) من المال والجـاه .. لا نكذب ليغضب الله لننال جاهاً ولو كان الجاه امبراطورية عظيمة ومن هنا وألوف امثالها .. تتجلى عظمة الامام (ع) .

***

(اشهد ان لا إله إلا الله ، اشهد ان لا اله الا الله) .

(اشهد ان محمداً رسول الله ، اشهد ان محمداً رسول الله) .

(اشهد ان علياً ولي الله اشهد ان علياً ولي الله) على الاستحبـاب للروايات العامة .

هذه الفصول الثلاثة ، لتقوية صلات المسلم باله الواحد ، الذي ليس له شريك : مادة كانت ، أو وثنا ، أو صنما ، أو انساناً او جماداً او حيواناً أو نباتاً أو نحوها .

ونبيه العظيم : «ص» ليس نبياً كذباً كمسيلمة وسجاح ولا مرمياً بما هو بريء منه كالألوهية التي تزعمها النصارى للنبي الكريم عيسى (ع) .

وبإمامة خليفة رسول الله «ص» : علي امير المؤمنين (ع) .

فقد اشتملت هذه الفصول الثلاثـــة على ثلاثة من الأصول : التوحيـد والنبوة ، والامامة .

(حي على الصلاة ، حي على الصلاة) .

(حي على الفلاح ، حي على الفلاح) .

(حي على خير العمل ، حي على خير العمل) .

وهذه الفصول دعوة الى (الصلاة) التي هي صلة بين العبد وبين الله .

وإلى (الفلاح) بمـــا تشتمل عليه هذه الكلمة من معنى : فلاح الدنيا فلاح الآخرة ، فلاح عن الجهل والفقر والمرض فلاح عن القلق والخوف والانهيار .

وإلى (خير العمل) وأي عمل خير من عمل يصلح الجهاز النفسي عامة الذي هو مصدر الخير والشر في العالم .

(الله اكبر الله اكبر) .

(لا اله إلا الله لا إله إلا الله) .

عود على بدء وتجديد لتوثيق الصلة بالله الواحـد الذي هو أكبر من كل شيء ارساءاً لدعائم الايمان في قرارة النفس حتى لا تتزعزع بالرياح الهوجاء التي تهب من اليمين والشمال لتكسح نبات الايمان المزيف من أصله .

(وللاقامة) هذه الفصول بأدنى تفاوت .

وهما ـ بالجملة ـ من أفضل وأجمل دعوات عرفهـا العالم إلى يومنا هـذا دينية كانت أم غيرها فقد اخترع اليهود النفخ في الأبواق اوقات عباداتهـا وهو اشبه بمهزلة صبيانية منها بطقوس عبادية والنصارى تعلن عن عباداتهـا

بضرب (الناقوس) من سمع صوت الناقوس ثم قايس ذلك بالأذان علم البون الشاسع بين الاعلامين فالأذان: شهادات بالاصول ودعوات إلى الفلاح والصلاة وخير الأعمال بفصول جاذبة قصيرة اخاذة والناقوس ضرب من الموسيقى وهو لهو ولعب .

وفي الحقيقة ان الشخص لو دخل مدينة اسلامية – لم تطغ عليها الاهواء فتنمحي معالم الاسلام فيها – اوقات الصلاة طرق مسامعه اصوات الأذان الجذابة من كل ناحية وجانب حتى ليشعر انـه في وسط روحانية لا تدرك مداها النفس وقد ندب الإسلام إلى الأذان بوحي من الله تعالى ليكون دعوة المسلمين الى الصلاة ، عن منصور بن حازم « قال ابو عبدالله « ع » لما هبط جبرائيل بالأذان على رسول الله «ص» كان رأسه في حجر علي (ع) فاذن جبرائيل وأقام فلما انتبه رسول الله «ص» قال : يا علي سمعت ؟ قال نعم . قال حفظت ؟ قال نعم قال : أدع لي بلالاً نعلمه فعلمه » .

والقصد من انتباه الرسول رجوعه عما كان يطرأه حالة الوحي – كما هو معروف – .

* * *

والصلاة : تبتدىء بتكبيرة الاحرام (الله اكبر) وتنتهي بالسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

وبينهما قراءة وتسبيح واذكار وحركات خاصة كلها لتطهير الروح وتنشيط الجسم وتقريب النفس الى الله العظيم .

وهكذا يكون سياق الصلاة :

(الله اكبر) فلا شيء اكبر من الله وقد تقدمت الاشارة الى تفسيرها – في الأذان – .

(بسم الله الرحمن الرحيم) كان المشركون يبتدؤون كل حركة وسكون باسم اصنامهم فكانوا يقولون : باسم اللات باسم العزي باسم هبل . وكانت النصارى تبتدىء باسم المسيح « ع » لاعتباره الإله الوسط والحكومات الملكية تبتدىء باسم الملك والحكومات الشعبيـــة الديموقراطية تبتـدىء باسم الشعب فتقول: باسم الشعب وهكذا كل يبتدىء بما يراه مصدر القوة .

فأمر المسلمون أن يبتدئوا باسم الله الذي هو الخالق الرازق ملك الدنيا والآخرة بيده أزمة الأمور وهو مصدر كل خير وعمـل و (الله) اسم خاص له تعالى لا يشاركه فيه أحد ولذا خص بالابتداء .

و (الرحمن الرحيم) صفتان كررتا مرتين في البسملة وفي الحمد تقريبـاً للناس إلى الله تعالى في قبال من كانوا يصورون الله تعالى – سواء منهم أهل الكتاب وغيرهم – بما له من قسوة وغلظة يعذب الناس حسب مشتهاه ولا يرحم صغيراً ولا مسكيناً ولا فقيراً ولا ضعيفاً .

(الحمد لله رب العالمين) هو رب كل شيء يربيها حتى تصل الى دورها الكامل رب المـاء والهواء والأرض والسماء والبرد والحر والدفء والضيـاء والانسان والحيوان والنبات والجماد ورب ما يرى وما لا يرى انه المستحق الوحيد للحمد لانه مصدر كل خير .

(الرحمان الرحيم) سبق الكلام فيهما .

(مالك يوم الدين) يوم الجزاء فحساب كل أحد عنده فهو المبدأ وهو الوسط وهو المنتهى وهذه الآيات تفيد هذه الأمور الثلاثة وبعـد ذلك فلم لا يعبد ولا يستعين به ؟ فان الانسان انما يخضع لأحـد ثلاثة اشخــاص : أما من يبدأ بالنعم ، وأما من يتعاهده حتى يصل إلى كماله المنشود ، وأمـا من يكون المصير اليه ، والله تعالى هو الأول وهو الثاني وهو الثالث .. فهو اللائق بالعبـادة والاستعانة دون سواه فهو إله وهو رب وهو المعـاد اليـه ، اذاً :

(اياك نعبد ، واياك نستعين) خطاب للإله المحيط بكل شيء فهو حاضر في كل زمان ومكان ، والعبادة هي الخضوع المطلق بتمام معنى الكلمة ولذا لا يسمى مجرد احترام أحـــد : عبادة ، والاستعانة طلب العون ، وحيث حذف المتعلق أفاد الكلام العموم أي نستعين في كل شيء !

(اهدنا الصراط المستقيم) الصراط المستقيم من كل شيء، من عادة وعبادة، وعمل وعلم وخلق وعشرة والانسان معرض الانحراف في كل خطوة من خطى حياته ولذا لا ينافي طلب الهداية مع كون الشخص مسلماً مهدياً .

(صراط الذين أنعمت عليهم) حتى نكون معهم فالانسان بعضه من بعض وبالاجتماع — حتى على الحق — تزدهر الانسانية وتسير الى الامام، ولذا يؤتى بصيغة المتكلم مع الغير .

(غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الذين كان من اظهر مصاديقهم اليهود والنصارى الامتان الكبيرتان، اللتان اخذتا طريق الانحراف والزيغ، فغضب الله على احداهما ، وضلت الاخرى فإنا مسلمون لا نميل الى احداهما .

ثم يقرأ الانسان بعد (الحمد) سورة من القرآن كي تتجسد صلته بكتابه الحكيم ويستفيد من غيره وعظاته ، وقصصه وآياته ويتقـوى بايمانه التليد ، ولذا يستحب التنـوع في السور ، حتى يغترف المسلم من مناهـل المعارف ، ويتعرف الى مختلف كلام الله تعالى .

ثم يركع خاضعاً خاشعاً ومن المشاهد ان الانحناء الى حد الركوع خضوع المنحني لأجله، وعلى هذا نرى ان الفرد ينحني قليلاً — أو يومي بالرأس فقط — اشارة الى عظمة الطرف المقـابل ويقول في الركوع (سبحان ربي العظيم وبحمده) تنزيهاً للاله العظيم الذي صغر المسبح اجلالاً له ، والتنزيه مقارن بالحمد ، فالاله منزه منعم فهو مسبح محمود .

وبعد ذلك يأتي دور السجود الذي لا خضوع فوقه واذا تصور الانسان فرداً ألقى بنفسه على الارض تعظيماً لاحـد الكبراء عرف مقـدار الخضوع

المنطوي عليه السجود ، وكلما ازداد الشخص خضوعاً ازداد التسبيح علواً ، ولذا نقول هنـــا : (سبحان ربي الاعلى وبحمده) فهناك خضوع أقل ولذا يقـول في الركوع (العظيم) وهنا خضوع أكثر ولذا يقـول في السجود : (الاعلى) .

والقنوت طلب ودعاء يصحبهما الخشوع بمـد اليدين يعرف ذلك الشخص حين يرى أحداً مد يده نحو غيره للاستعطاء .

والتسبيحات الاربعة (سبحان اللّه والحمد للّه، ولا اله إلا اللّه، واللّه أكبر) تنزيه وتحميـد واعتراف بالوحدانية وتكبير للّه تعالى فتتأكد الصلة ويتعاظم الرب في نفس العبد، وتنمو ملكة حسنة عليها يبنى كل خير .

والتشهد والسلام : شهادة بالوحدانية وبالرسالة مع عنـــاية تقديم لفظ (عبده) على (رسوله) وصلاة على محمد وآله الذين هم وسائط الحق ، وسلام على النبي المنقذ والعباد الصالحين وجميع الاولياء .

* * *

لقد حرض الاسلام كل التحريض على الصلاة ورغب في اقامتها كل ترغيب، وهدد التارك بما تقشعر منه الجلود ، وتتقزز منه الاجسام ، ذلك ابقاءاً على الصلة بين اللّه وبين العبيد لئلا يطغو طغياناً يفسد دنياهم واخراهم ، ان من يصلي كل يوم خمس مرات ، ويذكر الله بالعظمة ويسبحه ويحمده ، ويخضع أمامه ، راكعاً ساجـداً ، لا بد وان ينتهي عن الغي ولا بد وان يستقيم في أعماله وأفعاله، فلا يظلم ولا يؤذي ولا يحتكر ولا يأكل أموال الناس بالباطل، ولا يغصب ولا يسرق ولا ... ولا ...

وبذلك تتهذب نفسه ، وتسمو روحه ، ويسود النظام اطواره واحواله، واذا كان كل فرد كذلك ، يكون الاجتماع هادئاً منظماً ، تسوده الالفـة ، وترفرف عليه السعادة والكمال .

وهنـــاك قصتان واقعيتان ، وقعت احداهما قبل أربعين سنة تقريباً ،

والثانية قبل بضع سنوات لها الدلالة الكافية للترابط بين الصلاة والاجتماع وبين الصلاة وسمو الروح .

فالاولى : «كان عمال روسيا القيصرية — وهم يدينون بالنصرانية طبعاً — دخلوا ايران لبعض المصالح فاستأجر أحد مهندسيهم عمالاً ايرانيين لبناء أو ما أشبه وكان هؤلاء ـ بطبيعتهم الاسلامية ـ يتركون العمل أوقات الصلوات، وبعد ما يقيمونها ، يرجعون الى العمل ، فلم يرق ذلك المهندس الروسي ، وحذرهم بأن من يفعل ذلك، سوف يقطع عن راتبه مقداراً معيناً في الاسبوع، وهنا انقسم العمال الى قسمين قسم أصر على اداء الصلاة في أوقاتها كما كانت العادة وقسم انجرف مع كلام المهندس ، فكان يؤخر الصلاة الى آخر الوقت ليؤديها بعد الفراغ عن العمل، وفي نهاية الاسبوع حيث تعطى الرواتب أعطى المهندس رواتب العمال الذين اتبعوا كلامه على المقدار المعين المقاول عليه وأعطى رواتب الآخرين الذين التزموا بصلواتهم أوائل الاوقات أكثر من المقدار المعين! فاعترض العمال الذين سمعوا كلامه قائلين : كيف تعطي هؤلاء أكثر مع انهم عصوك وتعطينا المقدار المقرر مع اننا أطعناك ؟! فأجابهم قائلاً : ان اصرار هؤلاء على صلاتهم ، واعراضهم عن رواتبهم يدل على رسوخ دينهم في أفئدتهم ومثل هؤلاء لا يخونون العمل كما لم يخونوا صلاتهم فاني من هؤلاء على يقين ومنكم على شك » .

ان من يصرف النظر عن مقدار من راتبه لأجل أمر مندوب وهو الصلاة في أول الوقت هل يعقل ان يخون صاحب العمل لأجل التحصيل على مقدار من المال ؟

والقصة الثانية ينقلها احد الأصدقاء يقول: « لي ابن عم من التجار وخط سيره التجاري بين ايران وأوروبا حدث مرة ان سافر الى أوروبا للتجارة، وفي احدى المطارات حيث ينتظر الطائرة كي تتحرك ، التفت الى أن الوقت لم يبق منه ، إلا مقدار ان يصلي الظهرين ولو ركب الطائرة ، غربت الشمس

قبل الوصول الى المقصد فبدأ بالصلاة واذا بالطائرة يكمل ركابها ، وتريد الطيران ، ولما افتقدوا لهذا الشخص صبروا له هنيهة ، وفرغ هو من صلاة الظهر ، ثم قال للمدير : لا بد لي من ان أصلي العصر ولو طارت الطائرة ، وكلما أراد المدير ان يقنعه بضرورة الركوب والا كان اللازم ان يصرف النظر عن أجوره ، اذ بقاء الطائرة خرق للقانون المحدد لوقت الطيران لم يقتنع ، وبدأ بصلاة العصر ولما ان أتم الصلاة قال له المدير : انا خرقنا القانون لأجل إيمانك بمبدئك ، اذ من يصرف النظر عن أجور الطائرة الضخمة لأجل مبدئه ودينه لرجل حري بالاعظام ... ثم ركب الطائرة بفارغ الصبر ، وقد اكتسب احترام الجميع » .

وفي الحقيقة كان الأمر كما قال المدير : ان من يصرف النظر عن مثل هذه الأجور لأجل الصلاة رجل حري بالاعظام .

وكيف كان الأمر : فالصلاة صلة اذا تأكدت ازداد الشخص من الفضائل قرباً ، ومن الرذائل بعداً ، واذا وهت كان الأمر بالعكس هذا بالاضافة الى انه شكر لخالق عظيم ، أنعم بالوجود والحياة والصحة والرزق والامن والسعادة وما اليها مما لا يحصيه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون. اننا ربما نشكر من قدم لنا حاجة بسيطة لا تسد من الحياة إلا فراغاً صغيراً ولو لم نشكره كنا مخــالفين لضمائرنا مبتعدين عن القيم الانسانية فكيف لا نشكر - بالصلاة ونحـوها - خالقنا ورازقنا ومن يسبغ نعمه الظاهرة والباطنة علينا طيلة حياتنا ؟! انه جفاء محض وكفران صريح !

ولذا ورد في الآيات الكريمة والاحاديث الشريفـة الذم الاكيد على تارك الصلاة والمستخف بها .

قال زرارة قال أبو جعفـر عليه السلام : « لا تتهاون بصلاتك فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته. ليس مني من شرب مسكراً . لا يرد علي الحوض لا والله ! » .

وقال أبو بصير قال أبو الحسن الاول عليه السلام: ولما حضرت أبي الوفاة قال لي : يا بني انه لا ينال شفاعتنا من استخف الصلاة .

وقال أيضاً : دخلت على أم حميدة أعزيها بابي عبدالله عليه السلام فبكت وبكيت لبكائها ثم قالت : « يا أبا محمد لو رأيت أبا عبدالله عليه السلام عند الموت لرأيت عجباً ، فتح عينيه ثم قال : « اجمعوا كل من بيني وبينه قرابة قالت : فما تركنا أحداً إلا جمعناه فنظر اليهم ثم قال : ان شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة » .

وقال جابر قال أبو جعفر عليه السلام : « الصلاة عمود الدين مثلها كمثل عمود الفسطاط اذا ثبت العمود ثبتت الأطناب والاوتاد واذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب » .

والحق انها كذلك ، ان من يصلي كل يوم خمس مرات يتوجه الى اللّه تعالى ، ومن توجه اليه تعالى لا بد وان يأتي بسائر الواجبات ويترك سائر المحرمات الا الشاذ وهو لا يقاس عليه ، أما من يجرؤ على ترك الصلاة فما يجرؤ على اطاعة أوامر اللّه تعالى ؟ والعرف العام عند المسلمين شاهد على ذلك فالانسان اذا نظر الى المصلحين والى غيرهم، لرأى قلة الجنايات في الطائفة الاولى وبالعكس لمس كثرة الجنايات في الطائفة الثانية، فشاربو الخمور ولاعبو القمار ومنتهكو الحرمات وخارقو العفاف ... الى غيرها ... توجد بوفرة في تاركي الصلاة وهذا المعنى مما يلمح اليه الحديث الوارد عن السكوني عن أبي عبداللّه عليه السلام ، قال : « قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس لوقتهن فاذا ضيعهن تجرأ عليه فأدخله في العظام » .

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد رأينا من ترك الصلاة لا يلبث إلا ويستخف بسائر المحرمات وينتهك الحرمات حتى وصل الحال الى

بعضهم بالانسلاخ عن الدين وكانوا كما قال الله تعالى: « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » .

* * *

ان الصلاة كمقابلة لرئيس الحكومة — في أقل الفروض — فكما ان من يريد المقـــابلة لا بد وان يكون نظيف البدن طاهر الثياب ويكون حال التكلم متوجهاً الى ما يقول متحرياً جودة الألفاظ واناقة التعبير وسلامة الاسلوب . وكذلك المصلي يلزم ان يراعي بدنه وثيـــابه ومحله ولسانه . وفوق ذلك يلزم ان يراعي قلبه فان الله مطلع على القلوب عالم بالضمائر فاذا كان في قلبه رياء أو سمعة أو هواجس لم تقع الصلاة موقع القبول .

قال الحلبي قال الصادق عليـــه السلام « اذا كنت في صـــلاتك فعليك بالخشوع والاقبـــال على صلاتك فان الله تعالى يقول (الذين هم في صلاتهم خاشعون) » .

وروى ابن ابي عمير عمن سمع أبا عبدالله عليه السلام ، يقول « من صلى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنب إلا غفر له » .

وقال يونس بن ظبيان قال أبوعبدالله عليه السلام « اعلم ان الصلاة حجزة الله في الارض فمن أحب ان يعلم ما أدرك من نفع صلاته فلينظر فان كانت صلوته حجزته عن الفواحش والمنكر فإنما أدرك من نفعها بقدر ما احتجز ومن أحب ان يعلم ما له عند الله فليعلم ما لله عنده » .

وقال علي عليه السلام « لا يقومن أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعساً ولا يفكرن في نفسه فانه بين يدي ربه عز وجل وانما للعبد من صلاته ما أقبـــل عليه منها بقلبه » .

بل أكثر من هذا ان الصلاة بتفكر وحضور بال خير من صلوات كثيرة بدونها .

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ركعتان خفيفتان في تفكر خير من قيام ليلة » .

وقال الامامان الصادق والباقر عليهما السلام : « انما لك من صلاتك ما أقبلت عليه منها فان أوهمها كلها أو غفل عن آدابها لفت فضرب بها وجه صاحبها » .

هذا بشأن طهارة النفس حالة الصلاة .

أما طهارة البدن والمكان عن النجاسة والغصبية وما اليهما .

فعن الامام جعفر بن محمد عليه السلام قال: « لا تصل في جلود الميتة وان دبغت سبعين مرة » .

وروى محمد بن القاسم الطبري عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل : « يا كميل انظر فيما تصلي وعلى ما تصلي ، ان لم يكن من وجهه وحله فلا قبول » .

وعن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام: « سئل عن الموضع القذر يكون في البيت أو غيره فلا تصيبه الشمس ، ولكنه قد يبس الموضع القذر ؟ قال : « لا يصلى عليه ، واعلم موضعه حتى تغسله » .

وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : « قال الله تعالى : انما أقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي ، ويقطع نهاره بذكري ، ولا يتعاظم على خلقي ، ويطعم الجائع ، ويكسو العاري ، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب ، فذلك يشرق نوره مثل الشمس، اجعل له في الظلمات نوراً ، وفي الجهالة علماً ، اكلأه بعزتي ، واستحفظه ملائكتي ، يدعوني فألبيه ويسئلني فأعطيه فمثل ذلك عندي كمثل جنات الفردوس ، لا تيبس ثمارها ولا تتغير عن حالها » .

هـذه هي الصلاة المأمور بها ، أما صلاة اللاهي الساهي أما صلاة من لا يفعل ما يأمر الله به ، أما صلاة شارب الخمر ، القاطع للرحم الغاش للناس، الفاعل ما ينافي مبادىء الاسلام ، أما صلاة من يصلي في النجس ، أو على النجس، أو مع بدن نجس ، أو في المغصوب أو عليه ... أما... أما الصلاة في هذه الحالات فهي صورة جوفاء لا روح لها ، وأفضل مثالها الميت : ان جسمه تام ، لكنه لا يقوم بما يقوم به الانسان ، بل هو أشبه بالجماد !

ثم ان الصلاة لما كانت مقابلة لله تعالى واستعطافاً به واستعانة منه ينبغي للمصلي ان يكون في كمال الوقار والاحترام بملابس نظيفة تثير الجلال ، وبرائحة طيبة ، وخشوع وانصات .

قال الامام الصادق عليه السلام : « الصلاة بطيب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب » . وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «كان يعرف موضع سجود أبي عبدالله عليه السلام بطيب ريحه ». وعن عبدالله بن الحارث قال: «كانت لعلي بن الحسين عليه السلام قارورة مسك في مسجده فاذا دخل في الصلاة أخذ منه فتمسح به » . أقول وقد تبع الامام عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال (كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممسكة اذا هو توضأ أخذها بيده وهي رطبة فكان اذا خرج عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برائحته) .

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) قال ! (أي خذوا ثيابكم التي تتزينون بها للصلاة في الجمعات والاعياد) . وروى العياشي (ان الحسن بن علي عليه السلام كان اذا قام للصلاة لبس أجود ثيابه) فقيل له : يا ابن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك ؟ فقال (لأن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي ، وهو يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فاحب ان البس أجود ثيابي) .

حتى ان المرأة يستحب لها ان تصلي في حليها فمن جعفر عن أبيه عن علي عليهم السلام قال (لا تصلي المرأة عطلاً) .

هذه قطرة من بحر آداب الصلاة وعللها، كيف لا ؟ وقد ورد ان للصلاة أربعة آلاف حد ومن المعلوم، ان هذه الحدود والآداب ، لها عللها الاجتماعية والنفسية والدينية بل حتى الاقتصادية والسياسية ... وخصوصاً صلاة الجماعة التي هي من أبرز مظاهر المسلمين وقوتهم وشوكتهم واتحادهم ومساواتهم.. أمام رب العالمين الذي يقول: (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فلا فضل عنده لأحد وان كان زعيماً أو ثرياً إلا بالتقوى .

الصوم

هذا العالم الوسيع الذي نراه بالعين ونلمسه باليد : من السدم الى الذرات . .
ومن النجوم الزاهرة إلى حبات الرمال الكدرة بما بين تين من انسان وحيوان
ونبات ، وماء وهواء وضياء .. يطوي مراحل إلى الوجود ثم يطوي مراحل
إلى العدم ثم يطوي مراحل الى الوجود – ثانياً – ومراحل إلى العدم
وهكذا دواليك .

وليس هذا اعتقاداً بأن الكون كان طاقة ثم تبدل ثم يتبدل ثانياً
الى الطاقة .

كما يقوله من أنكر وجود الله أو ضعف لديه المنطق فظن ان الطاقة
يعقل أن تكون أزلية .

بل ما نذكره اعتقاد : بأن الله سبحانه خلق الكون من العدم وأوجد
الشيء بعد ان لم يكن . لكن نقول :

لنأخذ كل موجود نراه أو وصل اليه العلم :

فالانسان – مثلاً – كان تراباً ثم نزل عليه الماء فاهتز وانفلق الى نبات
فربي النبات حتى قام على سوقه فانقسم إلى مأكول حيوان ومأكول انسان
والحيوان بدوره صار طعاماً للانسان فاذا به ينعقد نطفه الى ان
صار انساناً .

ثم هذا الانسان يموت ، فينقلب تراباً .

ولعل من ترابه يصنع نباتاً ، وحيواناً وانساناً — ثانياً — . اذاً ..
فالعالم : عالم وجود وعدم ، ولذا يعبر عنه الحكماء بعالم (الكون والفساد)
اي يتكوّن الشيء ثم يفسد .. وهناك فارق بين الأعمار ، فعمر الانسان
أقل من عمر بعض الحيوانات وعمرها أقل من عمر قسم من النبات : كأرز
لبنان ، وعمر النبات أقل من عمر بعض الجبال ؛ حتى يصل الأمر إلى اعمار
تقاس بملايين السنين ولعل من الأعمار ما لا تدخل تحت مقاييس حسابنا ،
وان كان المدد بطوله اللانهائي يحوي كل عمر .

* * *

واذا تحقق ان الكائن بين الوجود والعدم .

نعود لنقول :

ان كل موجود له حالتان : حالة صلاح وحالة فساد . فالماء اذا كان عذباً
فراتاً كان صالحاً ، وإذا كان ملحاً اجاجاً كان فاسداً والنبات اذا كان نضراً
بهيجاً كان صالحاً واذا اصفر وذبل كان فاسداً وهكذا والشيء كلما كان
أصلح كان أكثر نفعاً في نظام الحياة .

والانسان لا يخرج عن هذا القانون العام فان الانسان الصحيح المتوازن
في جسمه وعقله وعاطفته، أفضل من الانسان المريض المختل نواحيه الانسانية .

ان الإنسان الصحيح :

١ — ينفع نفسه ، ويكون في بهجة وفرح وسرور .

٢ — وينفع المجتمع الانساني بعمله وفكره وتوجيهه .

٣ — وينفع الحياة — بصورة عامة — في اصلاحها وبنائها .

ولذا كانت الصحة — بجوانبها الثلاث — :

أ — الجسدية .

ب — العقلية .

ج — العاطفية .

من أهم ما يهتم بها الانسان فرداً وجماعة شعباً ودولة ، عالماً وجاهلاً .

وليس علم الطب : إلا لتقويم الانسان من ناحية الجسد .

وليس علم النفس : إلا لتقويم الانسان من ناحية العقل (النفس) .

وليس علم الأخلاق: إلا لتقويم الإنسان من ناحية العاطفة .

* * *

والاسلام بما انه دين الإنسان والحياة .. يهتم بناحية الصلاح في كل شيء ولذا نراه انه قرر برامج لكل ما يتأتى للانسان اصلاحه :

ففيه برامج للزراعة والعمارة .

وفيه دساتير للحيوان .

وفيه أنظمة للانسان مما يزخر بها الكتاب والسنة ويطفح بها الفقه الاسلامي — بمعناه الوسيع — .

والصوم :

الذي نحن بصدده .. من خطوط الإسلام العريضة التي وضعها للاصلاح العام .

اصلاح البشر جسدياً ، وعقلياً ، وعاطفياً — اولاً — .

واصلاح ما يتمكن البشر من اصلاحه مما يكون في تناوله من مناحي الكون .

وهنا سؤالان يفرضان أنفسهما :

١ — ما هو ربط الصوم بالاصلاح العام ؟. أفهل امساك بضع ساعات من الصباح إلى المساء يولد هذا الأمر الهائل : اصلاح البشر . واصلاح ما في متناول البشر ؟

٢ - لو كان في الصوم هذه الطاقة المهولة ، فلماذا نرى هـذا التأخر في المسلمين بينما نرى التقدم في أناس لا يصومون كأهل الغرب والشرق ؟ .

والجواب :

ان الصوم مرتبط بالاصلاح العام وليس هو العلة الوحيدة في الاصلاح العام فهو كآلة في جهاز كامل لا انه الجهـاز كله فان الاسلام بجميع جوانبـه ، جهاز كامل للاصلاح والصوم من ذلك الجهاز .

أفهل نرى ان الطائرة انما تطير اذا كملت آلاتهـا وأجهزتها ولو نقص منها شيء لم تطر وكانت حرية أن تصنع من صفحاتهـــا جدر البيوت ومن آلاتها اعواضاً لما افتقدتها السيارات وما اشبه ؟ .

والصوم في الجهاز الإسلامي الكامل له هذا المثل .

انه عضو رئيسي في الاصلاح أمـــا هو وحده ، أو مـع بعض اجهزة اسلامية اخرى فلا يكون مثله إلا مثل الطائرة لا يصلح إلا بقدر .

وخذ مثلاً آخر :

الانسان واعضاؤه الرئيسية .. فالقلب ، والرئة ، والكلية ، والمخ ، والكبد وما اليها .. هي اجزاء رئيسية لا يصلح البدن إلا بكل واحـدة واحدة منها .

فلو قلنا : القلب جهاز رئيسي يقوم بدور هام في صلاح البـدن . ليس معنى ذلك ان القلب وحده — او مع بعض الأجهزة الأخرى — يتمكن من أن يقوم بوظيفته وانما المقصود ، ان القلب جهاز كبير في ضمن الجهاز البدني العام ، به يصلح البدن لو كان مكتمل الاجزاء والاعضاء .

وكذلك : الرئة . والكلية . و . و .

والصوم كذلك .. انه خط عريض للصحة الانسانية والصلاح الحياتي لكن

ليس معنى ذلك انه الصوم وحده يكون له هذا المفعول وانما الصوم يقوم بدوره في ضمن جهاز الاسلام العام .

وأما كيف يكون الصوم كذلك ؟

فمجمله انه يعدل الانسان في جسده ونفسه وعاطفته وبتعديل الانسان يتعدّل النطاق الذي يعيش الانسان داخله من سائر الامور الكونية .

وسنلمح في الفصول القادمة إلى بعض مفعولات الصوم حتى يتبين الارتباط بينه وبين الصلاح العام .

بقي الكلام .

في انه كيف ان المسلمين مع التزامهم قليلاً أو كثيراً بالصوم تأخروا وغيرهم مع عدم اتيانهم بهذا الواجب تقدموا ، مع ان القاعدة تقتضي العكس ؟ .

والجواب للبند الأول من السؤال ظهر من الكلام السابق : فان الصوم آلة في جهاز عام . فالتأخر ليس من ناحية هذه الآلة السالمة وانما هو من ناحية سائر الآلات المتفككة المبعثرة .

ومن المثالين السابقين يظهر ذلك بوضوح .

فان عدم طيران الطائرة ليس لاجل الجناح السالم ، وانما لأجل فقد الوقود مثلاً .

وعدم حياة الانسان ليس لأجل القلب السالم وإنما لاجل الرئة المصابة مثلاً .

فالتأخر في المسلمين ليس لأجل انهم يصومون بل لاجل انهم لم يأخذوا بتعاليم الإسلام كجملة كاملة ، وانما أخذوا بعضاً وتركوا بعضاً .

فتراهم .. يصومون ولا يزكون .

ويصومون ، ولا يأخذون بنظام الإسلام في السياسة .

ويصومون ولا يأخذون بدستور الاسلام في الاجتماع .

ويصومون ، ولا يأخذون بمنهاج الاسلام في باب المواطن والاجانب .

وهكذا .. وهكذا .

وإذا كان فقد آلة واحدة في طائرة ذات ألوف آلات جديراً بهـا ان لا تطـير .

وإذا كان فقد عضو واحد في انسان ذي ألوف أعضاء حقيقـاً به ان لا يبقى حياً .

ففقد أنظمـة ودساتير ، ومنـاهج وقوانين ، من الاسلام اجـدر بأن لا يتمكن من تسيير الحياة نحو الصلاح والكمال .

وأما البند الثاني من السؤال : وهو كيف تقدم الاجـانب وان لم يكن الصيام من براجهم ؟

فلنا أن نسأل :

وما هو تقدمهم ؟ وما الدليل على ذلك ؟

احربان عالميتان ، تهلك الحرث والنسل ، وتجري انهر الدموع وبحـار الدمـاء ، وتحرق الرطب واليابس – كل ذلـك في ظرف نصف قرن – دليل التقدم ؟

أم الثورات المتلاحقة ، والاضطرابات المتسلسلة والاضرابات المتتـالية والمهاترات في الاذاعات والصحف دليل التقدم ؟.

أم الاستعمار العسكري بقتـل الوف النـاس ، للاستغلال والاستعمار ، والاستثمار ، وانزال صنوف العذاب والآلام على اناس آمنين دليل التقدم ؟ .

أم ارهاب العالم ، القنابل النيترونيـة والهيدروجينية ، والصواريـخ والاسلحة الاستراتيجية والوسائل الحربية الابادية دليل التقدم ؟ .

أم امتصاص دمـاء الشعوب الضعيفة ، بشتى وسائـل الخداع والمكر دليل التقدم ؟

أم حروب الجراثيم والمكروبات ، دليل التقدم ؟ .

أم . وأم . وأم ؟ .

نعم . تفوق الغرب في الآلة ليس محل انكار .

لكن دعنا لنسأل :

آلة ، واضطراب .. أفضل ، أم هدوء بغير آلة ؟ .

ثم .. ومن الذي جعل المسلمين متأخرين — في هذه الناحية : ناحية الآلة — أليس هم المستعمرين الذين حالوا — بالسلاح والاستعمار — دون اختراع المسلمين واستفادتهم من ادمغتهم الخصبة وأراضيهم الوسيعة الممتلئة بالمعادن ومواد الحياة والثروة ؟

والحديث في هذا الباب طويل ، لندعه إلى محل خاص بـه لنرجع الى الصوم الذي نحن — الآن — بصدد البحث عنه .

* * *

ولنعرف — اولاً — :

ان الصيام ، عبارة عن : الإمساك عن المفطرات العشرة التي هي :

١ — الاكل

٢ — الشرب

٣ — الجماع

٤ — الاستمناء

٥ — الحقنة بالمائع

٦ — الارتماس في الماء

٧ — الكذب على الله ورسوله والائمة

٨ — ايصال الغبار الغليظ إلى الحلق

٩ — التقيؤ

١٠ — البقاء على الجنابة إلى الصباح .

ومعنى ذلك ان يزم الانسان : حلقه وفرجه بزمام صارم لتحبس النفس عن هـواها في فترة معينة بين الصباح والمساء في كل سنة شهراً وان ؟ لله تعالى .

ففيه :

أ ـ حفظ النفس .

ب ـ والتوجه الى الله سبحانه .

وكل واحد منهذين الأمرين، خليق ان يوجد في الانسان دعامة للاصلاح الفردي والاجتماعي والكوني .

أما حفظ النفسفان النفس التيتترك وهواها لا بد وان ترد موارد الهلكة بالنسبة الى ذاتهـــا وغيرها ، أما لو اعتـاد الانسان ان يزمها حتى صار ذلك ملـكة له ، فانه لا بد وان لا يقف عند الصلاح ولا يقتحم في المهالك .

والصوملكونه زماماً ارادياً ـ لأنالانسانيترك المفطرات بمجرد ارادته ـ يمرن النفس على ترك المشتهيـات لمجرد اشتهائها ، ويتدرج الانسان في هـذه المقاومة الى ان يصل الى ملكة راسخة ، يتمكن بهـــا من الانكماش والانبعاث .

وذلك خلافاً للنفوس المهملة التي تنبعث بمجرد الاشتهاء بدون ان تكون لها مقـاومة وزمام ، فانها لا تتمكن من الصمود امام الفساد والمنبعث نحو الفساد ، لا يفرق فيه بين فساد نفسه ، بتجرع المضار ، وفساد مجتمعه بالهدم والنقض وفساد ما حواليه من الامور الكونية بالخبال .

وأما التوجه الى الله سبحانه .

فان الانسان اذا توجه الى الله سبحـانه ورآه حاضراً يعلم صومه وفطره وأكله وشربه وخطرات قلبه ونوايا نفسه لا بد وان يكون هذا نقطة انطلاق

نحو الآفاق العالية نحو ادراك ان الانسان مراقب في جميع حركاته وسكناته مرصود في كل لفتة وهمسة ونية .

فلا يزال تكرار الصيام يوماً بعد يوم وامتداد الصيام في كل يوم ساعة بعد ساعة يقوي هذا التوجه ، ويؤكد هذه الفكرة حتى يسيطر على النفس حالة تشبه حالة الانسان اذ هو حاضر امام الملوك والزعماء .

فكما يكون الانسان في حالة من الأدب والمواظبة ، اذا رأى نفسه حاضراً امام الزعماء والملوك... تمنعه عن كل شيء ينافي مرضاتهم كذلك يكون اذا سيطرت الملكة الحضورية على الانسان بالنسبة الى الله سبحانه . فانه حينئذ لا ينبعث إلا عن رضاه ولا يأتي بما يخالف ارادته تعالى.

وماذا يخالف رضاه وارادته ؟

انه كل قبيح ومنكر ، واثم وعدوان ، وظلم وجور ، وتعدي عن الحقوق ، وتجاوز عن الحدود .

وبهاتين الملكتين : ملكة حفظ النفس ، وملكة المراقبة الالهية لا بد وان تتعدل النفس الى نحو الصلاح والاصلاح .

والنفس الصالحة ، لا بد وان تراعي حقوق الذات وحقوق المجتمع وحقوق ما تحت تناوله من الكون والحياة .

* * *

عرفنا : ان الصيام ، امساك عن عشرة أشياء ، هي مرمى الشهوات — غالباً — .

وعرفنا : ان وقت هذا الامساك ، من طلوع الفجر الصادق — أي الفجر الثاني المعترض في الأفق الذي يكون قبل طلوع الشمس بساعة ونصف تقريباً .

وعرفنا : ان أيام هـذا الامساك في كل سنة ، شهر كامل يسمى بشهر رمضان المبارك .

وعرفنا : مجملاً عن حكمة الصيام .

فلنعرف — الآن — مـدى تأثير الصيام على سلوك الانسان وعلى صحته الجسدية .

أما تأثير الصيام على سلوك الانسان :

أ ـ فالانسان بطبعه ضعيف الإرادة، خاوي العزيمة يتأثر بالمحيط والتقاليد والعادات، فيميل مع هذه الاستجابات، تبعاً لضعف ارادته وخور عزيمته.. ولا تزال الارادة كذلك حتى تترسخ فيهـــا نواحي الضعف واللين ، وعند ذاك لا يستجيب للحق ، وان رآه بأم عينيه ولا يصغي الى نداء الضمير وان صرخ بالحقيقة والصدق ، فاذا أصاب المجتمع بهكذا نكبة ، يتدرج في مهاوي المهانة والانحطـاط ، حتى يتجـاوز عن المحيط الحيـــواني ، الى الدرك الأسفل .

وبالعكس من ذلك اذا قويت الارادة، وأحكمت العزيمة فان الارادة القوية لا تزال تشق الطريق الى الحق، وتصعد بصاحبها نحو المستوى الأرفع، حتى يسمو الانسان الى الغاية القصوى من المدى البشري، واذا حصل فرد في مجتمع هكذا ، سما به الى العلو ، فكيف اذا كان المجتمع كله كذلك ؟

والصيام من أقوى الوسائل ، لتقوية الإرادة ، وتحكيم العزيمة ، فان من تمرن على جذب زمام نفسه عما يشتهيه ولا مانع ولا رادع، طيلة ثلاثين يوماً، كل يوم اثنتي عشرة ساعة ، فانه حري بان يصلب عوده ، وتقـوى نفسه ، واذا قويت النفس ، لم يفرق بالنسبة اليها الصمود أمام النزوات الشهوية ، أو الصمود أمام المغريات الاجتماعية .

كالبطل الذي اذا تمرن جسده بالرياضة، لا يفرق امامه مصارعة الأفراد.

ب ـ كما انه يقوي الصيام في الانسان ، روح الامانة .

وهل نجد أميناً كالصائم ، في متناوله الطعام اللذيذ ، والشراب الشهي ، فلا يمد اليه يداً ، ويقرب منه زوجه الضحوك فلا يقترب اليها كلا ! كلا !! ولا يتناول قطرة ماء ، ولا لقمة طعام ولا يخمد شهوته باراقة قطرة ، ولا باقتراب لحظة .. فأحر به أن يؤتمن على القليل والكثير والجليل والحقير . ولماذا يترك هذه المشتهيات ؟ لأنه أمين في دينه . وهل سائر الامناء صاروا امناء إلا لأنهم امناء في دينهم ؟

ج ـ كما يحد الصيام سورة النزوات النفسية .

فان النفس إذا تركت وشهواتها ، صارت كالأرض المهملة التي تنبت كل ضار وتافه ، أمـــا اذا روعيت ـ وخصوصاً بالمنع عن الشهوات ـ صارت كالأرض المحروثة المصفـاة ، التي لا تنبت الا طيباً ، ولا تثمر إلا صالحاً ، فاذا حد الصيام من نزوات النفس ، وشهوات الجسد ، لا بد وأن تتركز فيه ملكة الصلاح والاصلاح فيصفو القلب وتقترب النفس الىالاعتدال اللائق بها .

فان من يمنع نفسه من مـــاء حلال ، لأجل الصيام يمنع نفسه عن خمر حرام . ومن يمتنع عن زوجة حلال لأجل انه صائم ، يمتنع عنامرأة أجنبية بعد الاقتراب منها زناً محرماً . ومن يكف نفسه عن أكل خبز محلل، اطاعة لاوامر الصيام ، يكف نفسه من أكل الربا والسحت .

وهكذا يتولد في النفس زمام المنع عن الشر ، والإقدام على الخير .

د ـ أما اشعار الصيام بالمساواة ، فشيء يعرفه الجميع .

وهذا هو الطابع العام ، لجميع عبادات الاسلام :

فالصلاة واجبة على الجميع .. يقف الجميع ـ خصوصاً في الجماعة ـ امام ملك الأرض والسماء . والزكاة واجبة على كل من عنده النصـاب ، بانصبة معينة ، لمصارف معينة .

والخمس واجب على كل من اكتسب زائداً او يؤدي نحـواً واحداً ، الى مصرف متحد والجهـــاد واجب على الغني والفقير ، والكبير والصغـير ، والشريف والوضيع .

والحج واجب ، يؤدى بكيفية واحدة ، في مواضع خاصة ؛ بشروط وآداب مخصوصة .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر عامان بالنسبة الى جميع المسلمـين لا يخصان برجال العلم أو مـا اشبه والاتجاه الى ناحية واحدة – بالتولي – والتنفر عن سواها – بالتبري – عام لكل مسلم لا طبقات ولا تمايز ولا خصوصيات ولا مزايا ولا صدر وذيل .

والصوم من عبادات الإسلام هكذا .

فهو يسوي طبقات الناس على صعيـد الجوع والعطش فيعرف الغني ألم الفقير ويعرف الفقير مساواة الغني له – في هذه الناحية – فيقع التعـاطف والتراحم ويشتبك الاجتماع أكثر فأكثر فان نداء الضمير هو الذي يجمع بني الإنسان على صعيد واحد .

هـ – وفي هذا الإطار العام من الصيام .

تتهذّب النفوس والعواطف – من جميع النواحي – .

فالكرم من ولائد الحس بألم الفقر والمسكنة .

والعطف من ثمرات الحس المشترك بالجوع والعطش .

والاخوة من نتائج الشعور بالوحدة على صعيد الإنسانية .

وهكذا .. وهكذا .

فان النفس الزكية هي مبعث الفضائل ومطردة الرذائل . وحيث ان كل فئة من الفضائل والرذائل كسلسلة متصلة الحلقات كان الصيـام ولا بد هو المحفز لجميع الفضائل – بعضها بالمباشرة وبعضها بالتسبيب – كما ان تركه مبعث سلسلة من الرذائل ابتداء أو مع الواسطة .

و – وبالصيام يتقوى الإيمان بالله .

فالصائم طيلة شهر يرى نفسه ليلا ونهاراً أمام الله تعـالى .. أما نهاراً فانه صائم كاف نفسه عن الملاذ والمشتهيـات مراقب مرصود لا يتمكن من الانتفاع حتى بدخان معتاد وأما ليلا فهو بين الانطلاق عن قيود النهار وبين الاستعداد لوجبة السحور لليوم القادم .. ولم ذلك كله ؟ . ولم هذا الدؤوب طيلة شهر بأيامها ولياليها ؟ . ولم هذه القيود – بدون حديد وكبل – وهذا الانطلاق بدون فك وكسر ؟.

كل ذلك .. لله ، ولله وحـده ، وهناك تتركز دعائم الايمان ، وتقوى الصلة بين الانسان وبين الله ، ويستوثق الارتباط بعالم الغيب ، وتتجسم في النفس الرقابة الإلهية فيدرك انه مراقب في كل اعماله وأفعـاله حتى في نوايا قلبه وهواجس صدره .

أليس الصيام يحتاج إلى النية القلبية ؟ اذاً يعلم الله حتى النوايا والخفايا .

وهنا يصبح الايمان مزيجاً بروح الانسان ونفسه ، ويكون عـادة عفوية تصدر عن جوارحه وأعضائه ، بلا صعوبة ومشقة . فتنتظم الارادة والفعل في اطار عام من الفضيلة والأدب .

ز – حتى ينتهي الأمر – إلى الصبر والثبات – .

فبالصيام يتمرّن الإنسان على الصبر والثبات .. أليس الصبر على الكف عن المفطرات طيلة شهر ، من أقوى أسباب تركيز الثبات في النفس ؟ .

والصبر والثبات .. هما مفتاح كل حركة اصلاحية ، ومنهما يبتدىء كل انطلاق وتحرر ، فبدون الصبر لا يكتب المؤلف ، وبدون الصبر لا يصمد الجندي ، وبدون الصبر لا يفتح القـــائد ، وبدون الصبر لا تنقلب الأرض الجرداء جنة نعيم ، وبدون الصبر لا يتمكن المصلح من إقامـــة المعوج من الأخلاق والسلوك ، وبدون الصبر لا تحرر البلاد .

هذه امور :

يكون الصيام مصدرها ومبعثها . وبالصيام فقط يمكن الحصول عليها ، وعلى الصيام يؤسس الاجتماع الصالح والفرد الصالح بسببها .

* * *

وبعد ذلك ، يأتي دور شهر رمضان كمبعث لفوائد اخرى :

١ — فشهر رمضان عيد عام يحتفل فيه بنزول (القرآن العظيم) الكتاب السماوي الخالد الذي أنزله إله الكون وخالق الانسان على اعظم بشر خلق او يخلق إلى الأبد ، لتنظيم الأرض بما فيها البشر والحيوان والنبات ، وبما يدور في نطاقها من حركة وسكون ، وغزو الفضاء ، وغوص الدأماء .

فمن الجدير ان يحتفل المسلمون — بل البشر كل من وعى وفقه منهم — بهذا الكتاب الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وقد جعل الاحتفاء بهذا الكتاب ، من جنس ما نزل لاجله .

فانه لم ينزل لأجل الأكل والشرب ، ولا لاجل الجاه والمنصب ولا لاجل الاستغلال والاستثمار .. حتى يكون الاحتفال به أكلا وبهرجة ، وكراسي وأبواق .

وانما انزل لاجل طهارة النفس وتزكية الروح ، وتنمية الارادة وتنظيم الاجتماع ، واصلاح الأرض .. والصيام مبعث كل ذلك — كما سبق التلميح إلى شيء منه — .

ولو كانت الثورات التي تطيح بأحكام الظالمين ، والحروب التي تدك صروح التافهين ، توجب تعظيم الناس إياها ، واقامة المهرجانات لاجلها ونصب الاعياد والولائم احتفاء بها — في يوم أو أيام — فأجدر بولادة القرآن

العظيم : هذا الشرع العالمي الاسمي . أن يؤخذ لاجلها شهراً عيداً ومهرجاناً وافراحاً وتذكاراً .

٢ ـ وفي رمضان يتاح لحملة الإسلام نشر الأحكام وتعريف الناس بحقائق الإسلام فهو شهر تبليغ وإرشاد وموعظة وهداية . فان العظة في غير هذا الشهر تتبخر على الاكثر مع (الروتين) الرتيب في الاعمال والاشغال والغداء والعشاء أما في هذا الشهر فقد كسر (الروتين) وأطيح بالترتيب ربدات الاوضاع وتوجهت النفوس إلى السماء الى الحق والخير الى الاصلاح والتهذيب .

فالجو صالح للبلاغ والرشاد والنفوس مستعدة لقبول العظـــة والنصح والأرواح مصغية الى الهداية والفلاح .

وهذا هو سر ما نرى من الإقبال العظيم فيهذا الشهر المبارك إلى المساجد والمعابد والأعتاب المقدسة والوعاظ والمرشدين والاحكام والمسائـل والقرآن والحديث فتعقد في المساجد الصلوات وحلقات الدروس والتجويد ويصـل الناس ليلهم بنهارهم وبالذكر والتلاوة والتهجد والعبادة .

فكم من تارك للصلاة يجعل هذا الشهر فاتحة اقامة للصلاة !

وكم من شارب للخمر يمتنع من بدء هذا الشهر عن معاقرتها !

وكم من مقامر يتوب الى الله تعالى في هذا الشهر توبة نصوحاً !

وكم من عامل بصنوف المحرمات ينقلع عما اقترفه ليكون مؤمناً صالحاً !

وكم من تارك للخمس ومانـــع للزكاة ومستطيـع لم يحج مسوفاً و. و. ويتوب في هذا الشهر ، ليؤدي ما عليه من حقوق ويعزم على الحج و. و.

٣ ـ والمسلم في هذا الشهر وحده يستطيع أن يثوب إلى رشده ويرجع الى نفسه ، ليرى الصالح من عاداته من فاسدها ، ويميز بـين الغث والسمين فان الانسان في مضيق الاعمال والاشغال يغفل حتى عن نفسه ، فانى له ان يفكر في ما يعمل ويميز الحسن من القبيـح في تقاليده وأعماله وعاداته ؟ .

أما شهر الصيام فهو شهر استجمام ، وخلوة بالنفس ليجدد حياته ويخطط لمستقبله فيترك الفاسد مما يأتيه ويستبدل بها الصالح وهناك يجد الانسان لذة الحياة ويرى جمال الكون الوسيع ويقدر الخالق حق قدره بقدر ما يعمل من تفكيره .

* * *

أما الناحية الصحية من الصيام فشيء ضجت به الكتب ويعرفـه حتى أبعد الناس عن الاسلام .

ولقد كان ذلك مقرراً في الطب القديم وكان مبعث انفجار تفكير الاطباء القدامى ، في هذه الناحية قولة الرسول الكريم (ص) « صوموا تصحوا » .

ثم جاء الطب الحديث ليشد ازر الطب القديم ، ويوسع في آفاق الصحة الصياميـة :

وقاية وعلاجاً .

فالصوم يريح جميع الاجهزة والانسجة والخلايا والغدد والاعصـاب والاجزاء والاوردة والشرايين من الانهاك والارتباك الحادثين بسبب الاستمرار في العمل المتواصل ليل نهار وليس معنى ذلك انها تقف عن العمل ، بل معناه انها تبطيء في العمل لتأخذ راحتها وتنفس عن متاعبها وبذلك يكون الصوم وقاية عن الضعف والاحتقان والتضخم والاكتناز والتخمة والامتلاء .

فيطول العمر ، وينشط الجسم ، ويستريح الانسان من الترهل والكسل ، ويبتعد عن الامراض والأوجاع .

كما ان الصوم يسبب نشاط الفكر ، ويقظـة الذهن ، وحدة الفطنة وارهاف الذكاء .

أما اضطراب الهضم ، وأمراض القلب ، والكبد ، والطحال ، والكلى ، والبول السكري وضغط الدم .. فان الصوم يقضي على جميعها كما انه يذيب الاورام الصغار ويطهر الجسم من الرواسب .

وقد زخرت كتب الطب الحديث ، والكتب الاسلامية الناقلة منها ، بأقوال كبار الاطباء الذين لا يدينون بالاسلام ، حول فوائد الصيام ، وانه واجب في كل اسبوع يوماً أو في كل شهر اسبوعاً أو في كل سنة شهراً .

وقد انشئت في الغرب مصحات تقوم بالعلاج بالصوم .

وبالجملة ..

فالصيام من اكبر خطوط الاسلام الصحية وقاية وعلاجـاً . ويوم كان الصوم منتشراً بين المسلمين إلىجنب سائر وصايا الاسلام الصحية لم يكن يرى عشر معشار الامراض الموجودة الآن ولا عشر معشار المرضى الموجودين الآن.

وبعد ذلك .

ليس من المستغرب أن نرى عدد الاصحاء من الصائمين اكثر بكثير من عددهم من المفطرين .

وليس الصيام سبباً للصحة بمجرد انه إمساك بل يضاف الى هذا السبب أمران آخران :

١ ـ الارتياح النفسي الحاصل من جراء تجدد نظام الحياة في هذا الشهر فان شعور النفس بتغير المناخ أو النظام أو ما اشبه .. يلقي فيالنفس شعوراً بالراحة والحبور مما يسبب وقاية عن كثير من الامراض التي مبعثهـا القلق والهم وعلاجاً لكثير من الامراض المتولدة من الاضطراب الفكري والعقـد النفسية . فكما يشعر الإنسان المسافر بالراحة النفسية فتزول أمراضه كذلك يشعر الصائم بالارتياح والحبور فيبل من كثير من أسقامه وآلامه .

وهذا مما يدل عليه علم النفس وتؤيده التجربة .

خصوصاً وإن للإفطار فرحة لا توازيه اية فرحة إذ الانسان يشعر طول النهار بقيود وحدود فاذا جاء وقت الافطار شعر بالانفلات عنها وذلك يلقي في نفسه سروراً وانبساطاً يخلق بهما ازالة كل هم وايجاد مناعة قوية ضد أي عقدة نفسية أو اضطراب فكري .

ولذا ورد في الحديث : « للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الله » .

٢ ــ الاطمئنان والهدوء الحاصلان بسبب الشعـور بالاتصال بإله السماء وخالق الكون فان الشعـور بالاســتناد الى كبير ـ خصوصاً اذا كان أكبر الكبراء ـ مما يشع في النفس بهجة وينير الروح فقـد ورد في الآية الكريمة : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وهـذا الاطمئنان من أقوى مطاردات القلق والخوف والاضطراب التي هي بدورها أسباب لأمـراض كثيرة جسدية وعقلية وعاطفية فاذا حصل هـذا الاطمئنان ارتاح النفس واستنار الضمير وشع الروح .

وأخيراً صار سبباً للوقاية من أمراض والعلاج من أمراض .

* * *

والاسلام الحكيم في جميع خطوطه وتشريعاته قد جعـل للصيام شرائط رعاية للقدرة أو ما أشبه :

١ ـ ان يكون الفرد بالغاً وهو من أتى عليـه السن الاسلامي وأعلنت الطبيعة المودعة فيها بانه قد كمل فغير البالغ ليس عليه الصوم .

٢ ـ ان يكون عاقلا فالمجنون مرفوع عنه القلم .

٣ ـ ان يكون قادراً .

أ ـ فالمريض الذي يضره الصوم ومنه ذو العطاش .

ب ـ والشيخ الهرم الذي يصعب عليه .

ج ـ والحامل المقرب التي تخشى على نفسها أو ولدها من الصوم .

د ـ والمرضعة القليلة اللبن التي يضر الصوم بولدها .

هـ ـ والمنكره الذي يكره على الافطار .

و ـ والمضطر الذي يوجر في حلقه .

لم يجب عليهم الامساك .

كما أن :

١ ـ المسافر بشروطه .

٢ ـ والمرأة الحائض .

٣ ـ والنفساء التي ولدت وهي بعد في نفاسها .

ليس عليهم صيام . وقد يقول القائل :

عرفنا وجه سقوط الصوم عن الاولين فلا يجب عليهم الامساك فما علة سقوط الصيام عن الآخرين ؟

والجواب :

ان المسافر ـ في الغالب ـ يصعب عليه الصيام خصوصاً والصيام يحتاج الى راحة وهدوء ، وفطور وسحور ، فقد أسقط الاسلام الصيام عنه رحمة وفضلاً . والنفساء عذرها معها فالمرأة بعد الولادة في حالة مرضية تحتاج معها الى غذاء ودواء فكيف تصوم والحال هذه ؟ والحائض وان لم تكن ـ في بادىء النظر ـ مريضة لكنها في الحقيقة مريضة كما يقرره الطب قديمه وحديثه ، وتلمح الى ذلك الآية الكريمة « قل : هو اذى » فرؤف الاسلام بها ، ان تقع في عنت وإرهاق من جراء الصيام .

وبعد ذلك ...

لاحظ الاسلام هؤلاء الذين أسقط عنهم الصيام .

فمن أسقط عنه لأنه ليس فيه مقتضى كالصغير ، والهم فليس عليه الصيام لا اداء في شهر رمضان ، ولا قضاء في خارجه في بقية السنة .

أما من سقط عنه ، لمانع كالمريض والمسافر والحائض ومن اليهم فتحفظاً على ادراكهم فوائد الصيام ، قد أوجب عليهم الاسلام القضاء ، تقول الآية الكريمة :

« فمن كان منكم مريضاً أو على سفر ، فعدة من ايام اخر » .

بقي شيء :

وهو ان الجاهل الذي لا يعرف الحكم لا يؤاخذه الاسلام، وكيف يؤاخذه وهو القائل في القرآن الحكيم « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » وقال الرسول الكريم : « رفع عن أمتي ؟ ما لا يعلمون » وكذلك الناسي والذي افطر خطأ، فقد قال القرآن الحكيم: « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا » وقال الرسول العظيم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » .

هؤلاء جميعاً لا يؤاخذهم بالعقاب على ترك الامساك .

بل عليهم أن يقضوا يوماً بدل يوم .

وهنا يتجلى الفارق الانساني الكبير بين الاسلام وبين قوانين الحكومات حيث تؤاخذ على الشعرة وكثيراً ما يحكمون على جاهل أو ناس أو مخطيء أو ما أشبه باحكام اعتسافية .

ولم ؟

لانه لم يتبع القانون وهل كان يعرف القانون فخالفه عمداً أو ذاكراً للقانون، فعدل عنه عناداً ؟ كلا ! لا ذاك ولا ذلك وانما القانون أعمى يمشي مترنحاً لا يرى بما يصطدم وماذا يفسد .

وعلى أي حال.. فهؤلاء معذورون في ترك الصيام وان وجب على بعضهم ابداله .

ولنسمع الى الاسلام ليتكلم عن الصيام .

يقول القرآن الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. اياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من ايام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

ولنقتطف من أزهار هذه الباقة العطرة اوراداً فنفسر على ضوء اللغة والحديث والتفاسير : « يا أيها الذين آمنوا » .

خصوا بالخطاب لانهم الذين يستفيدون من الاحكام وان كان احكام الاسلام عامة لجميع البشر.

« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » .

فان تشريعات الله تعالى كلها متناسبة ، وان اختلفت في المزايا والخصوصيات. فالصلاة والصيام ، والحج والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولي لاولياء الله والتبري من أعداء الله واخراج قدر من المال باسم الزكاة أو ما أشبه. كلها عامة كانت في الامم السابقة كما شرعت لهذه الامة مع تفاوت وامتيازات ، فان البشر بشر . وما يصلح أوله يصلح آخره ، وكذا بالنسبة الى ما يفسد لكن حيث اختلفت الامم في بعض النواحي اختلفت المزايا كما تختلف (الصلاة) مثلاً في المسلمين بالنسبة الى الحالات والطوارىء .

« لعلكم تتقون » .

فان الصيام يهيىء النفس كما يهيء المحراث الارض . أمـا سقي الارض وحراثتها وسائر ما يلزم للثمر الطيب ، فإنها منوطة بالزارع وكذلك الصيام حرث النفس وجعلها تربة صالحة أما سائر لوازم العدالة والاستقامة والطهارة وما أشبه . فبأيدي الصائمين ولذا قال (لعلكم) .

(وعلى الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين) .

فيه أقوال وعن الصادق « ع » : (على الذين يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مد) وفي حديث آخر عنه «ع» : (من مرض في شهر رمضان فافطر ثم صح فلم يقض ما فاته ، حتى جاء شهر رمضان آخر ، فعليه أن يقضي ويتصدق كل يوم مداً من طعام) ، وقيل : ان المسلم كان في أول الإسلام مخيراً بين الصيام والفدية تدريجاً في تطبيق الاحكام كما لم يكن مأموراً بالجهاد وسائر الاحكام – ثم نزل الحكم بالصيام عموماً بدون بدل .

(شهر رمضان) بدل عن (ايام معدودات) وفي هذا الشهر انزل القرآن الذي هو هدى للناس ، فما أحرى بالمسلمين أن يحتفلوا لهذه النعمة الكبيرة بالصيام والطهارة .

« ومن كان مريضاً » .. تكرار لاستثنائه عن حكم الصيام بغير بدل ، كما استثنى سابقاً عن حكم الذي له بدل – على القول الأخير – (أحل لكم ليلة الصيام الرفث)..

قالوا : ان الجماع كان محرماً ، على الصائم ، اذا نام ليلاً . بمعنى انه اذا نام ، ثم قام من النوم كان عليه الجماع حراماً ، ثم اقترفه بعض الصحابة ، فرفع الله ذلك الحكم تفضلاً وامتناناً ، ولعل الحكمة التخفيف بعد التشديد ليلقي التخفيف ظلال ارتياح في النفس يعـــادل وقع أصل الحكم ، وهو الامساك نهاراً فان الاحكام – خصوصاً ترك مباشرة النساء نهاراً – لها وقع

شديد على النفس ، ولا يخفف من وقعها إلا إيجـاد بهجة وانفلات روحي ؛ فقد يتوصل الى ذلك بتشديد الحكم اولاً – مع ما في الشدة ايضاً من مصلحة ما – فاذا ارتفعت الشدة ، شعرت النفس بارتيـــاح يهون معه صعوبة أصل الحكم .

(وابتغوا ما كتب الله لكم) .

من الأولاد ، فليس اقتراب النساء لمجرد لذة عابرة ، كما يظنه بعض الناس ، بل الولد ركن مهم في هذه الطبيعة ، بل لعله أهم الامور الملحوظة .

(وانتم عاكفون في المساجد) .

والاعتـكاف : هو اللبث في المسجد الجامع بقصد العبادة ثلاثة أيام او أكثر ، صائما وله شرائط وآداب مذكورة في الفقه الاسلامي .

هذه لمحة خاطفة ، في تفسير بعض مواضع الآية الكريمة ، التي تعرضت لحكم الصيام ، وقد لوحظ فيها علة التشريع وفوائده واشتملت على أهم أركان الصيام . انه شهر رمضان ، من الصباح الى الليل ، ويجتنب فيها عن الأكل والشرب والجمـاع ، كما ألمحت الى الاعتـكاف الذي هو ايضاً مربوط بالصيام وشبيه حكمه لحكمه من حيث حرمة الوقـــاع ، في تمام أيامه حتى في الليــــل .

وبعد الآية الكريمة ، تصل نوبة الأحاديث الواردة عن النبي وآله الاطهار في باب الصيام .

* * *

« سأل هشام بن الحكم الإمام الصادق « ع » : عن علة الصيام ؟ :

فقال : انما فرض الله الصيام : ليستوي به الغني والفقير : وذلك ان الغني لم يكن ليجد مس الجوع ، فيرحم الفقير ، لان الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه ،

فأراد الله تعالى ، أن يسوي بين خلقه ، وأن يذيق الغني مس الجوع ، والألم ، ليرق على الضعيف ، ويرحم الجائع » .

« وكتب محمد بن سنان الى أبي الحسن الرضا « ع » مسائل ؟ .

فكان ، فيما كتب اليه « ع » من جواب مسائله : علة الصوم لعرفان مس الجوع والعطش ، ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً ويكون دليلاً له على شدائد الآخرة ، مع ما فيه من الإنكسار له عن الشهوات ، وأعضاله في العاجل ، دليلاً على الآجل ، ليعلم شدة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة ، في الدنيا والآخرة » .

« وسئل فضل بن شاذان عن الرضا « ع » ، عن ذلك ؟

فقال : إنما أمروا بالصوم ، لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش ، فيستدلوا على فقر الآخرة ، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً ، عارفاً ، صابراً على ما أصابه من الجوع والعطش ، فيستوجب الثواب ، مع ما فيه من الإمساك عن الشهوات ، ويكون ذلك واعظاً لهم في العاجل ، ورائداً لهم على اداء ما كلفهم ، ودليلاً لهم في الآجل ، وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا ، فيؤدوا لهم ما افترض الله لهم في أموالهم » .

١ - ٢ « قال الحلبي : سألت الإمام الصادق « ع » عن (الخيط الابيض من الخيط الاسود) ؟

فقال : بياض النهار من سواد الليل ، قال وكان بلال يؤذن للنبي «ص» وابن ام مكتوم ، وكان أعمى يؤذن بليل ، ويؤذن بلال حين يطلع الفجر ، فقال النبي «ص» : اذا سمعتم صوت بلال فدعوا الطعام والشراب فقد اصبحتم » .

٣ - وروى السيد المرتضى ، عن النعماني ، عن أمير المؤمنين « ع » .

قال : ان الله لما فرض الصيام ، فرض أن لا ينكح الرجل في شهر رمضان ، لا بالليل ولا بالنهار ، على معنى صوم بني اسرائيل في التورية ،

فكان ذلك محرماً على هذه الامة ، وكان الرجل اذا نام في أول الليل ، قبل أن يفطر حرم عليه الأكل بعد النوم ، افطر او لم يفطر .

وكان رجل من الصحابة يعرف بمطعم بن جبير شيخاً . فكان الوقت الذي حفر فيه الخندق حفر في جملة المسلمين ، وكان في شهر رمضان ، فلما فرغ من الحفر ، وراح إلى اهله صلى المغرب ، وابطأت عليه زوجته بالطعام، فغلب عليه النوم ، فلما احضرت إليه الطعام ، انبهته ، فقال لها : استعمليه انت فاني قد نمت وحرم عليّ ، وطوى ليلته ، وأصبح صائماً ، فغدا الى الخندق ، وجعل يحفر مع الناس فغشي عليه ، فسأله رسول الله «ص» عن حاله ؟ فأخبره .

وكان من المسلمين شبان ، ينكحون نساءهم بالليل سراً ، لقلة صبرهم .

فسأل النبي «ص» الله في ذلك ؟.

فأنزل الله : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم . وانتم لباس لهن ، علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ، فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم . وكلوا واشربوا ، حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

فنسخت هذه الآية ما تقدمها .

٤ — « وروى الحلبي عن الصادق (ع) قال : اذا تقيأ الصائم فقد افطر ، وان ذرعه من غير ان يتقيأ فليقم صومه » .

٥ — « وروى أبو بصير عن ابي عبدالله (ع) ، في رجل اجنب في شهر رمضان بالليل ، ثم ترك الغسل متعمداً حتى اصبح ؟

قال : يعتق رقبة ، او صوم شهرين متتالين ، او يطعم ستين مسكيناً».

٦ — « وروى يعقوب بن شعيب عن الصادق « ع » .

قال لا يرتمس المحرم في الماء ، ولا الصائم » .

٧ – « وروى ابو بصير ، قال سمعت أبا عبدالله « ع » يقول :
ان الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة عليهم السلام : يفطر الصائم» .

٨ – « قال عبد الرحمن بن الحجاج سألت أبا عبدالله (ع) عن الرجل يبعث بأهله في شهر رمضان حتى يمني ، قال : عليه من الكفارة مثل ما على الذي يجامع » .

٩ – « سأل ابو بصير عن أبي الحسن (ع) عن الرجل يحتقن تكون به العلة في شهر رمضان » .

فقال : الصائم لا يجوز له أن يحتقن .

١٠ – وروى سليمان بن جعفر عن الامام « ع » قال : « .. او كنس بيتاً فدخل في أنفه وحلقه غبار ، فعليه صوم شهرين متتابعين ، فان ذلك له فطر مثل الأكل والشرب والنكاح » .

* * *

وللصيام في الواجبات المتقدمة آداب ونوافل ، ندب اليها الاسلام ، وكلها ترمي إلى امر واحد هو تقوية الارتباط بالله وبين الانسان بتزكية النفس ، حتى يتفجر منها ينابيع الخير في جميع الحقول .

فمن الآداب : ان يواظب الصائم على جوارحه ، فلا يبسط لسانه ، ولا يمد عينه ، ولا يصغي بمسامعه ، ولا يبطش بيده ، ولا يرتكب عملاً غير مرض لله ، ولا يقترف اثماً ، ولو لم يكن مفطراً .

« قال محمد بن مسلم ، قال ابو عبدالله « ع » اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وجلدك – وعلى اشياء غير هذا – وقال : لا يكن يوم صومك كيوم فطرك » .

« وعن جابر بن يزيد عن أبي جعفر (ع) قال : قال رسول الله «ص» – لجابر بن عبدالله – يا جابر هذا شهر رمضان ، من صام نهاره وقام ورداً من ليله ، وعف بطنه وفرجه ، وكف لسانه ، خرج من الذنوب كخروجه من الشهر .

فقال جابر يا رسول الله ، ما احسن هذا الحديث .

فقال رسول الله «ص» يا جابر ما أشد هذه الشروط .

« وقال جراح المدايني : قال ابو عبدالله (ع) : ان الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ثم قال : قالت مريم (اني نذرت للرحمن صوماً) وصمتا – وفي نسخة : أي صمتا – فاذا صمتم فاحفظوا السنتكم ، وغضوا ابصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا » .

« وسمع رسول الله «ص» امرأة تسب جارية لها ، وهي صائمة فدعـا رسول الله «ص» بطعام فقال لها : كلي ، فقالت : اني صائمة ، فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك ، ان الصوم ليس من الطعام والشراب » .

« وقال الامـام الصادق (ع) : اذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ودع المراء وأذى الخادم ، وليكن عليك وقار الصائم ، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك » .

« وعن رسول الله «ص» انه قال في خطبة له : ومن صام شهر رمضان في انصات وسكوت ، وكف سمعه وبصره ولسانه وفرجه وجوارحـه من الكذب والحرام والغيبة تقرباً ، قرّبه الله منه ، حتى تمس ركبتاه ركبتي ابراهيم خليل الرحمان » .

ومن الناس من يظن ان أهم ما يجب على الصائم ، هو اجتناب المأكل والمشرب .

أليس ذلك من أصعب الأمور

لكن الإسلام لا يرى ذلك ، بـل في نظره ان ذلك من أيسر فرائض الصائم ، أليس الصيام شرع لاجل الطهارة والتزكية ، وهل يتزكى الانسان بترك الأكل والشرب فقط .

يروي المفيد عن رسول الله «ص» انه قال :

« ان ايسر ما افترض الله على الصائم في صيامه ، ترك الطعام والشراب».

ومن آداب الصيام :

أن يحسن الإنسان خلقه في يوم الصوم ، وهذا أمر طبيعي ، كان من أهم علل الصوم تزكية النفس وتطهير الروح – كما سبق – وكيف يتلاءم ذلك مع سوء الخلق ، والصيام قد جعل قاعدة ليدور عليها عمر الانسان في طهارة ونزاهة ، واذا لم تتم القاعدة فهل يتم البنـــاء ، ولذا يؤكد الاسلام أشد التأكيد باجتناب ملازمات سوء الخلق ، والحدة والغضب والجدال والجهل ومـا اليها .

ومن الغريب – جداً – أن يتغيّر المسلم حتى عن حالته الاعتيـادية ، ولم ؟ لانه صائم ، وأغرب منه ان يعتذر هو او يعتذر عنه ، عما يرتكبه من المنفرات ، بأنه يوم صوم .

واستمع إلى هذه الأحاديث :

« روى فضيل بن يسار عن ابي عبدالله (ع) قال : اذا صـــام احدكم الثلاثة الايام في الشهر ، فلا يجادلن أحداً ، ولا يجهل ، ولا يسرع إلى الحلف والايمان بالله ، فان جهل عليه احد فليحتمله » .

« وروى مسعدة بن صدقة عن ابي عبدالله « ع » عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله «ص» : ما عبد صائم يشتم فيقول سلام عليـك ، لا اشتمك كما شتمتني ، إلا قال الرب تعالى : استجار عبدي بالصوم من شر عبدي ، قد اجرته من النار » .

وروى أبو بصير قال ، قال ابو عبدالله « ع » الصيام ليس من الطعام والشراب ، والإنسان ينبغي أن يحفظ لسانه من اللغو والباطل في رمضان وغـيره » .

« وفي نهج البلاغة عن الإمـام امير المؤمنين « ع » قال : كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العنـا ، حبذا نوم الاكياس وافطارهم » .

وكان الإمام زين العابدين « ع » ، يدعو عند دخول شهر رمضان بهذا الدعاء ، كما في الصحيفة السجادية :

« واعنا على صيامه ، بكف الجوارح عن معاصيك ، واستعملنا فيه بما يرضيك حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا نسرع بأبصارنا إلى لهو ، ولا نبسط ايدينا إلى محظور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا تعي بطوننـــا إلا ما احللت ، ولا تنطق السنتنا إلا ما قلت ، ولا نتكلف إلا ما يدني من ثوابك ، ولا نتعاطى إلا الذي يقي من عقابك ، ثم خلص ذلك كله من رياء المرائين ، وسمعة المستمعين ، ولا نشرك فيه أحداً دونك ، ولا نبتغي به مراداً سواك » .

وفي كتاب مصباح الشريعة عن الإمـــام الصادق « ع » قـال ، قال النبي «ص» :

« الصوم جنة من آفات الدنيا ، وحجاب من عذاب الآخرة ، فإذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات ، وقطع الهمـة عن خطوات الشياطين ، وانزل نفسك منزلة المرضى ، لا تشتهي طعاماً ولا شراباً ، وتوقع في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب ، وطهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله » .

إلى غيرها وغيرها من الأحاديث الكثيرة الواردة بهذا الصدد .

ومن آداب الصائم

زيادة على الاخلاص والقربة ، اللذين هما شرط في كل عبادة أن يكون الصائم بحيث لا يحب أن يعرف صومه احد .

« روى السكوني عن الإمام الصادق « ع » انه قال : من كتم صومه ، قال الله تعالى : عبدي استجــــار من عذابي فأجيروه ، ووكل الله تعالى ملائكته بالدعاء للصائمين ، ولم يأمرهم بالدعاء لاحد إلا استجاب لهم فيه » .

نعم لا يجوز له أن يكذب .

« قال زرارة للإمام الصادق « ع » : الرجل يكون صائماً ، فيقال له : صائم أنت ؟ فيقول لا ، فقال ابو عبدالله « ع » هذا كذب » .

ومن الآداب المرتبطة بالصوم :

استحباب تفطير الصائم عند الغروب ولو بقليل ، فان في ذلك تشجيعاً على الصيام وإلفــة للقلوب ونشر للود والحب بين المجتمع ، ولذا لا ينساه الإسلام حتى في هكذا مناسبات .

« روى أبو الورد عن الإمــام الباقر « ع » ان رسول الله «ص» قال ومن فطر فيه – يعني في شهر رمضان – مؤمناً صائماً ، كان له بذلك عند الله عتق رقبة ، ومغفرة لذنوبه فيما مضى ، قيل : يا رسول الله ليس كلنــا يقدر على أن يفطر صائماً ؟ فقال : ان الله كريم يعطي هذا الثواب لمن لا يقدر إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائما ، أو شربة من ماء عذب ، أو تمرات ، لا يقدر على اكثر من ذلك » .

« وروى ابو الصباح الكناني عن الإمام الصادق « ع » عن ابيه (ع) قال : من افطر صائماً فله مثل اجره » .

وهل يقف الاسلام عند هذا الحد .

كلا ؟ ان آفاق الاسلام أبعد .. وابعد .. واستمع إلى ذلك تشويقاً وعملاً .

« روى موسى بن جعفر « ع » قال : فطرك أخــاك الصائم ، افضل من صيامك » .

وروى مسعدة عن الصادق « ع » ، قال « ع » : دخل سدير الصيرفي على أبي « ع » فقال : يا سدير هل تدري أي الليالي هذه ؟ قال نعم . فداك ابي ، هذه ليالي شهر رمضان فما ذاك ؟ فقال له : أتقدر على أن تعتق في كل ليلة من هذه الليالي عشر رقاب من ولد اسماعيل « ع » ، فقـال له سدير : بأبي انت وأمي لا يبلغ مالي ذالك، فما زال ينقص حتى بلغ به رقبة واحدة، في كل ذلك يقول لا أقدر عليه ، فقال له :

ما تقدر أن تفطر في كل ليلة رجلاً مداً ، فقال له : بلى وعشرة فقال له ابي فذاك الذي اردت يا سدير ، ان افطارك اخاك المسلم يعدل عتق رقبة ، من ولد اسماعيل .

وحيث كان الرسول «ص» والأئمة المثل الاعلى للقادة البشرية كان اقوالهم طبق اعمالهم ، يقولون ما يفعلون ، ويفعلون مـــا يقولون ، ولذا لم يكن ليفوتهم هذا الأدب الاسلامي الكبير ، في باب اطعام الصائمين عند الفطور ليقتدوا بهم سائر الامة ، واسمع الى هذا الحديث :

« روى حمزة بن حمران عن أبي عبدالله (ع) قال : أمر بشاة ، فتذبح وتقطع اعضاؤه وتطبخ ، فاذا كان عند المساء ، أكب على القدر حتى يجد ريح المرق وهو صائم ثم يقول : هاتوا القصاع ، اغرفوا لآل فلان ثم يؤتى بخبز وتمر ، فيكون ذلك عشاؤه » .

لعل إكبابه « ع » على القدر ليعرف جودته ، وهل انه لائق للاهداء ؟ عملاً بقوله تعالى :

« لن تنالوا البر ، حتى تنفقوا مما تحبون » .

نعم .. يهدي احب الأشياء إلى نفسه ، ويقتنع هو بخبز وتمر ليقتدي به قادة الدنيا وهل ؟ .

« وقال الامام الصادق « ع » : من فطر مؤمناً ، وكل الله بــه سبعين

ملكاً يقدسونه إلى مثل تلك الليلة من قابل ، ومن فطر اثنين كان حقاً على الله ان يدخله الجنة » .

ومن آداب الصائم :

أن يوفر الراحة لنفسه فلا يظن انه في هذا الشهر يلزم ان ينهمك في المتاعب والمصاعب فان الاسلام كما تقرره الشريعة المقدسة (رفيق) كما في الحديث (والمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً ابقى) كما يقول الرسول الكريم «ص» : وللبدن حق كما يفرضه الدين وإن العبد يسأل يوم القيامة عن بدنه فيم أبلاه ؟ كما ورد في الاثر .. وعلى أي فيجب على الصائم مراعاة صحته كما يجب عليه الصيام ، ولذا اسقط عن المريض ومن اليه الصوم .

وطبقاً لهذا الأمر ، نرى انه قد جعل الاسلام بعض أسباب الراحة مستحباً وندب اليه ، كما ندب إلى الدعاء والتهجد وما اليهما .

فمن ذلك :

استحباب القيلولة .

« قال حسن بن صدقة ، قال ابو الحسن « ع » : قيلوا فان الله يطعم الصائم ويسقيه في منامه ، وعن المفيد عن النبي «ص» انه قال : نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح » .

ومن آداب الصائم :

استحباب التسحر .

« فعن رسول الله «ص» قال : لا تدع امتي السحور ولو على حشفة ، وفي حديث آخر عنه «ص» انه قال (السحور بركة) وفي حديث آخر عنه «ص» : تسحّروا ولو بجرع الماء ، ألا صلوات الله على المتسحرين » .

« وروى الإمام الصادق « ع » عن أبيه « ع » قال ، قال رسول الله «ص» تعاونوا بأكل السحور على صيام النهار ، وبالنوم عند القيلولة ، على قيام الليل » .

ومن ذلك :

استحباب الافطار خصوصاً بشيء حلو .

« روى السكوني عن الصادق « ع » قال ان الرجل اذا صام زالت عيناه من مكانهما ، فاذا أفطر على الحلو اعادتا الى مكانهما » .

« وقال الامام الباقر « ع » افطر على الحلوى ، فان لم تجده فافطر على الماء ، فان الماء طهور » .

« روى عبدالله بن سنان ، عن الصادق « ع » قال : كان رسول الله اذا افطر ، بدأ بحلو يفطر عليها فان لم يجد فسكرات ، أو تمرات ، فان هو اعوز ذلك كله ، فماء فاتر ، وكان يقول : ينقي المعدة والقلب ، ويطيب النكهة والفم ويقوّي الحدق ويحد النظر ويغسل الذنوب غسلاً ، ويسكن العروق الهائجة ، والمرة الغالبة ويقطع البلغم ، ويطفىء الحرارة عن المعدة ويذهب بالصداع » .

وينبغي الوقوف قليلاً عند هذا الحديث ؛ لننظر كيف ان الاسلام مزج الدنيا بالدين ، في جميع تشريعاته ، وكيف انه لاحظ خير الدنيا وخير الآخرة ، فهما في نظر الاسلام شيء واحد لا شيئان ، وتشريعاته لصلاح هذا الأمر الواحد ، لا لصلاح شطر منه كما في الرهبنة — التي تزعم انها لصلاح الدين فقط — وكما في المادية الزاعمة انها لصلاح الدنيا فقط ، ولا صحة في أيهما فان الدنيا بلا دين كالجسد بلا روح والدين بغير دنيا كالروح بغير جسد .

فلننظر ، كيف يعد من فوائد الماء الفاتر انقاء المعدة الى جنب غسل الذنوب ، فهو من الناحية الجسدية ينقي ، ومن الناحية الروحية يغسل الذنوب ، أليس ذلك حسب امر الله ومرضاته ، فلماذا لا يغسل الذنوب .

ومن آداب الصائم :

انه يكره له انشاد الشعر ، ومن الطبيعي أن يكرهه الاسلام ، فان

الغالب – الذي يندر خلافه – أن يذهب الشعر إلى حيث الباطل وكم من الشعراء يذكرهم التاريخ ، لم ينظموا إلا حقاً ، وقد نبّه القرآن الكريم الى هذه الحقيقة بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون ؟ إلا الذين آمنوا) .

ولذا كانت كراهة الاسلام له في مواسم العبادة وما أشبه آكد .

« قال حماد بن عثمان : سمعت أبا عبدالله « ع » يقول يكره رواية الشعر للصائم والمحرم ، وفي الحرم وفي يوم الجمعة وان يروي بالليل .. قال : قلت وإن كان شعر حق قال وان كان شعر حق » .

ولعل هذا التعميم لما أشار اليه الرسول «ص» (من رعى غنمه حول الحمى أوشك أن يقع فيه) فيكون احتياطاً .

ومن آداب الصائم :

انه يكره له شم الورود وان استحب له العطر ، فان الاول تلذذ وطارد لبعض مراتب العطش – احياناً – ينافي حكمة تشريع الصيام من رياضة النفس واذاقتها الخشونة والثاني تجميل وتأليف بالنسبة الى المسلمين لانهم بذلك وما أشبه يتحابون فيقترب بعضهم من بعض ولا يكره احدهم الآخر كما لوحظ ذلك في كثير من التشريعات .

« روى حسن بن راشد عن الامام الصادق « ع » قال : الصائم لا يشم الريحان » .

« وروى الصدوق قال : كان الصادق « ع » إذا صام لا يشم الريحان فسئل عن ذلك ؟ فقال اني أكره أن اخلط صومي بلذة » .

« وروى حسن بن راشد قال : كان ابو عبدالله « ع » إذا صام تطيب بالطيب ويقول الطيب تحفة الصائم » .

« قال المفيد في المقنعة ؛ ان ملوك الفرس كان لهم يوم في السنة يصومونه

فكانوا في ذلك اليوم يعدون النرجس ويكثرون من شمه ليذهب عنهم العطش فصار كالسنة لهم فنهى آل محمد عن شمه خلافاً على القوم وان كان شمه لا يفسد الصيام » .

ومن آداب الصائم :

النظافة في رأسه ولباسه ولحيته فان النظافة مندوبة عند الاسلام وبالاخص في مواسم العبادة ففي الآية الكريمة (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وفي الآية المرتبطة بالكعبة المشرفة (ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) وفي أحاديث أبواب الاحرام وأبواب الصلاة، شيء كثير من ذلك، ليس من مهمنا هنا .

والصوم الذي هو من عبادات الاسلام ، لا يخلو من هذه الناحية .

« روى عمير بن ميمون عن الحسن بن علي عليه السلام قال تحفة الصائم : « ان يدهن لحيته ويجمر ثوبه ، وتحفة المرأة الصائمة : ان تمشط رأسها وتجمر ثوبها » .

ومن آداب الصائم :

التجنب عما يثير الشهوة في نفسه أو الضعف في جسده فان الاول خلاف حكمة التشريع والثاني يضر بالصحة ، والاسلام يحافظ على الصحة بل انما شرع الصوم لأسباب منها الصحة الجسدية — كما سبق — .

« روى الامام الرضا « ع » عن آبائه عليهم السلام قال : قال علي بن أبي طالب « ع » ثلاثة لا يعرض أحدكم نفسه لهن وهو صائم الحمام والحجامة والمرأة الحسنة » .

« وروى الحلبي عن الصادق « ع » قال : « سألته عن الصائم ايحتجم ؟ فقال: « اني اتخوف عليه ما يتخوف به على نفسه قلت: ماذا يتخوف عليه؟ قال : الغشيان أو تثور به مرة ، قلت : ارأيت ان قوي على ذلك ولم يخش ؟ قال : نعم انشاء الله » .

« وروى عمار بن موسى عن الصادق « ع » في الصائم ينزع ضرسه ؟ قال : لا ولا يدمي فاه ولا يستاك بعود رطب »

« روى حسين بن أبي العلا قال : سألت أبا عبدالله « ع » عن الحجامة للصائم ؟ قال : نعم اذا لم يخف ضعفاً » .

« وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر « ع » انه سأل عن الرجل يدخل الحمام وهو صائم ؟ فقال لا بأس ما لم يخش ضعفاً » .

« جاء رجل الى أمير المؤمنين « ع » فقال: اقبل وانا صائم؟ فقال « ع » اعف صومك فان بدء القتال اللطام » .

« وسأل علي بن جعفر « ع » عن أخيه موسى « ع » عن الرجل هل يصلح له ان يقبل أو يلمس وهو يقضي شهر رمضان ؟ قال : لا » .

وعن الحلبي عن أبي عبدالله « ع » : انه سأل عن الرجل يمس من المرأة شيئاً ايفسد ذلك صومه أو ينقضه ؟ فقال : ان ذلك ليكره للرجل الشاب مخافة ان يسبقه المني » .

ومن آداب الصائم :

كثرة قراءة القرآن، أليس الصيام لاجل الطهارة ؟ ثم أليس القرآن جامع لفنونها ؟

بالاضافة الى ان القرآن نزل في شهر رمضان كما قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) فمن الجدير المداومة على تلاوة القرآن في شهر رمضان .

(قال وهب بن حفص: سألت أبا عبدالله عن الرجل في كم يقرأ القرآن ؟ قال : في ست فصاعداً قلت في شهر رمضان ؟ قال في ثلاث فصاعداً) أي ستة ايام وثلاثة ايام .

« وروى علي بن مغيرة عن أبي الحسن « ع » قال : قلت له ان أبي سأل جدك عن ختم القرآن في كل ليلة ؟ فقال له جدك : في كل ليلة ؟ فقال له في شهر رمضان؟ فقال له جدك في شهر رمضان ؟ فقال له أبي نعم ما استطعت فكان أبي يختمه أربعين ختمة في شهر رمضان ثم ختمته بعد أبي فربما زدت وربما نقصت على قدر فراغي وشغلي ونشاطي وكسلي فاذا كان في يوم الفطر جعلت لرسول الله « ص » ختمة ولعلي « ع » أخرى ولفاطمة أخرى ثم للائمة عليهم السلام حتى انتهيت اليك فصيرت لك واحدة منذ صرت في هذه الحال ، فأي شيء لي بذلك ؟ قال لك بذلك ان تكون معهم يوم القيامة ، قلت الله أكبر ! فلي بذلك ؟ قال نعم .. ثلاث مرات » .

ومن آداب الصائم :

الاجتهاد في الدعاء وفي كل خير فان شهر رمضان ربيع الدعاء والخير . والحكمة التي شرع لاجلها الصيام تقتضي ذلك .

« قال أمير المؤمنين « ع » عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء فاما الدعاء فيدفع البلاء عنكم والاستغفار فتمحى به ذنوبكم » .

« وكان رسول الله « ص » اذا دخل شهر رمضان اطلق كل أسير ، واعطى كل سائل » .

« وعن المسمعي انه سمع أبا عبدالله « ع » يوصي ولده اذا دخل شهر رمضان : فاجهدوا انفسكم فان فيه تقسم الارزاق وتكتب الآجال ، وفيه يكتب وفد الله الذين يفدون اليه ، وفيه ليلة العمل فيها خير من العمل في الف شهر » .

« وروى أبو بصير ، عن الصادق « ع » انه قال كان رسول الله « ص » اذا دخل العشر الأواخر من شهر رمضان شد المئزر واجتنب النساء ، وتفرغ للعبادة .

« وعن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله « ع » قال من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر له الى قابل الا ان يشهد عرفة » .

« وروى جابر عن أبي جعفر « ع » قـــال كان رسول الله «ص» يقبل بوجهه الى الناس فيقول معاشر الناس اذا طلع هلال شهر رمضان غلت مردة الشياطين، وفتحت أبواب السماء، وأبواب الجنان وأبواب الرحمة وغلقت أبواب النار ، واستجيب الدعاء وكان الله فيه عند كل فطر عتقاء يعتقهم الله من النار ، وينادي مناد كل ليلة هــل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ اللهم اعط كل منفق خلفاً واعط كل ممسك تلفاً حتى اذا طلع هلال شوال نودي المؤمنون : ان اغدوا الى جوائزكم فهو يوم الجائزة ، ثم قال أبو جعفر « ع » أما والذي نفسي بيده ما هي جائزة الدنانير والدراهم » .

ومن آداب الصائم :

استحباب الغسل في جملة من لياليه ليكون نظيفاً طاهراً .

روى الجوهري عن علي « ع » قال كان النبي «ص» اذا دخل العشرُ من شهر رمضان شمّر وشد المئزر وبرز من بيته واعتكف واحيى الليل كله وكان يغتسل كل ليلة منه بين العشاءين » .

(وروى جعفر بن احمد عن الصادق « ع » قال من اغتسل في أول ليلة من شهر رمضان في نهر جارٍ ويصبُ على رأسه ثلاثين كفاً من الماء طهُر الى شهر رمضان من قابل) .

(وروى المفيــد عن الصادق « ع » انه يستحب غسل ليلة النصف من شهر رمضان) .

الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في هذا الباب .

وهناك آداب كثيرة يجدها الطالب في مضانها .

* * *

من خواص الاسلام ومزاياه .. انه جنّد أكبر جند من الدعاء في كل مناسبة فترى انه يقرر أدعية خاصة أو عامة في كل يوم أو ليل مبارك بل في كل يوم وليلة وكل ساعة مع الغض عن استحباب الدعاء مطلقاً . يقول القرآن الحكيم :

(وقال ربكم ادعوني استجب لكم) (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) .

والادعية مع الغض عن انها استكانة وضراعة الى الله تعالى ، وتلك مما تقتضيه العبودية . انما هي مدرسة — باوسع معانيها — تشمل القريب والبعيد والجاهل والعالم ، والصغير والكبير .. تلقّن الانسان جميع معاني الرحمة والانسانية والفضيلة وتكرارُها في كل مناسبة يوجب ضياء النفس واثارة الروح فان التكرار — كما يقرره علم النفس — يحمل أكبر معاني الايحاء ، فينتقش في النفس مضامين الخير ونقوش السعادة .

ولم يفت شهر رمضان المبارك — الذي جعل لاجل طهارة الروح — بما في الكلمة من معنى — ان يستفيد من هذه الناحية المهمة .

ففي كل يوم من شهر رمضان دعاء يخص ذلك اليوم أو يعمه وسائر الايام.

وفي كل ليلة من شهر رمضان دعاء للافطار ودعاء للسحور ، ودعاء لبين ذلك .. ودعاء عام ودعاء خاص .

وليالي القدر الثلاث (١٩) و(٢١) و(٢٣) أدعية خاصة وعامة تعم الليالي الثلاث .

ولليلة الاولى والنصف والاخير .. أدعية .

وهكذا .. وهكذا .

أما ما احتوته هذه الادعية فلا يقدّر باغلى اثمان المادة .

وهذه جملة من الفاظ الادعية نذكرها على سبيل النموذج لنعلم منها ما في الاسلام من خير وهداية ورشاد .

يستحب ان يقرأ هذا الدعاء عقيب كل فريضة :

« يا علي يا عظيم يا غفور يا رحيم أنت الرب العظيم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وهذا شهر عظمته وكرمته وشرفته وفضلته على الشهور وهو شهر رمضان الذي فرضت صيامه علي وهو شهر رمضان الذي انزلت فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وجعلت فيه ليلة القدر وجعلتها خيراً من الف شهر فيا ذا المن ولا يمنّ عليك ، مُنّ علي بفكاك رقبتي من النار فيمن تمنّ عليه وادخلني الجنة برحمتك يا ارحم الراحمين » .

فالله سبحانه : علي عظيم غفور رحيم ليس كمثله شيء سميع بصير .

هذا للتوحيد .

– ثم شهر رمضان : عظيم ، كريم ، شريف . مفضل على سائر الشهور ، واجب الصيام ، فيه ليلة هي خير من الف شهر .

وهذا لترسيخ قوائم الصوم ، مع الالفات الى عظمته .

– وبعد ذلك ، يأتي دور القرآن ، محور الشريعة وأساس الاسلام والسعادة .

فهو : هدى للناس ، وامور واضحة من جنس الهداية وفرقان بين الحق والباطل – على الاطلاق – بين كل حق وكل باطل .

– وأخيراً ، يأتي الكلام حول المعاد :

فيطلب الداعي ، الخلاص من النار ، والفوز بالجنة ، وذلك – لا بالعمل – بل بالرحمة فقط .

اذاً :

مبدأ ، ومعاد ، وسبب سعادة هو : القرآن ، وصيام شهر رمضان الذي ورد الدعاء بمناسبته .

واسمع إلى هذا الدعاء الذي يقرأ ايضاً عقب كل فريضة .

« اللهم ادخل على اهـل القبور السرور . اللهم اغن كل فقير ، اللهم اشبع كل جائع ، اللهم اكسِ كل عريان ، اللهم اقضِ دين كل مدين ، اللهم فرج عن كل مكروب ، اللهم رد كل غريب ، اللهم فك كل أسير ، اللهم اصلح كل فاسد من امور المسلـمين ، اللهم اشف كل مريض ، اللهم سد فقرنا بغناك ، اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقض عنا الدين، واغننا من الفقر ، انك على كل شيء قدير » .

يلقن هذا الدعـاء ، ان المسلم يلزم عليه أن يطلب كل شيء من الله سبحانه ، فالامور كلها بيد الله تعالى وان كانت الاسباب الظاهرية لها مدخلية أيضاً ـ على حسب ما جعل الله تعالى ، ولذا ترى الآيات الكريمة تؤكد هذا الموضوع « أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون » « الذيهو يطعمني ويسقيني، واذا مرضت فهو يشفيني » « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » « تعز من تشاء وتذل من تشاء » الى غيرها .

ثم يقرأ الدعاء : بان الفقر والجوع والعري والدين وما اشبه مما يكرهها الاسلام ، فالاسلام يحب الغنى والشبع والكسي وعـــدم الدين ، والصحة وحسن الحـال ، ومما يلفت النظر الى ان قصة الغني كررت في الدعاء ثلاث مرات « اغنِ كل فقير ، سد فقرنا بغنـاك ، اغننا من الفقر » لانه في نظر الاسلام اول المشاكل ، فان الصحة والعلم والائتلاف والفضيلة وتوابعها ، مما تتركز على الغنى .

وبعـد ذلك .. يوحي الدعاء الى النفس الاهتمام برفع هـذه النقائص عن المجتمع، فهي امور مكروهة مبغوضة، فيلزم مطاردتها بالدعاء ، ثم بالفعل .. فان الانسان اذا طلب شيئاً من كبير ثم قـدّر هو على ذلك أليس يأتي به ؟ انه خاصة طبيعية .

الى غير ذلك .. مما لسنا بصدد شرحه .

***

وللصيام أحكام نذكرها عفواً تباعاً باجمال .

١ ـ فمن أحكام الصيام :

ان الصوم على أربعة أقسام :

أ ـ واجب .. كصيام شهر رمضان ، وقضائه ، والنذر ، والكفارة .

ب ـ ومحرم .. كصيام يوم عيد الفطر ـ أول شوال ـ ويوم عيد الاضحى ـ عاشر ذي الحجة ـ .

ج ـ ومكروه .. كصوم يوم عاشوراء ، عاشر شهر محرم الذي قتل فيه الإمام الحسين « ع » .

د ـ ومندوب .. كصوم يوم الغدير ، ويوم المبعث ، ويوم المولود ، وصوم رجب كله وشعبان كله كما ان الصوم قد يعرض له الحرمة كالصوم في السفر ، والصوم المستحب مع نهي الوالدين .

٢ ـ ومن أحكام الصيام :

ان من افطر شهر رمضان ، فان كان مستحلاً لذلك ، بمعنى انه انكر هذا الضروري من الدين ، وقال : ان صومه لا يجب ، فهو كافر يقتل .. فان كل من انكر حكماً من أحكام الاسلام ، فهو كافر .

وان كان غير مستحل ، كغالب العصاة ، ترتب عليه حكمان :

أولها : التعزير ، بمعنى أن الحاكم الاسلامي ، يلزم عليه ان يضربه بالسوط عدة ضربات ، حتى يجد الم مخالفة حكم الله ، فينقلع ولو تكرر منه هذا العمل ثلاث مرات أو أربع ـ مع التعزير ـ يقتل بعد ذلك ، كما ان الحكم كذلك في كل مخالفة .

ثانيها — القضاء والكفارة .. فيقضي يوماً بدل اليوم الذي افطر فيه ، ويكفّر توبةً عن عمله ، والكفارة احدى ثلاثة اشياء :

عتق رقبةٍ مؤمنة .

صيام ستين يوماً متتابعاً .

اطعامُ ستين مسكيناً .

ولو كان افطارُه على الحرام كما لو شرب الخمر ، كان اللازم عليه ثلاث كفارات .

٣ — ومن أحكام الصيام .

ان المسافر . والمريض . والحائض . والنفساء . والمغمى عليه ، والحاملَ المقرِب ، والمرضعة القليلة اللبن الذين افطروا يجب عليهم أن يقضوا تلك الأيام التي افطروا فيها بعد شهر رمضان إلى الرمضان الثاني فلو لم يقضوا في هذه الفترة — بين رمضانين — وجب عليهم القضاء بعد ذلك والفدية بأن يعطي مع قضاء كل يوم مُداً من الطعام .

٤ — ومن احكام الصيام :

ان هلالَ شهرِ رمضان وكذا هلال شهر شوال يثبت بأمور :

أ — رؤية نفس الشخص ، وان لم يره احد .

ب — حكمُ الحاكم الشرعي — أي المجتهد العادل — .

ج — شهادة رجلين عادلين .

د — مضي ثلاثين يوماً من الشهر السابق .

هـ — التواتر بأخبار جمع كثير يحصل العلم من اقوالهم بالرؤية ومثله الشياع .

ولو شك في ان هذا اليوم من شعبان أو رمضان صامه ندباً ، لا بقصد رمضان ..

٥ — ومن أحكام الصيام :

انه يستحب للانسان أن يصوم ثلاثة ايام في المسجد بقصد (الاعتكاف) سواء كان من شهر رمضان أو غيره وقد كان الرسول «ص» مواظباً على (الاعتكاف) في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك .

وللاعتكاف شروط نذكر جملة منها :

أ — ان يكون المعتكف بالغاً عاقلاً ويصح من الصبي المميز .

ب — ان يكون الاعتكاف في أحد المساجد الأربعة مسجد الحرام ومسجد النبي (ص) ومسجد الكوفة ومسجد البصرة على قول جماعة من الفقهاء وبعضهم قالوا : بجوازه في كل مسجد جامع .

ج — أقل الاعتكاف ثلاثة أيام متصلة ويجوز اكثر من ذلك .

د — لا يجوز الخروج من المسجد وقت الاعتكاف إلا لضرورة مذكورة في كتب الفقه .

هـ — يحرم على المعتكف ليلاً ونهاراً مباشرة النساء بالجماع واللمس والتقبيل بشهوة وكذا المعتكفة .

و — يحرم على المعتكف الاستمناء .

ز — يحرم على المعتكف شم الطيب والريحان متلذذاً .

ح — يحرم على المعتكف البيع والشراء .

ط — يجب على المعتكف اجتناب المجادلة إلا اذا كان بقصد اظهار الحق وابطال الباطل .

ي — وللاعتكاف احكام أُخر ، مذكورة في كتب الفقه .

ونختم الفصل بخطبة رسول الله «ص» التي خطبها بمناسبة شهر رمضان المبارك لما فيها من الفوائد الجليلة والحكمة والموعظة الحسنة لتكون منهاجاً للصائمين .

« روى حسن بن فضال عن الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال : ان رسول الله (ص) خطبنا ذات يوم فقال :

ايها الناس انه قد أقبل اليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة .

شهر هو عند الله افضل الشهور وأيامه أفضل الايام ولياليه افضل الليالي وساعاته افضل الساعات هو شهر دعيتم فيه الى ضيافة الله وجعلتم فيه من اهل كرامة الله .

انفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب .

فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فان الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم .

واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم .

ووقروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا ارحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر اليه ابصاركم وعما لا يحل الاستماع اليه اسماعكم ، وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على ايتامكم ، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم وارفعوا اليه ايديكم بالدعاء في اوقات صلواتكم فانها افضل الساعات ينظر الله فيها الى عباده يجيبهم اذا ناجوه ويلبيهم اذا نادوه ويعطيهم اذا سألوه ويستجيب لهم اذا دعوه .

أيها الناس ان انفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم وظهوركم ثقيلة من اوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم واعلموا ان الله أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين والساجدين وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين .

أيها الناس من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرة لما مضى من ذنوبه .

فقيل يا رسول الله فليس كلنا نقدر على ذلك .

فقال : «ص» اتقوا الله ولو بشربة من ماء ، ايها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه ومن كف فيه شره كف الله فيه غضبه يوم يلقاه ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءته من النار ، ومن أدى فيه فرضاً كان له ثواب من أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ومن اكثر فيه من الصلاة على الله ثقل الله ميزانه يوم تخف الموازين ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور .

ايها الناس ان ابواب الجنان في هذا الشهر مفتحة ، فاسألوا ربكم ان لا يغلقها عليكم ، وابواب النيران مغلقة فأسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم أن لا يسلطها عليكم .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقمت ، فقلت يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟

فقال يا أبا الحسن افضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله » ..

* * *

تتمة .. نلحقها بفصل الصوم ، وان كان من الجدير ان نكتبها سابقاً ونجعلها — مقدمة — للكتاب ، إلا ان الذي حفزني على كتابتها ان شاباً من شبيبتنا — بعد تمام طبع فصل الصوم ، ومصادفة طبعه لشهر رمضان المبارك — اخبرني : ان أحد اخوانه في المانيا كتب اليه كتاباً يقول فيه :

ان أحد أساتذتي، قام اليوم بحملة على الاسلام، وألصق اليه كل تهمة، وانه دين رجعي جامد ، لا يساير التطور والتمدن ، ومن أقوى الأدلة على ذلك

(الصيام) الذي شرعه الاسلام — وقد كانت حملة الاستاذ ! بمناسبة هلال شهر رمضان المبارك فانه يخالف الطب الحديث الذي يرى للصوم اضراراً جمة ، على الأنسجة والشرايين والأوردة والأجهزة .

ثم يستطرد الكاتب .. وقد كان في الصف زمرة من الطلاب المسلمين ، لكن احداً منهم لم يرد على الاستاذ ، خوفاً او جهلاً .

وقد طلب الكاتب من صديقه هنــا : أن يرسل اليـه بعض الكتب الاسلامية ، لينهل من معلوماتها ، ويتسلح بما يقدر على رد مثل ذلك الاستاذ ان كررت الغارة .

أقول :

من المؤسف حقاً ، أن تقوم كل امة بدعاية واسعة النطاق لمبادئها السماوية والأرضية ، وتجند كل ما لديها من حول وطول لهذه الغاية ، ثم يبقى المسلم مانعاً عن نشر الإسلام هو لا غيره فتكون المدارس في كافة البلاد الاسلامية خالية عن الاسلام ، كما انزله الله تعالى وان كان فيهـا شيء مبعثر من برامج الاسلام لا اهتمام به ولا امتحان له ، ولا تفتيش وراءه ، ولا درجة لمن حازه أو رسب فيه ، وتكون الإذاعة والتلفزة والصحف ، ابواقاً لكل مبدء إلا مبـدء الاسلام ، ولكل دين إلا دين محمد (ص) ، ولكل منهـاج إلا منهاج السماء .

ومن العجيب جداً : ان يكون دستور الاسلام (اغزوهم قبل ان يغزوكم) و (مـا غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا) ثم نغزى في بلادنا وبواسطة اجهزتنا وسلاحنا حتى ينشأ الجيل ، وهو فارغ عن ثقافة الاسلام — بكل معنى الكلمة — مستوعب لثقافة الغزاة بجميع معنى اللفظة فلا يعرف من الاسلام إلا انه طقوس واوراد وصلاة وصيام ، ويا ليت عرف مغزى هذه العبادات حتى لا ينهار أمام استاذ الماني اذا قال : ان الصيام رجعيـة وخرافـة .

واذا كان هذا حال داخل البلاد ، فماذا يكون حـال الشاب المسلم في بلاد الغرب والشرق .

انـــه ينسلخ عن الاسلام ، حيث يتقمص دينه المسيحي بكل حرارة وينتحل مبدأه الرجعي كل عميل بكل جرأة .

والمقصود من هذه التتمة ، ليس إلا سرد جملة من شهادات الغربيين حول الاسلام وحضارته – بصورة عامة – حتى انه اذا اتفق ان نظر فيها بعض شبابنا ، علم بأن الإسلام ليس كما يصفه أساتذة المانيا وساسة انكلترا وعملاء روسيا وسادة فرنسا ودكاترة امريـكا ، وبذلك يزداد ثقة والتفـافاً حول الاسلام ، ولو الاسلام المجهول عنده ليفحص عن هذا الاسلام عله يجده في كتب الواعين من المسلمين وان افتقده في مدارسه الابتدائية والمتوسطـة والثانوية والكلية والجامعة ، وان لم يجده في اذاعاته وصحفه وتلفزته .

وما ننقله هنا ليس إلا فقراً من كتاب (الفكر الاسلامي) ترجمـــة الدكتور أحمد شبلي .

« وصل العالم الاسلامي بسرعة مدهشة إلى القمة ، فمنح الهند قدراً كبيراً من الثقافة العالية والفكر الرفيع ، ولكن القدر الذي استفادته اوروبا من العالم الاسلامي في محيط العلم والفلسفة كان اكبر مما نالته الهند ، ومن هنا كان نصيب اوروبا من ثقافة المسلمين عميقاً وشاملا » .

« وأمد الإسلام الإنسانية بروح جديد لم يعرف التاريخ له مثيلاً ، وقد حاولت فارس والروم اعظم امبراطوريتين في تلك الأيام أن توقفـــا مدة الزاحف ، ولكنها لم تصمدا في النضال طويلاً ، واكتسحهما تيار الاسلام ولم يمض قرن واحد على وفاة الرسول محمد (ص) حتى كان الاسلام قد امتد من المحيط الأطلسي في الغرب إلى الهنـد وحدود الصين في الشرق ، ومن بحر خوارزم في الشمال الى أعالي شلالات النيل في الجنوب .

وذلك يعدل أكثر من نصف العالم المعروف حينئذ، فاصبح الاسلام يسوس امبراطورية اعظم من الامبراطورية الرومانية ايام كانت في اوج عظمتها » .

« وعرفت اوربا عن المسلمين انواع التوابل والبهار ، والطيب والروائح والزنجبيل والسكر والبن . كما أخـذت عنهم نظمهم الادارية وطرق حياتهم المنزلية ، ووسائل الزراعة وطرق الري ، وفن البناء وعلم الخط .. وكثيراً من الملابس والطعام والالعاب الرياضية » .

« وقد تم هذا المسلمين ، قبل ان تقع عين (كولومبس) على شواطىء امريكا بعدة قرون ، وقبل ان يستطيع (فاسكو دي جاما) ان يصل الى الأرض التي حلم بها (كولومبس) بقرون عديدة وقد كان لهذا الأخير مرشد عربي اسمه (احمد) كانت له خبرة بالبحار، فاستطاع بمهارته ان يقود الرحالة الاوربي الى الدنيا الجديدة » .

« وقـد كانت حياة المسلمين ، في المستوى الذي سبق اجماله ، في حين لم تحظ شوارع لندن بمصباح واحد فيها ولم تمهد شوارع باريس إلا بعد ذلك بعدة قرون ، وبينما كانت حياة المسلمين على هذا الوصف كان امراء (الالمان !) والفرنسيين، والانجليز يعيشون في مساكن يندر ان تفضل الحظائر المسقوفة، ليس فيها مداخن ولا نوافذ ويكفي ان يحدث ثقب في سقفها ، لينفذ منها الدخان الى الخارج » .

« ان القـوة الدافعة التي جعلت المسلمين يهتمون بالعلم ، مصدرها القرآن الكريم ، واحاديث الرسول (ص) » .

« اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بانشاء المدارس والمعاهد والجامعات ويمكن القول انه بعد فترة من الزمن ليست طويلة ، كانت شبكة من المدارس قد تم انشاؤها ، ، فاصبح بكل قرية أو مدينة ، مدرسة ابتـدائية أو ثانوية » .

ثم ينقل عن بروفسورين :

« ان مدارس الاطفال كانت كافية تقريباً لجميع الاطفـال ، وأما التعليم العـالي ، فقد اعدت له كليات ومعاهد وجامعات كما كان يقوم به بعض اعلام العلماء في منازلهم الخاصة وكان الحكام والامراء والوزراء والاغنياء يرون ان عليهم ان يكونوا دعاة العلم ، فكانوا يعقـــدون في قصورهم ندوات علمية وادبية ، ويفتحون المدارس والكليات ويشيدون المعامـــل وينشئون المستشفيات » .

« ان ملامح ذات بال يبدو انها استعيرت من المدارس النظامية (انشأها نظام الملك ببغداد) الى الجامعات الاوربية التي ظهرت مبكرة » .

« انتشرت صناعة الورق بالبلاد الاسلامية واصبحت من الصناعات المحلية ، وعلى هذا انتشرت الكتب ، واصبح تداولها سهلاً يسيراً ، ومن الحق ان نقرر ان صناعة الورق هي من اهم ما منحه الشرق الاسلامي الى اوربا عن طريق صقلية واسبانيا » .

« وكان العلماء يحصلون بالمجان على ما يحتاجون من اوراق واقلام » .

« ويروى ان مكتبة دار الحكمة بالقاهرة كانت تحوي مليونين من المجلدات ، وان مكتبة طرابلس السورية — التي احرقها الصليبيون ابان الحروب الصليبية الاولى كان بها حوالي ثلاثة ملايين من المجلدات » .

يقول المؤلف :

ومن هـذا يتبين ان اوربا وامريكا الى هذا اليوم لم تصلا الى ما وصلت اليه البلاد الاسلامية في ذلك العصر ، من حيث الثقافة والعلم فانه اذا لاحظنا الوسائل الحديثة للورق والحبر والطباعة والتأليف ، وقارناها بالوسائل في تلك الايام لكان الفرق اكثر من مائة مما يقتضي ان تكون المكتبة الراقية في هذا العصر تحتوي على ثلاثمائة الف مليون من الكتاب ، وهل في اوربا وامريكا وما اشبههما مكتبة تحتوي على ثلث هذا المقدار ؟ كلا .

« وكانت خزانة الكتب التي انشأها عضد الدولة في شيراز تشغل (٣٦٠) حجرة ، وفسطاطاً تحيط بها الحدائق والمتنزهات » .

« ان المسلمين تلقوا من الاسكندرية وسوريا وفارس علوماً ذات طابع عتيق، لم تتطور منذ كتبها مؤلفوها، فدرسها المسلمون وهضموها ، واعادوا كتابتها مع زيادات وشروح ، ونقلوها الى اوربا في ثوب قشيب ، وفي ضوء منهاج حديث كما نقلوا الى اوربا علوماً اخرى كانت من مبتكراتهم ووضعهم ، فقد كانت الفترة من القرن السابع الميلادي الى القرن الثاني عشر فترة النهضة الاسلامية ، وكان المسلمون خلالها قادة الفكر اجمع » .

وينقل عن احد الاساتذة :

« ان القانون الاسلامي يطبق على جميع المسلمين، لا فرق بين الملك المتوج والخادم الفقير ، وقد حيك القانون الاسلامي ابرع حياكة واحكمها ، حتى أصبح بحق اعمق واسطع ، قانون عرفته البشرية » .

« ان العلوم التي يمكن بحق ان نقول عنها : ان المسلمين قد وضعوا اسسها، فمكن ذلك للاوربيين ان يشيدوا على هذه الاسس، الدراسات الاوربية الحديثة، وتلك العلوم هي : الفلك ، والرياضة ، والطب ، والعلوم الطبيعية » .

« ونعود للخوارزمي لنقرر انه مؤسس علم الجبر وان كتابه المسمى (حساب الجبر والمقابلة) اقدم كتاب في موضوعه ، وقد ترجمه الى اللاتينية (جرالد الكرموني) فقدم به الى اوربا علم الجبر مرتبطاً بكلمة (الجبر) وهي الاسم العربي لهذا العلم » .

« وقد وفد الى معاهد المسلمين باسبانيا ، كثير من التلاميذ الذين اصبحوا فيما بعد اساتذة ، وقادة في الدراسات الرياضية والطبية . وكان هؤلاء يعودون الى بلادهم، ليعلموا اقوامهم ما تلقوه عن اساتذتهم المسلمين، كما كانوا يترجمون لهم ما كتبه الباحثون المسلمون » .

الى غيرها .. وغيرها .. من النصوص في هذا الكتاب وفي غيره.. وغيره من سائر الكتب التي تعرضت لهذه الناحية من المباحث ، فهل يتنبه المسلمون لهـذه الحقيقة المهمة ؟ أو هـل ينقلع المتعصب من الغربيين عن غيه ومسخه للحقائق ، وتشويهه للتاريخ .

ولقد صدق الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، حيث قال :

« إن الدنيا اذا اقبلت على قوم اعارتهم محاسن غيرهم ، وان ادبرت عن قوم سلبتهم محاسن انفسهم » .

فلقد ادبرت الدنيا عن المسلمين ، واقبلت على الغربيين ، فسلبت اولئك ليعيرها هؤلاء .

والذي يجب على كل مسلم – اليوم – هو ان يجندكل ما بامكانه لرد الاسلام الى محله ، ليعود الى المسلمين كيانهم الداخلي والخارجي . وإلا بقوا اذلاء في ذيل القافلة ، يتسكعون ويستعطون ، كأنه لم يرفع لهم علم ، ولم تسبق لهم حضارة ، ولم يكونوا مرتبطين بالحياة والاحياء في وقت ما .

* * *

ومن المضحك المبكي ما اتفق قبل أشهر ، ان زارهذه البلاد وفد اقتصادي ، فاتصلت باحدهم وسألت : من أين الاستاذ ؟

خريج جامعة .. وسمي بالدين اسلاميين .

– وماذا يدرس في تينك الجامعتين ؟

الاقتصاد الرأسمالي الغربي ، والشيوعي الشرقي .

– وهل يدرس الاقتصاد الاسلامي ؟

ليس للاسلام اقتصاد حتى يدرس .

ـ عجيب كلامك جداً، فماذا كان يصنع المسلمون في الف وثلاثمائة سنة، في هذه الرقعة الفسيحة من الارض بهذه الثروة المدهشة التي يحدثنا التاريخ عنها .. !؟

عفواً .. لا أعلم رئيس الوفد هناك ، فان أردتم البحث ، فابحثوا معه .

اذا كان مصير خريجي كليات الاقتصاد عندنا بهذه المثابة ، فما يكون حال خريجي الكليات الغربية والشرقية ، ومن المسؤول ، وما هو العلاج ؟

الا ان يرحمنا الله برحمته فيأخذ بأيدي المسلمين الى الاسلام ثانياً ، كما أخذ بأيديهم حين بعث فيهم رسولاً منهم ـ أولاً ـ والله المستعان .

الزكاة

الاسلام ينظر إلى الأشياء نظر تعمق واقعي ، لا نظر عاطفي مادى ، أو روحي خيالي ، ولذا يضع القوانين العادلة ، والأنظمة المستقيمة ، بها تلتئم الحياة بعضها مع بعض ، وتزدهر الانسانية وتترقى المدنية ، وللاسلام اعجب الحلول البسيطة لكل مشكلة من مشاكل الانسان ، يتجنب الزاوية الحادة في كل الشؤون ، ولا يأخذ إلا بما هو ميسر سمح ، ولذا يصلح لكل زمان ومكان ، وكل جيل وطائفة مثله مثل الضياء والدفء والماء والهواء ، يحتاج إليه كل مخلوق انساناً او نباتاً او حيواناً .

ولا تصلح الانسانية ، ولا تقوم اعمدة الحيـاة ، إلا بالاسلام ولذا نرى العصور المظلمة السابقة على الاسلام عصور فوضى واضطراب وهمجية وظلم ، واستعباد واستغلال !.. وعلى حد سواء نرى العصور التي تلت الحكم الاسلامي منذ نصف قرن ، فانها الظلمات التي بعضها فوق بعض ، استبداد من الظالمين ، واضطهاد للشعوب ، وسفك للدماء ، وابتزاز للأموال ، وهتك للاعراض .

وبهذه النظرة العميقة التي ينظر الاسلام الى الحياة ، يتمكن من السيطرة على مرافق الانسان الروحية والبدنية والفكرية والعاطفية وبمثل هذه القيادة يترقى كل شيء حسب صلاحياته وقابلياته التي اودعها الله تعالى فيها فتهتز جوانب الحياة المختلفة وتنبت كل خير وسعادة تظل البشرية في ظلها آمنة

مطمئنة وارفة في رفاهية من العيش الرغد وسلام من استعباد واستغلال ونجاة من الفقر والجهل والمرض واطمئنان من الالحاد والكفر والفجور .

وانا لا ندعي ذلك بصفتنا مسلمين بل بصفتنا جامعيين نظرنا الى المبادىء والأديان السابقة على الاسلام فرأيناهـا تكثر مشاكل البشر عوض ان تقللها ولمسنا المبادىء والأديان المعاصرة التي تسود العـالم اليوم بعد ان أزاحت الاسلام عن القيادة التي طالت ثلاثـة عشر قرناً بالحديـد والنار والمكر والخداع ! باسم العدالة والحرية والمساواة ..! وألفاظ مزيفة خلابة جوفاء . نعم لمسنا هذه المبادىء والأديان فرأينـا السجون تغص بالضيوف البريئـة والمشانق تنصب لتـدلي الجثث الطيبة والمدافع تفغر افواههـا لقصف المدن الآمنة والقنابل تئز في الفضاء لافناء الألوف من الشيوخ والأطفـال والعجزة والأبرياء اشباعاً لحب السلطة ونزولاً لرغبات الانسانية .

وهكذا دواليك يتضيق الخناق على الانسان يوماً بعد يوم حتى لو مضى على هذا زمان رأيت أولي السلطة الغاشمة يمنعون الناس حتى عن ضياء الشمس وبرد الهواء .! والله المستعان .

والاسلام شأنه عكس ذلك : يقول القرآن الحكيم في وصف النبي «ص» « .. يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم » .

وإنا ــ الآن ــ لسنا في صدد ذلك بل في صدد بيان جانب من جوانب الاسلام الاصلاحية التي يعبر عنها في الشريعـة بـ (العبادات) وهي الزكاة ولكي نلقي ضوءاً على بعض نواحي هذه العبادة المهمة ذكرنا هذه المقدمة كي نلفت النظر إلى ما للاسلام من الأهمية ، ونكل الفحص عن ذلك الى من أحب الاطلاع وهو امر هين لا يحتاج إلا إلى مراجعة التواريخ ثم المقايسة وبعد ذلك يعرف صدق ما ذكرناه .

* * *

الاسلام كما اعتنى بالصلاة وبين لها حدوداً وآداباً ليقوي الصلة بين العبد وربه .. كذلك اهتم بالزكاة وقرر لها انظمة ودساتير ليرفع المستوى المادي للناس ليؤمن المصالح الفردية والاجتماعية ومنهذا يتبين ان الاسلام ليس دين مسجد وصلاة فحسب كما يحلو لمناوئي الاسلام أن يتهموه به ثم يكيلوا له كل ما في قاموسهم الكافر من نسبة واهانة .

وقد نرى في القرآن الحكيم اقتران الزكاة بالصلاة في آيات متعددة :

« الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون » .

« وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وايتاء الزكاة ».

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عنذكر الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة».

« وجعلني مباركاً أين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ».

« وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً » .

وفي الأحاديث اشارة الى هذا :

فعن الباقر والصادق عليهما السلام قالا : « فرض الله الزكاة مع الصلاة ».

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : « ان الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال : اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فكأنه لم يقم الصلاة » .

وقال عبدالله بن سنان قال ابو عبدالله عليه السلام : لما نزلت آية الزكاة « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » في شهر رمضان فأمر رسول الله «ص» مناديه فنادى في الناس : ان الله تعالى قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة ، ثم لم يعرض لشيء من اموالهم حتى حال عليهم الحول من قابل فصاموا وافطروا فأمر «ص» مناديه فنادى في المسلمين :

أيها المسلمون زكوا اموالكم تقبل صلاتكم ثم وجه عمال الصدقة وعمال الطقوس » .

وفي هذه الآيات والأحاديث دلالة واضحة على مدى ارتباط الصلاة بالزكاة وان الأولى لا تقبل بدون أن يأتي المسلم بالثانية وهكذا يكون الاسلام يرى الجهات الروحية لا تستقيم بدون الجهات البدنية ، ان الفقر سواء كان فقر الفرد ، أم فقر الدولة ، حري بأن يحدث خللاً في الاعتقاد وفي الجهاز ، ولذا قال عليه السلام (كاد الفقر أن يكون كفراً) وهذا صحيح بالنسبة الى الأفراد ، والدول على حد سواء .

فالفرد الفقير ، لا يتوجه إلا إلى نهب مال الناس ، ويمتلىء غيظاً وحسداً على الأثرياء ، وبذلك يختل التوازن وينشعب صدع الامة ، وكثيراً ما كان ذلك منشأ الثورات والانفجارات مما يخالفها الاسلام ، ويقلع جذورها بخططه الحكيمة إذ يسوي الحال بين الفقراء والاغنياء ، في جو رفع الاحتياجات وصعيد العطف والحنان .

وكذلك الامة الفقيرة لا بد وأن تمد يد عوزها إلى غيرها فتكون أسيرة له كما يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام :

« استغن عمن شئت تكن نظيره واحسن الى من شئت تكن اميره واحتج الى من شئت تكن اسيره » وكثيراً ما تؤدي الحال الى استعمار الدول الغنية للدولة المستعطية كما هو المشاهد في العالم اليوم ، والاسلام لا يحب لذويه أن يكونوا في ذيل القافلة ولهم العزة والكرامة ولكن العزة لا تأتي حبوة واعتباطاً وانما تحتاج الى سلوك صحيح من الفرد والجماعة وتمشي مع خطط الاسلام الصحيحة .

والزكاة حيث كانت مادة ثراء الدولة الاسلامية والمسلمين — في وقت واحد — وكانت هي المصدر الأعظم تقريباً لازدهار الحضارة وسير المدنية

إلى الإمام ، حث الاسلام عليها أبلغ حيث وأكد فرضها بصنوف التأكيدات والوان التشويقات وحذر تاركها العقاب الأليم والعذاب المقيم في الاولى والاخرى .

قال محمد بن مسلم : قال ابو جعفر عليه السلام : (انه ما من عبد منع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله عز وجل : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » يعني : ما بخلوا به من الزكاة) .

وقال حريز قال ابو عبدالله عليه السلام : (ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعاً اقرع يريده وهو يحيد عنه فاذا رأى انه لا يتخلّص منه أمكنه من يده فقضمها كما يقضم الفجل ثم يصير طوقاً في عنقه وذلك قول الله عز وجل : (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) .

وما من ذي مال ابل او بقر او غنم يمنع من زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطأه كل ذات ظلف بظلفها وتنهشه كل ذات ناب بنابها .

وما من ذي مال نخل او كرم او زرع يمنع زكاته إلا طوقه الله عز وجل ربعة أرضه إلى سبع أرضين الى يوم القيامة ، وروى اسحاق بن عمار عمن سمع عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: ما ضاع ما في بر او بحر إلا بتضييع الزكاة فحصنوا اموالكم بالزكاة) .

ان الكون تحت نظام عادل لا يحيد عنه هواؤه وماؤه وشمسه وقمره وسحابه ورياحه وانسانه وحيوانه ونباته ومعدنه كلها تجري لمستقر لها بتقدير من العزيز العليم ، والانسان مهما حاول تحريف سنة الله تعالى فإنما يصفع نفسه بنفسه وبهذا يكون كل تصرف على خلاف أوامر الله تعالى تصرفاً عدوانياً لا ينتج الا ضرر الانسان .

ومن السخف ان نرى اوامر الله تعالى أقل من أوامر رئيس حكومة ، ان من لم يؤد الضريبة المفروضة لا بد وأن تحجز امواله السلطات فمن لا يؤدي فرائض الله تعالى في الأموال فهل من المستحيل ان يعصف به غضب الله تعالى فيهلك ماله ؟ إن من يعتقد قدرة الحكومة وعجز الله لهو رجل بعيد عن المقاييس الكونية .

هذا بالإضافة إلى غالب الثورات التي تحرق الرطب واليابس انما تنشأ من جراء احتكار المثمرين أو ضعف الحكومات وعدم قيامها بالمهام الملقاة على انفسها فكثير من ضياع الأموال ناتج عن عدم اعطاء الزكاة الذي هو بدوره يسبب بقاء الفقير في الحضيض وارتفاع مستوى الثرى الى مناط النجم وبذلك تختلف الشقة وينهدم البناء .

والإنسان حيث ينظر الى الغرب والشرق المضطربين يوم بدأ التاريخ الى الحال الحاضر فثورات وانفجارات واطاحة بالحكومات واحتراق المدن في افران الحديد والنار ثم ينظر الى الدولة الاسلامية التي طالت ثلاثة عشر قرناً ، منذ اسسها النبي «ص» الى قبل نصف قرن تقريباً – مع كثرة ما فيها من هنات – ورأى قلة الانفجارات والتوترات فيها لم يكد يشك في العامل المهم في الفارق ، هو اداء الحقوق ، واستقامة الحكومة نسبياً ، فهما كانا عاملين فعالين لبقاء الحكومة الاسلامية بينما كان ضدهما السبب الغالي ، لانقراض حكومات وهلاك الامم والشعوب .

* * *

تمتاز قوانين السماء عن قوانين الأرض ، ان قوانين الارض يضعها احد شخصين : المستبد ، الذي لا يعمل إلا حسب مشتهاه ، والمجلس الذي يضع القانون بأغلبية الآراء وكلاهما فاسد مفسد فالسلطة المستبدة لا ترى إلا مصالح نفسها ، وان خرج المستبد عن ذلك فانه لا يمكن ان يخرج عن

عواطفه وظروفه ، وبذلك يكون الانسان ، متأرجحاً بين الحق والباطل ، والزيــغ والاستقامة .

والمجلس المتشكل من المنتخبين لا يستقيم إلا بتزييف من ذوي السلطـة ــ كما هو المشاهد في غالب المجالس ولو فرض : ان المجلس نزيه ــ وإن كان نادراً ــ جداً ــ فذلك ممــا لا ينفع ، إذ الانسان مهما كان معاضداً مع الآخرين، لا يخلو عن العواطف والظروف وذلك مما يكفي لانحراف القانون .

أليست قوانين مجلس بريطانيا، تحل الاستعمار ؟! أليست قوانين الولايات المتحدة تجوز اضطهـاد الملوّن ؟ أليس مجلس هتلر وموسليني اباح الحروب والدمار ؟ ! أليست قوانين روسيا جعلت قادتها في حل من قتل وتشريـد اكثر من عشرين مليوناً ، لتطبيق نظام المزارع الجماعيـة ؟ ! وأباحت قتل ملايين من المسلمين في تركستان لتطبيق مبدئهم على تلك المنطقة !؟

أما قوانين السماء ، فقد وضعهـا إله حكيم عادل لا يجور ولا يظلم ولا يجهل ولا يعجز .. فهي قوانين خير ورفاه وسعادة واطمئنان .

ونحن الآن بصدد قوانين المال فالإله وضع الزكاة بعد مقايسات ومقارنات، وبذلك نجحت الدولة ، وارتاحت الشعوب طوال الحكم الاسلامي أما قوانين الضرائب فإنها مجحفة بعيدة من المثل الانسانية ، امــا تمتص دماء الشعوب لتوفير رغبات السلطة ، وأمــــا تقلل من دفع العوز تمشياً مع روح السلطة العاطفية نحو الثري والغني فهي اما مفرطة او مفرّطة .

ولذا نرى أنين الشعوب والحكومات من نير الضرائب ــ على حد سواء ــ وبعد فالقانون السماوي لا يختلف بالأزمان والظروف ، والشعوب يعلم مقداره، كما ان السلطة لا تتمكن من مجاوزته ، أما ضريبة الأرض فهي في اضطراب مستمر ، فتارة تتصاعد ، وتارة تتنازل فالأمة في جهل منهــا ، والسلطة في تأرجح تختلف حسب اهواء الحاكمين وابتزاز الحياة .

وهكذا وردت الأحاديث حول الزكاة انها تكفي مصالح الدولة والأفراد بمقادير عادلة وأنصبة مستقيمة لا تختلف وان اختلفت الظروف ولا تتأرجح وان اضطربت الأحوال انها من وضع حكيم عليم مطلع على الحاجات بصير بالأجيال رؤوف بالناس رحيم .

قال ابو عبدالله عليه السلام : « ان الله عز وجل فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم ولو علم ان ذلك لا يسعهم لزادهم انهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله عز وجل ولكن اوتوا من منع من منعهم حقهم لا مما فرض الله لهم ولو ان الناس ادوا حقوقهم لكانوا عايشين بخير » .

فالأغنياء عاشوا بخير من نقمة الفقراء وحقدهم والفقراء عاشوا بخير في رفاه وسعة والحكومة عاشت بخير من الثورات والانفجارات .

وعن معتب قال قال الصادق عليه السلام : « انما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء ولو ان الناس أدوا زكاة اموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله تعالى أن يمنع رحمته من منع حق الله في ماله وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق : ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة .. وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفاً وأسخى الناس من ادى زكاة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله » .

وسأل محمد بن سنان عن الرضا عليه السلام ، عن علة الزكاة فقال : « من أجل قوت الفقراء وتحصين اموال الاغنياء لأن الله تعالى كلف اهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال الله تبارك وتعالى (لتبلون في اموالكم وأنفسكم) في اموالكم : إخراج الزكاة وفي انفسكم توطين الأنفس على الصبر ، مع ما في ذلك من اداء شكر نعم الله عز وجل ، والطمع في الزيادة ، مع ما فيه من الزيادة ، والرأفة والرحمة لأهل الضعف ،

والعطف على أهل المسكنة ، والحث لهم على المساواة ، وتقوية الفقراء ، والمعونة لهم على امر الدين ، وهو موعظة لأهل الغنى ، وعبرة لهم ، ليستدلوا على فقر الآخرة بهم ، وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله تعالى ، لما خولهم واعطاهم ، والدعاء والتضرع والخوف ، من ان يصيروا مثلهم ، في امور كثيرة في اداء الزكاة والصدقات ، وصلة الأرحام ، واصطناع المعروف » .

وهكذا تكون الزكاة ، عطف وصلة ، وسد حاجة وقيام بالمصالح . وتأليف للقلوب .. وكل خير !.

* * *

العالم قبل اليوم ، واليوم ، يتمايل إلى جهتي نقيض ، الملكية المطلقة ، واللاملكية المطلقة ، وكلاهما خطأ واضح ، فالملكية المطلقة تؤدي إلى فساد وترف المالكين ، وعوز وفقر وشل للقوى من المعوزين ، واللاملكية المطلقة ، تخالف غريزة البشر المجبول على حب المال ، والطموح نحو الثروة ، والاسلام قد أخذ الوسط بين الطرفين تمشياً مع روحه العالم الذي هو وسط بين الافراط والتفريط في كل شيء فقرر للناس الملكية وفي عين الوقت اشرك الفقير للغني في الملك ، فهما شريكان من ناحية ومستقلان من ناحية وبهذا حفظ التوازن الصادق بين الطبقات والشعوب .

قال ابو المعزا قال ابو عبدالله عليه السلام : (ان الله تعالى اشرك بين الاغنياء والفقراء في الأموال فليس لهم أن يصرفوا إلى غير شركائهم) .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب إلى عمال الصدقات في كيفية الجباية : (فان كانت له ماشية أو ابل فلا تدخلها إلا باذنه فان اكثرها له) .

وقد اعترف العلم الحديث بهذه الحقيقة أي : ان حل الاسلام لمشكلة الملكية وكيفية توزيع المال بين الغني والفقير — بسبب الزكاة — هو أفضل الحلول .

قال العلامة (جيت) : « ما زال الاسلام يحفظ التوازن بين الاتجـاهين المتغالبين في دنيا العالم فهو يساوي ويوائم بين الاشتراكية القومية الاوربية وشيوعية روسيا فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة الى ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات اوربا في الوقت الحـالي والذي هو اليـوم من مميزات روسيا أيضاً ».

ويقول (ماسينسيون) : (ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة وذلك بفرض زكاة يدفعها كل فرد لبيت المال وهو يناهض عمليات المبادلات التي لا ضابط لها وحبس الثروات كما يناهض الديون الربوية والضرائب غير المبـاشرة التي تفرض على الحاجات الأولية الضرورية ويقف في نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس المـال التجاري وبذا يحل الاسلام مرة أخرى مكاناً وسطاً بـين نظريات الرأسمالية البرجـوازية ونظريات البلشفية الشيوعية) .

وهـذا الأمر لم يكن سواداً على ورق أو قانوناً فاشلاً في الحياة كقوانين هـــذه الأيام التي تسود شرق الأرض وغربها : بل لقد طبق الاسلام قروناً وقروناً وتنعم الناس بظله ورفاهه وكلمات الائمة عليهم السلام التي تقدمت في الفصل السابق من كفاية الزكاة للفقراء شهد لها الدنيا بالصدق كما ان التاريخ يصدق ما ذكره (جيت) وأخوه ، المتقدمان .

فقد كان الفقر في العصر الاسلامي حديثاً ينقل لا حقيقة ملموسة .

هذا علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يقول: (ولعل هناك بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهـــد له بالشبع) ان هاتين المنطقتين الفقيرتين لعل فيها من ..! واليوم المناطق الغنية يموت فيها الناس من الجوع كم فرق بين الحكم الاسلامي وتكافله المـادي بهذه الفريضة البسيطة الوحيدة — تقريباً — وبين الحكم الغربي والشرقي اليوم وقبل اليوم مع هذه الكثرة المرهقة من الضرائب والاتاوات ففي ظل الحكم في منطقة فقيرة معوزة طبعاً

لعمل من لا طمع له بالقرص !! وفي ظل الاحكام الأرضية الجائرة ألوف .. وألوف.. ممن يموتون جوعاً ولا نريد إطالة الكلام بذكر الارقام والاحصاءات التي تقوم بها السلطات المسيطرة على ثروات البلاد وقائمة وفياتها وما الى ذلك .

ولم يكن هذا مختصاً بزمن أمير المؤمنين « ع » بل كان كذلك ما دام الحاكم الاسلامي وان شذ عن ذلك بعض الحكام الفاسدين حتى في الدور الاسلامي .

فقد ارسل والي الصدقات بافريقية (وهي منطقة لا يشبع اهلها الى يوم الناس هذا مع وفرة استخراج المعادن فيها في هذا العصر) الى عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي يقول له : لم يبق فقير محتاج في افريقية وبيت مال الصدقات ممتلىء فارسل اليه عمر بن عبد العزيز يأمره بان يسدد الديون عن المديونين ، فسدد ديون الناس ، حتى لم يبق مدين يستحق السداد ، لم يسدد دينه، ثم أرسل الى الخليفة أيضاً بانه ما زال في بيت المال الصدقات الكثيرة فأمره بان يشتري العبيد ويعتقها .

وهكذا لو أخذ الاسلام مرة أخرى زمام الحكم لحل مشكلة الفقر ، حلاً صحيحاً وازال هذا الشبح المخيف المخيم على الارض من الوجود ، بدون ثورة أو ضريبة جائرة ، أو قتل غني – باسم الفقير – أو ما الى ذلك .

* **

الزكاة انظف الضرائب التى عرفها العالم الى اليوم أخذاً وعطاء وبساطة .

أما أخذاً :

فلأنها لا تؤخذ بالقسر، بل المالك مخير بين دفعها بنفسه الى الفقير ، وبين دفعها الى الجابي المنصوب من قبل الدولة الاسلامية والآخذ – وهو متولي الصدقات – لا يلحف في الطلب ولا يتهم المالك ولا يؤذيه ولا يبيع له شيئاً

لاجـــل هذا الفرض ولا ينتقي الخير من المـال ويدع الرديء للمالك .. ولا . ولا .

وانظر الى هذا الحديث الذي يقطر ماء ورواء ، ولطفاً وحناناً ثم قايس الاحكام الاسلامية بما يصدر من القوانين الخائنة في عصر الكهرباء لترى الفرق بين الاسلام وبين المبادىء والقوانين .

قال بريد ، سمعت أبا عبدالله « ع » يقول : (بعث أمير المؤمنين « ع » مصدقاً من الكوفة الى باديتهـا فقال له : يا عبدالله انطلق ، وعليك بتقوى الله ، وحده لا شريك له ، ولا تؤثر دنياك على آخرتك ، وكن حافظاً لمـا ائتمنك عليـه ، راعياً لحق الله فيه ، حتى تأتي نادي بني فلان ، فاذا قدمت فانزل بمائهم ، من غير ان تخـالط ابياتهم ، ثم امض اليهم بسكينة ووقار ، حتى تقوم بينهم ، فتسلم عليهم ، ثم قل لهم : يا عباد الله ، ارسلني اليكم ولي الله لآخذ منكم حق الله في أموالكم !!

فهل في أموالكم من حق فتؤدوه الى وليه ؟ فان قال لك قائل : لا فلا تراجعه !!

وان انعم لك منهم منعم !! فانطلق معه ، من غير ان تخيفه أو تعـده إلا خيراً !! فاذا اتيت ماله ، فلا تدخله إلا باذنه فان اكثره له ! فقـــل يا عبدالله ، اتأذن لي في دخول مالك ؟! فان اذن لك ، فلا تدخله دخـول متسلط عليه فيه ، ولا عنف به !!

فاصدع المال صدعين ، ثم خيره أي الصدعين شاء !! فايها اختـار فلا تعرض له !! ثم اصدع الباقي صدعين ، ثم خيره فايها اختار فلا تعرض له ، ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله .

فاذا بقي ذلك ، فاقبض حق الله منه ، وان استقالك فاقله !! ثم اخلطهما واصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله من ماله !

فاذا قبضته، فلا توكل به إلا ناصحاً شفيقاً اميناً حفيظاً غير معنف بشيء منها ، ثم احدر كل ما اجتمع عندك من كل ناد الينا نصيره حيث امر الله عز وجل، فاذا انحدر بها رسولك، فاوعز اليه: ان لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يفرق بينهما ، ولا يمصرن لبنها ، فيضر ذلك بفصيلها ، ولا يجهد بها ركوباً ، وليعدل بينهن في ذلك ، وليوردهن كل ماء يمر به ، ولا يعدل بهن عن نبت الأرض الى جواد الطرق، في الساعة التي فيها تريح وتعبق، وليرفق بهن جهده، حتى تأتينا باذن الله سبحانه، صحاحاً سماناً، غير متعبات ولا مجهدات ، فيقسمن باذن الله ، على كتاب الله وسنة نبيه على اوليائه ، فان ذلك اعظم لاجرك ، واقرب لرشدك ، ينظر الله اليها واليك والى جهدك ونصيحتك لمن بعثك ، وبعثت في حاجته، فان رسول الله « ص » قال : ما ينظر الله الى عبد يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة ، له ولامامه ، إلا كان معنا في الرفيق الاعلى .

فهل تجد في القوانين هكذا ضريبة !؟ كلا: ولا يوجد في غير الاسلام الى يوم يبعثون .

وأراني بغنى عن التعليق على هذا الحديث، فالشمس لا تحتاج الى الوصف، وانما يكفي ان تقول للبصير : هـــذه الشمس ، فانظر اليها لترى بهجتها ونضارتها وضياءها ودفئها ..

واذا امر الامام « ع » – في هذا الحديث – ان يصدع المال صدعين ثم يخير المالك ففي حديث آخر، ان للمالك ان يأخذ من الصدع الثاني، ما يراه سميناً تشتهيه نفسه .

قال أبو عبدالله « ع » : (مر مصدقك .. ثم يخير صاحبها أي القسمين شاء فاذا اختار ، فليدفعه فان تتبعت نفس صاحب الغنم من النصف الآخر منها شاة أو شاتين أو ثلاثاً ، فليدفعها اليه ثم ليأخذ منه صدقته) .

ولا يقف الاسلام عند هذا الحد ، بل يسير شوطاً آخر واشواطاً تقويماً لموازين العدل . وتحفظاً على الحكومة العادلة ، واثارة لعواطف الشعب نحو الحاكم حتى يلتئم الناس حكومة وشعباً ، آخذاً ومعطياً وبذلك تترقى الانسانية ، وتنمو ملكات الحب والحنان بين الافراد في جو من الاخاء والود .

يروي رجل من ثقيف استعمله الامام امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، على سواد من سواد الكوفة يقول : قال الامام عليه السلام :

(اياك ان تضرب مسلماً ، أو يهودياً ، أو نصرانياً في درهم خراج ، أو تبيع دابة عمل في درهم فانما امر ان نأخذ منهم العفو) واشار الى قوله تعالى : (خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين) .

هكذا الاسلام ، لا فرّق بين مسلم ، أو يهودي او نصراني في الحقوق العامة ، والواجبات الاصلاحية ، وان كانت هناك فروق فانما هي لما يقيم المجتمع !

وان هذا ليس في زكاة الانعام فحسب ، بل كذلك كل ما عليه الزكاة.

فقد كان امير المؤمنين عليه السلام يكتب الى من يستعمله على الصدقات: (.. فان قال لك قائل : لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما آتاك من ذهب أو فضة..).

هذا كله واضعافه .. لاخذ الزكاة !

أما معطي الزكاة فانظر الى توسعة الاسلام بالنسبة اليه :

ان قال : ليس عندي فلا يراجع !

ولا يضرب !

ولا يباع شيء لأجل سد هذه الضريبة !

وان كان في بلد المعطي مستحق قدم على غيره ، قال عبد الملك : قال أبو عبدالله عليه السلام : (كان رسول الله « ص » يقسم صدقة اهل البوادي في اهل البوادي وصدقة اهل الحضر في اهل الحضر) حتى انه لو وجد في بلدة مستحق يندب ان لا ينقل الزكاة قال محمد بن مسلم قلت لابي عبدالله عليه السلام : رجل بعث بزكاة ماله لتقسم فضاعت هل عليه ضمانها حتى تقسم ؟ فقال (اذا وجد لها موضعاً فلم يدفعها اليه فهو لها ضامن حتى يدفعها وان لم يجد لها من يدفعها اليه فبعث بها الى اهلها فليس عليه ضمان لانها قد خرجت من يده) فانظر اي حكم هذا الذي يبتدىء برفع الفقر عن اطراف صاحب الضريبة ثم تصل النوبة الى غيرهم !

ولصاحب الزكاة ان يدفعها بنفسه الى المستحق بدون ان يردها الى الحكومة الاسلامية قال جابر : اقبل رجل الى أبي جعفر عليه السلام وانا حاضر فقال : رحمك الله اقبض مني هذه الخمسمائة درهم فضعها في مواضعها . فقال أبو جعفر عليه السلام « بل خـــذها أنت فضعها في جيرانك والايتام والمساكين وفي اخوانك من المسلمين » .

وللمالك ان يعطي مقـداراً الى الفقير قرضاً ثم يحتسبها زكاة اذا وجبت عليه قال عثمان بن عمران لابي عبدالله عليه السلام : اني رجل موسر ويجيئني الرجل ويسألني الشيء وليس هو ابان زكاتي؟ فقال له ابوعبدالله عليه السلام : (القرض عندنا بثمانية عشر والصدقة بعشرة وماذا عليك ان كنت كما تقـول موسراً اعطيته فاذا كان ابان زكاتك احتسبت بها من الزكاة يا عثمان لا ترده فان رده عند الله عظيم) .

ويجوز له ان يدفع الى اطفال المسلم توسعة للمالك وترفيهاً عن عيال المسلم قال أبو بصير قلت لابي عبـــدالله عليه السلام : الرجل يموت ويترك العيال يعطون من الزكاة ؟ قال (نعم حتى ينشأوا ويبلغوا ، يحفظ فيهم ميتهم) .

ولصاحب الزكاة ان يشتري بالزكاة العروض حيث يراه خيراً للفقير قال يونس : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : عيال المسلمين اعطيهم من الزكاة فاشتري لهم منها ثياباً وطعاماً واری ان ذلك خير لهم ؟ فقال عليه السلام : (لا بأس) .

واذا غير المالك بعض النصاب فراراً عن وجوب الزكاة لم تجب عليه وان كان فراره مرغوباً عنه، قال زرارة قلت لابي جعفر عليه السلام رجل كانت عنده دراهم اشهراً فحولها دنانير فحال عليهـا منذ يوم ملكها دراهم حولاً ايزكيها ؟ قال عليه السلام : (لا) .

ولا يجب على المالك الاخراج من العين بل بما تيسر قال البرقي : كتبت الى أبي جعفر الثاني عليه السلام : هل يجوز ان اخرج عما يجب في الحرث من الحنطة والشعير وما يجب على الذهب دراهم قيمة ما يسوي أم لا يجوز إلا ان يخرج من كل شيء ما فيه ؟ فأجاب (ايما تيسر يخرج) .

واذا دفع الزكاة الى شخص ثم تبين انه غير مستحق كفى اذا كان اجتهد في الطلب قال زرارة لابي عبدالله عليه السلام في حديث: فان لم يعلم اهلها فدفعهـا الى من ليس هو لها بأهل وقد كان طلب واجتهد ثم علم بعد ذلك سوء ما صنع ؟ قال (ليس عليه ان يؤديها مرة أخرى) .

هذا ، الى مئات احكام تسهيلية مذكورة في كتب الفقه مما لا تكاد تجد عشر معشارها في قانون او ضريبة أو دين أو نظام .

وأليس من السخف أو العنـاد ان يقول الغرب الماكر ومؤيدوه الغفلة ان نظام الاسلام غير قابل للتطبيق ؟ أمثل هذا النظام العاطفي الانساني — في الضريبة مثـلا — غير قابل للتطبيق والضرائب المجحفة التي ترهق كواهل الشعوب قابلة للتطبيق .

وهذا كله لمعطي الزكاة .

أما بساطة الزكاة فطالع الاسلام واحكم .

انه جعل الزكاة على تسعة اشياء :

(البقر ، الغنم ، الابل ، التمر ، الزبيب ، الحنطة ، الشعير ، الذهب ، والفضة) .

واليك قائمة بالمقادير المفروضة والأنصبة المعينة :

البقر

الأنصبة :	المقادير :
ثلاثون	بقر دخل في السنة الثانية
اربعون	بقرة داخلة في السنة الثالثة

الغنم

أربعون	شاة
مائة واحدى وعشرون	شاتان
مائتان وواحدة	ثلاث شياه
ثلاثمائة وواحدة	اربع شياه
اربعمائة فما زاد	في كل مائة شاة

الابل

خمسة	شاة
عشرة	شاتان
خمسة عشر	ثلاث شياه

الانصبة :	المقادير :
عشرون	اربع شياه
خمس وعشرون	خمس شياه
ست وعشرون	ابل دخلت في السنة الثانية
ست وثلاثون	ابل دخلت في السنة الثالثة
ست وأربعون	ابل دخلت في السنة الرابعة
احدى وستون	ابل دخلت في السنة الخامسة
ست وسبعون	ابلان دخلتا في السنة الثالثة
احدى وتسعون	ابلان دخلتا في السنة الرابعة

مائة واحدى وعشرون ، او ازيد ففي كل خمسين مـا دخلت في السنة الرابعة ، او في كل اربعين ما دخلت في السنة الثالثة .

الشعير ، الحنطة ، الزبيب ، التمر

ثمان وزنات وربع وزنة تقريباً من عشرة واحد ، ان كان السقي بالمطر ونحوه ، ومن عشرين واحد ، ان كان السقي بالدلو ونحوها .

الذهب

خمسة عشر مثقالاً

ثلاثة مثاقيل بعد النصاب الاول من أربعين واحد .

الفضة

مائة وخمسة مثاقيل

احد وعشرون مثقالاً بعد النصاب الأول من أربعين واحد .

ثم هناك شروط تخفف من وجوب الزكاة ، فمثلا :

في الانعام ، لا تجب الزكاة ، على العوامل ، ولا على المعلوفة ، ولا قبل مضي الحـول .

وفي الغلات ، لا تجب اذا لم تكن وقت التعلق ملكاً للشخص .

وفي النقدين ، لا تجب في غير المسكوك ، ولا قبل مضي الحول .

وقد ترى ما في هذه الأنصبة ، ومقاديرها ، من البساطة ، بحيث يعرفها البدوي ، فضلاً عن غيره ، باد في التفات وتوجه وهل تجد مثلهـا في سائر ضرائب الحكومات ؟!.

* * *

كانت الحكومات ، قبل الاسلام ، همها بطنها ، فهي لا تأخذ الضرائب من الناس ، إلا لترفها ورفاهها أما الفقراء والمساكين .. ومـــا إليهم ، بل والمصالح العامة ، فليس لها عند الحكومة أقل حظ .

ولما جاء الاسلام ، وأضاءت الدنيا بنوره ، أخذت حكومات الغرب ، بعض القوانين الاسلامية ، وحذت على مثالها ، لكن مثالاً مزيجاً من النور والظلمة ، والعطف والجانبة فشرعت في ادخال بعض التعديلات في انظمتها عامة ، وفي الضرائب خاصة ، فاشركت الفقراء اسمياً ، في جزء ضئيل من مداخل الدولة ، ولكن لم يطبق من ذلك التعديل الجزئي ، إلا شيء يسير ، ولذا ترى إلى يوم الناس الحاضر لا يحترم الفقير ، ولا يقدر قدره ، بالرغم من الصيحات التي تملأ الدنيا باسم الفقير ، انه لا بد أن يموت في شرع الحكومات ، وأن تمشدقوا بحقه ، وجعلوا الضرائب المجحفة باسمه ، وكثيراً مـــا قتلوا الأغنياء من أجله لكن الواقع لا ينطلي على أحد !.

أما الاسلام ، فهو الذي جعل له في أموال الأغنياء حقاً معلوماً ، لا يظلم ولا يظلمون ، وقد امتحن حق ظهر صدقه – طوال الحكم الاسلامي ثلاثـة عشر قرناً – بالرغم من ابتلاء الاسلام في كثير من الأحيان بالزعماء الخونة ،

والسلاطين الجائرين ، إلا ان قوته ومتانته كانت تقف دون القضـــاء على الفقراء .

ولم يكن الاسلام يأخذ الضرائب المجحفة لهم ، وانمـا كانت الزكاة هي المصدر العظيم لسد هذا الثغر .

وقد جعل الله تعالى الزكاة على ثمانية اقسام ، بهـــا يشعب صدع الفقر والفقراء ، إلى جنب قيامها بمهـــام المسلمين ومصالحهم وكانت هذه الاقسام الثمانية كافية لسد جوانب حياة المسلمين المتشعبة .

يقول الله تعالى – بصدد أقسام الأصناف التي شرعت لها الزكاة : –

« انما الصدقات :

للفقراء .

والمساكين .

والعاملين عليها .

والمؤلفة قلوبهم .

وفي الرقاب .

والغارمين .

وفي سبيل الله .

وابن السبيل .

فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

أمـــا الفقير : فهو الذي لا يملك مؤونة سنته ، لنفسه ولعياله الواجبة نفقتهم عليه ، لا بالفعل ، ولا بالقوة ، بمعنى انه ليس واجداً فعلاً ، ولا قادراً على الاكتساب الذي يسد نفقته ، قال ابو بصير : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « يأخذ الزكاة صاحب السبعمائة اذا لم يجد غيره ، قلت : فان صاحب السبعمائة تجب عليه الزكاة ؟! قال : زكاته صدقة على عياله ، ولا يأخذها إلا أن يكون اذا اعتمد على السبعمائة انفذها في أقل من سنة ، فهذا يأخذهـا ولا تحل الزكاة لمن كان محترفاً ، وعنده ما تجب فيه الزكاة أن يأخذ الزكاة » .

وفي خبر محمد بن مسلم عنه عليه السلام « ولا تحل الزكاة لمن له خمسون درهماً ، وله حرفة يقوت بها عياله » .

وقال ابو جعفر عليه السلام : « قال رسول الله «ص» : لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة سوي ولا لمحترف ، ولا لقوي ، قلنا ما معنى هذا ؟ قال : لا يحل له أن يأخذها ، وهو يقدر على أن يكف نفسه عنها .

ولا يقتصر آخذ الزكاة على أقل الضرورات ، بل حتى تسد جميع حوائجه المتعارفة ، قال سماعة : سألت أبا عبدالله عليه السلام : عن الزكاة هل تصلح لصاحب الدار والخادم ؟ فقال : نعم ، إلا أن يكون داره دار غلة ، فخرج له من غلتها دراهم ما يكفيه لنفسه وعياله ، فان لم يكن الغلة تكفيه ، لنفسه ولعياله ، في طعامهم وكسوتهم وحاجتهم — من غير اسراف فقد حلت له الزكاة ، فإن كانت تكفيهم فلا » .

قال ابو بصير للصادق عليه السلام : ان لنا صديقاً .. له دار تسوي أربعة آلاف درهم ، وله جارية وله غلام ، يستقي كل يوم ما بين الدرهمين إلى الأربعة ، سوى علف الجمل ، وله عيال ، أله أن يأخذ من الزكاة ؟ قال : نعم قال : وله هذه العروض ؟! فقال : يا أبا محمد ، فتأمرني ان أمره ببيع داره ، وهي عزه ومسقط رأسه ؟! او يبيع خادمه الذي يقيه الحر والبرد ، ويصون وجهه ووجه عياله !؟ أو امره أن يبيع غلامه وجمله ، وهو معيشته وقوته؟! بل يأخذ الزكاة ،فهي له حلال ،ولا يبيع داره ولا غلامه ولا جمله» .

ثم أليس اعطاء الزكاة للفقير بقدر بل الأفضل أن يعطى الفقير من الزكاة حتى يستغني .

قال اسحاق بن عمار لأبي الحسن موسى عليه السلام : أعطى الرجل من الزكاة ثمانين درهماً ؟ قال « نعم وزده » قلت اعطيه مائة ؟ قال « نعم » واغنه ، ان قدرت على أن تغنيه » .

وقال ابو جعفر عليه السلام : « إذا اعطيت الفقير فاغنه » .

هذه هي حصة الفقير من الزكاة ، وهذا هو الفقير ، فهل في قوانين الأرض ما يشابه ذلك ؟ ولو فرض – مستحيلا – فهل يطبق ؟ كلا ! أما الاسلام ، فإنه جعل ، وطبق !!

وأما المسكين : فهو صنو الفقير في المزايا المذكورة ، وإنما الفرق ، ما ورد في النص : سأل محمد بن مسلم الإمام الباقر او الإمام الصادق عليهما السلام : عن الفقير والمسكين ؟ فقال : « الفقير الذي لا يسأل ، والمسكين الذي هو اجهد منه الذي يسأل » وانما ذكر في الآية الكريمة ، للتنصيص والاستيعاب ، واهتماماً به . وعناية بحقه .

وأما العاملون : فهم جباة الزكاة . وليست لهم حصة معينة لوضوح اختلاف اجرة الجباية . حسب الأزمنة والظروف . قال الحلبي للصادق عليه السلام : ما يعطى المصدق؟ قال : « ما يرى الإمام . ولا يقدر له شيء » .

والمؤلفة قلوبهم : هم من ضعف اسلامه . فيعطى من الزكاة . ليقوى إيمانه . إذ المال ملين للصعوبات ، حلال لعقد النفوس . سأل زرارة أباجعفر عليه السلام : عن قول الله عز وجل : « والمؤلفة قلوبهم » قال قوم وحدوا الله عز وجل . وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله ، وشهدوا ان لا إله إلا الله وأن محمداً «ص» رسول الله . وهم في ذلك شكاك في بعض ما جاء به محمد «ص» . فأمر الله نبيه: أن يتألفهم بالمال والعطاء . لكي يحسن اسلامهم ويثبتوا على دينهم الذي دخلوا فيه ، وأقروا به ، فان رسول الله «ص» يوم حنين تألف رؤساء العرب من قريش ومضر منهم ابو سفيان بن حرب . وعيينة بن حصين الفزاري . وأشباههم من الناس . فغضبت الأنصار . فاجتمعت إلى سعد بن عبادة . فانطلق بهم إلى رسول الله «ص» بالجعرانة . فقال : يا رسول الله أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم . فقال ان كان لهذا الأمر . في هذه الأموال التي قسمت بين قومك شيئاً انزل الله . رضينا . وان كان غير ذلك لم نرض . فقال رسول الله «ص» : يا معشر الأنصار .

أكلكم على قول سيدكم سعد ؟ فقالوا : سيدنا الله ورسوله . ثم قالوا في الثالثة : على مثل قوله ورأيه » .

فقال رسول الله «ص» : أفلا ترضون يا معشر الانصار . أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم .. فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم . وقالوا رضينا بالله ورسوله قسماً..

والرقاب : هم العبيد يشترون من الزكاة ويعتقون ، سأل عبيد بن زرارة أبا عبدالله عليه السلام ، عن رجل اخرج زكاة ماله الف درهم . فلم يجد موضعاً يدفع ذلك إليه . فنظر إلى مملوك يباع فيمن يريده . فاشتراه بتلك الألف الدرهم ، التي اخرجها من زكاة ، فاعتقه . هل يجوز ذلك ؟ قال : « نعم لا بأس بذلك » وقال أديم بن الحر : قلت لأبي عبدالله عليه السلام ، مملوك يعرف هذا الأمر الذي نحن عليه . اشتريه من الزكاة فاعتقه ؟ قال « اشتره واعتقه .. »

والغارمون : هم المدينون الذين لا يتمكنون من إداء دينهم . ولم يصرفوا المال في المعصية . من غير فرق بين أن يكونوا امواتاً أم احياء ، سأل عبد الرحمان أبا الحسن الاول عليه السلام ، عن دين لي على قوم ، قد طال حبسه عندهم ، لا يقدرون على قضائه ، وهم مستوجبون للزكاة . هل لي ان أدعه ، فاحتسب به عليهم من الزكاة ؟ قال « نعم » وسأله عن رجل عارف فاضل توفي وترك عليه ديناً ، قد ابتلى به ، لم يكن بمفسد ولا بمسرف ، ولا معروف بالمسألة ، هل يقضي عنه من الزكاة الألف والألفان قال « نعم » .

بل أزيد من هذا ، ان على الإمام قضاء دين كل مسلم اذا مات ، ولم يكن له مال يؤدى به دينه ، روى موسى بن بكير عن أبي الحسن عليه السلام قال « من طلب الرزق فغلب عليه ، فليستدن على الله تعالى وعلى رسوله ما يقوت به عياله ، فان مات ولم يقض كان على الإمام قضاؤه ، فان لم يقضه كان عليه وزره ان الله يقول « انما الصدقات للفقراء والمساكين والغارمين ، فهو فقير مسكين مغرم » .

ان الاسلام – والاسلام وحده – عليه ديون الشعب ، وهل في القوانين الوضعية هكذا ؟ كلا ! والف كلا (كان على الإمام قضاؤه ، فان لم يقضه كان عليه وزره) ينبغي أن يقف الإنسان عند هذه العبارة قليلا ! ان زعم المسلمين هو المسؤول عن دين الأفراد لا المديون نفسه ، فكأنه دين الإمام إذا لم يرده كان عليه وزره ! ولهذا يطابق العقل ، فمن أين يؤدي هذا الدين ؟ وكيف يمكن ابطال حقوق الدائنين .

ومن الملاحظ في معاكسة الأحكام الإسلامية العادلة للقوانين الغربيـــة الجائرة ، ان في الإسلام ما تركه الميت من مال فلوارثه وما تركه من دين ، فعلى امام المسلمين ، أما الغرب فما تركه الميت من مال فتشاركه الحكومة بمقادير باهظة ، ومــا تركه من دين فعلى الوارث بمعنى ان الحكومة ليست متكفلة ، وعلى هذه قس ما سواها .

أما في سبيل الله ، فهي مطلق سبيل الخير من مصالح المسلمين جهاداً كان ام حجاً او بناء قنطرة ام تشييد مدرسة ام غير ذلك ، قال الامام عليه السلام « وفي سبيل الله قوم يخرجون في الجهاد ، وليس عندهم مـــا يتقوون به . أو قوم من المؤمنين ليس عندهم ما يحجون به او في جميع سبل الخير ، فعلى الامام أن يعطيهم من مـــال الصدقات » بل في رواية ان ابن السبيل شامل للضيف .

وأما ابن السبيل ، فهو الذي انقطع في سفره ، لنفاد نفقته او تلفها او ما إلى ذلك ، قال الامام عليه السلام « وابن السبيل ابنــاء الطريق الذين يكونون في الأسفار في طاعـــة الله ، فينقطع عليهم ويذهب مالهم ، فعلى الامام أن يردهم إلى أوطانهم من مال الصدقات » .

هذه أصناف المستحقين للزكاة بصورة اجمالية ، وهذه الفريضة من حيث الأخذ والعطاء ، والمخرج والمصرف والبساطة والنزاهة ، حقاً انها من أفضل

الضرائب التي عرفها العالم قبل الاسلام ، ومن حين أزيح الحكم الاسلامي عن دست القيادة ليخلفه قانون الغرب الجائر ، ولا يجد النـاس ، ولا يجد المسلمون مثل هذا القانون ، ولا مثل سائر قوانين السماء التي اوحى بها الله تعالى ، لرفاه البشر وسعادتهم . ولا يزالون في حلقة مفرغة ، من اجحاف الضرائب . وانسيابها في الترف والقصف . إلى ان يأخذ الاسلام الزمـام ، فينطبق – ثانية – قول الله تعالى « النبي .. يضع عنهم اصرهم ، والاغلال التي كانت عليهم » .

وهناك أمور أخرى ، يستحب فيها الزكاة ، كال التجارة ، والخيل .. وما اليها ، إلا ان المشهور بين العلماء لمـا كان استحبابها في هذه الأمور ، لا نتعرض لها ، وكتب الفقه كفيلة ببيانها .

* * *

الخمس

المصدر الثاني لثروة الدولة الاسلامية ، هو الخمس .

وهو وان كان يفترق عن الزكاة ، في نواح ، إلا انــــه يجتمع معه في نواح أخرى .

وكلاهما لخدمة المسلمين دولة وشعباً ، وتأمين مصالحهم جماعة وفرداً .

وهذا الحق مع اخته السابقة : الزكاة ، يقومان بسد حاجات المسلمين ، لا كحاجات هذه الحكومات فقط ، بل الحاجات التي في ضمنها اغنــاء كل فرد فقير ، والقيام بكل مصلحة اسلامية ، وإبادة الجهل والفقر والمرض عن الرقعة الاسلامية ، بل الدنيا كلهـــا لو طبقت فيها أنظمة هذين الحقين . بالاضافة إلى وفاء دين المديونين ، كما تقدم فيعيش المجتمع في الرفاه والسعادة ، والاخوة والعطف ..

وبعض معاصرينا ، ممن لا يقيم لهـذا الحق وزنه الاسلامي ، ويظن ان (الغنائم) المأخوذ منها الخمس خاصة بغانم دار الحرب وما اليها .. لما رأى عدم كفاية الزكاة .. ونحوها .. لجميع المصالح ، التجأ إلى القول بأن الزكاة يلزم أن تؤخذ حتى من المصانع والأبنية والمعامل.. ونحو تلك .

لكن هـذا القول بدون دليل ، انـ الشرعية الاسلامية مكتملة بنص القرآن « اليـوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم

الاسلام ديناً ، فلو كان الإسلام بحاجة إلى مثل هذه التخريجات ، فهل يبقى فرق بينه وبين القوانين المدنية ، المحتاجة الى التعديل حسب الظروف ؟ .

الاسلام مرن . يماشي التطورات . وليس معنى ذلك : انه محتـــاج الى الزيادة والنقصان ، كما يتوهمه بعض المعاصرين . بل المعنى ان قوانينــه التي اكتملت . صالحة للتطبيق في كل زمان وظرف ، ويكون في تطبيقه الرفاه الكامل للبشر من جميع النواحي . ولا يماثله دين أو قانون ولو دخل عليه التعديل الف مرة .

فللاسلام كليات وشخصيات . أما الشخصيات فهي هي . لا يحيد عنها قيد شعرة . فلحم الخنزير والخمر والقمار محرمـــة والصلاة والصوم والحج واجبات . والتزاور والهدية والضيافة مستحبـات . وذبح الحيوان وبيـع الأكفان والنخـاسة مكروهات . وشرب المـــاء وأكل الطيب ولبس الحسن مباحات .

أما الكليات فهي تطبق حسب الظروف . فمثلاً :

الركوب جائز على كل مركب غير ضائر . والاستضاءة مباحة بكل ذي نور ، واستعمال الأواني والظروف جائزة في غير آمور معدودة — كالذهب والفضة — . وليس الملابس المختلفة مباحـــة إلا ما استثنى . وهكذا .. وهكذا .. ثم بعد ذلك لا يفرق ، أن يكون المركوب : بغالاً او حميراً او جمالاً . أو سيارة او طائرة او قطاراً .

أو يكون الضوء منبعثاً من الشمع . أو النفط . او الدهن . او المصباح الكهربائي . او الذرة ..

أو تكـون الأواني من الخزف او الفـــافون او الصفر او الفرفوري او البـلور .

او تكون الالبسة من القطن او الكتان او ريش الحيوان أو غيرها .

وهكذا الاسلام نظر في أول يومه إلى الظروف ومتطلبات الانسانية فيها ، ووضع برامج للرفاه والسعادة منها برامج المالية التي حصرها في امور معدودة مع البساطة في الأخذ والعطاء والمصدر والمورد ، وكان من ذلك الزكاة المتقدمة والخمس .

فالخمس هو المصدر الثاني لمال الدولة والافراد ، وله من البساطة والوضوح ما للزكاة .

قال عمران بن موسى : قرأت على موسى بن جعفر عليهما السلام آية الخمس فقال : « ما كان لله فهو لرسوله ، وما كان لرسوله فهو لنا ثم قال : والله لقد يسر الله على المؤمنين ارزاقهم بخمسة دراهم جعلوا لربهم واحداً وأكلوا أربعة احلاء » .

فهذا الواحد للرب وان كان لا يحتاج الله اليه وإنما يصرف فيما أمر تعالى من اسعاف المحاويج وتنظيم الشؤون وتقويم الدولة الاسلامية ورفع الاحتياجات عنها ، وقد بيّن ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام كما يرويه النعماني في تفسيره قال عليه السلام :

« وأما ما جاء في القرآن من ذكر معايش الخلق وأسبابها فقد اعلمنا سبحانه ذلك من خمسة اوجه : وجه الامارة ووجه العمارة ووجه الاجارة ووجه التجارة ووجه الصدقات فأما وجه الإمارة فقوله : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين » فجعل لله خمس الغنائم ، وهكذا يكون الخمس من معايش الخلق لكن مما يكون على وجه الامارة فالله تعالى ، وهو الخالق الملك العظيم له الخمس ثم لرسوله الوسيط العظيم بين الحق والخلق ثم اوصيائه الأمناء وذوو قرباه الأئمة الطاهرون عليهم السلام .

* * *

ينقسم الخمس الى قسمين :

١ – يسمى بـ (سهم الامام ع) وهذا مركب من سهم الله وسهم رسوله وسهم ذوي القربى .

٢ – يسمى بـ (سهم السادة) وهذا ايضاً مركب من سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل .

أما القسم الأول الذي هو للامام « ع » وفي زمن الغيبة يعطى نائب الامام العام فيصرفه ولي المسلمين حسب المصلحة بما يعود الى الناس بخير .

وأما القسم الثاني الذي هو للسادة يصرف في الفقراء والايتام وابناء السبيل منهم عوضاً عن الزكاة فانهم لا يعطون من الزكاة ويعطون من الخمس .

كتب رجل من تجار فارس من بعض موالي ابي الحسن الرضا « ع » يسأله الاذن في الخمس فكتب اليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ؟ ان الله واسع كريم ضمن على العمل الثواب وعلى الضيق الهم لا يحل مال إلا من وجه احله الله أن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وعلى موالينا وما نبذله وما نشتري من اعراضنا ممن تخاف سطوته .. » انه عون على الدين يصرفه ولي المسلمين لاقامة الاسلام واغناء الأفراد من العيال والموال وغيرهم .

وقال موسى بن جعفر عليهما السلام « وله – يعني للامام – نصف الخمس كملا ونصف الخمس الباقي بين أهل بيته فسهم ليتاماهم وسهم لمساكينهم وسهم لابناء سبيلهم تقسم بينهم على الكتاب والسنة ما يستغنون به في سنتهم فان فضل عنهم شيء فهو للوالي فان عجز أو نقص عن استغنائهم كان على الوالي أن ينفق من عنده بقدر ما يستغنون به وإنما صار عليه أن يمونهم لأن له ما فضل عنهم » .

ان السادة كغيرهم يجبي الأموال إلى ولي المسلمين: من خمس وزكاة فيعطي للفقراء من السادة وغيرهم قدر ما يكتفون في سنتهم – لكن بشرط عجزهم

عن الاكتساب قوة وفعلاً – أما الزكاة فلا تنقص عن الفقراء فان الله حسبهم ثم جعل لهم الزكاة كما تقدم وأما الخمس أي – نصفه الذي هو للسادة – فانه يختلف زيادة ونقصاً لوضوح ان السادة سلسلة خاصة ربما زادوا وربما نقصوا وعلى تبع ذلك يزيد حقهم تارة عن أفرادهم وينعكس اخرى ولذلك جعل الله تعالى أمر ذلك إلى الامام : ولي المسلمين إن زاد الحق كان للامام ان يصرفه حسب المصلحة وان زادت الافراد عن الحق كان على الإمام أن يعطي من عنده ما يكفيهم ، « فان فضل عنهم شيء فهو للوالي فان نقص أو عجز عن استغنائهم كان على الوالي أن ينفق من عنده بقدر ما يستغنون به » وهذا ليس جوراً عليهم ولا عليه بل الواجب بقدر الحق « وانما صار عليه أن ان يمونهم لأن له ما فضل عنهم » .

ان الاسلام العظيم بهذا الحل البسيط رفع مشكلة الفقر هذا الكابوس الذي يئن تحته الأفراد والحكومات – على السواء – قبل الإسلام وفي هذه الفترة التي أزيحت الأحكام الاسلامية عن ميدان الحكم وقد يزعم بعض الناس ان هذه الحلول انما يلصقها المسلمون بالاسلام ، فالاسلام في نظرهم كمبادىء الاقتصاديين مثلا ممن افرغوا الصيغة في أبشع صورة ثم أخذ موالهم يعدلون ! ويعدلون ! بدعوى ان مبدأهم مرن ! ولو كان معنى ذلك مسخ المبدأ تماماً !

لكن الاسلام هو قانون السماء الذي يستكنه الامور ثم يضع الدساتير واليك هذا الحديث المروي عن الإمام موسى بن جعفر « ع » بصدد الفقر قال « ع » :

« .. لأن فقراء الناس جعل أرزاقهم في أموال الناس على ثمانية اسهم فلم يبق منهم أحد وجعل للفقراء قرابة الرسول «ص» نصف الخمس فأغناهم به عن صدقات الناس وصدقات النبي «ص» وولي الأمر فلم يبق فقير من فقراء الناس ولم يبق فقير من فقراء قرابة رسول الله «ص» إلا وقد استغنى فلا فقير » .

ثم ان اختلاف مصدر الخمس والزكاة بكون الزكاة من اشياء خاصة والخمس من أشياء أخر حسب ما يأتي إنما هو لأجل القاعدة الأولية التي تقتضي بجعل الضرائب على الأموال النامية والاقتصار على هذا القدر لأنه الكافي للقيام بالمصالح وهذا من مفاخر الاسلام الذي يجعل الضريبة بقدر الحاجة لا يجحف بأرباب المال كما لم يقصر بالنسبة الى الفقراء والقوانين الارضية في وقت واحد تجمع بين الضدين اجحاف بأرباب الأموال واضاعة للفقراء !

أما اختلاف موردهما بكون الزكاة لغير السادة ونصف الخمس للسادة فذلك لاجل ابقاء الفارق الحافز على المثل العليا إنا نرى ان الحكومات عامة تقدر اولاد الموظفين بما لا تقدر اولاد غيرهم جزاء لخدمتهم . وكذلك الناس يحفظون الرجل المرموق في اولاده اداء لبعض حقه وهذان يرميان الى مقصد واحد هو : تحفيز الناس نحو الخدمة والبراعة وهنـــاك امثلة اخرى تؤيد هذه النظرية .

ولنفرض : ان الخمس اختص بالسادة لهذه الجهة نفسها فان هذا القدر من التجلة العنوانية وان لم تكن موجبة لفرق جوهري من حيث اختلاف كمية المال ونحوه مما تبعث على التساؤل وأخيراً يكون الجواب : انــه من سلالة مؤسسي الدين وذلك بدوره يفضي إلى التعرف على الاسلام وفهم مزاياه ممـا يسعد السائل وأقوام آخرين ! وكفى بها حكمة رائعة مع التحفظ على التساوي الاسلامي أمام الله تعالى وانه لا كرامة إلا بالتقوى .

ويتبين من هذا الجواب عن ايراد ربما يخالج بعض الإفهام وانه كيف يجمع بين جعل الخمس وبين ان الرسالة لم يكن لها أجر ؟

إذ ليس الخمس أجر الرسالة وإنمـا هو تدعيم لاقتصـاد الإسلام يوزع على الفقراء ويصرف في المصــالح وسهم الله والرسول والإمام عون على الدين كما تقـدم .

* * *

مصدر الخمس سبعة اشياء يجمعها قوله تعالى: « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

فكل غنيمة يجب فيها الخمس .

وقد بيّنت الأحاديث الواردة عن النبي وآله الاطهار ان الغنيمة التي يجب فيها الخمس سبعة :

الأولى : غنائم دار الحرب فالمسلمون اذا حاربوا المشركين ومن اليهم وحازوا على شيء من ممتلكاتهم فاللازم أن يخرج منها الخمس اولاً ثم تقسم البقية بين المقاتلين وهذا النحو من تقسيم الغنائم من أنظف القوانين التي عرفت إلى الآن فالمال المأخوذ يعطى لآخذيه الذين هم أحق به من سواهم بعد ان يجعل نصيب منه لله والرسول والإمام اولياء المسلمين وهداتهم ونصيب منهم لليتامى والمساكين وابن السبيل ضعفاء المسلمين وفقرائهم .

وهذا بخلاف قوانين الحروب التي تجعل المال للدولة فعلام قتل المقاتلون ؟ وكيف يحرمون من كسب يدهم ؟ انهم بهذه الجريمة لا يشتاقون إلى النزال فتضعف نفسهم عن خوض المعارك أما الاسلام فهو يشد عزيمتهم ويقوّي ارادتهم ! قال ابو بصير قال الباقر عليه السلام « كل شيء قوتل عليه على شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فان لنا خمسه » وقال عبدالله ابن الجارود قال ابو عبدالله (ع) « كان رسول الله «ص» إذا أتاه المغنم أخذ صفوه وكان ذلك له ثم يقسم ما بقي خمسة اخماس ويأخذ خمسه ثم يقسم اربعة اخماس بين الناس الذين قاتلوا عليه ثم قسم الخمس الذي اخذه خمسة اقسام يأخذ خمس الله لنفسه ثم يقسم الاربعة اخماس بين ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل يعطي كل واحد منهم حقاً وكذلك الامام يأخذ كما يأخذ الرسول «ص» .

أما خمس الله الذي يأخذه الرسول فقد كان يضعه في سبيل الله كما في حديث زكريا قال سأل ابو عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى :

« واعلموا انمـــا غنمتم » ؟ فقال : « أما خمس الله فللرسول يضعــه في سبيــل الله » .

الثانية : المعادن فكل ما كان معدناً سائلاً كان كالنفط او غيره كالأحجار الكريمة والذهب والفضة والملح والمرمر وما اليها فانها يجب فيهــا الخمس ، قال عمار سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول « فيما يخرج من المعادن والبحر والغنيمة (أي غنيمــة دار الحرب . م) الخمس » وسأل الحلبي أبا عبدالله عليه السلام عن المعادن كم فيها؟ قال الخمس، وعن الرصاص والصفر والحديد ، ومــا كان في المعادن ، كم فيها ؟ قال « يؤخذ منها كما يؤخــذ من معادن الذهب والفضة » .

الثالثة : الكنوز ، وهي الأموال المذخورة تحت الارض ، فمن وجدها يجب عليه اخراج خمسها ، حكى الإمام الصادق « ع » ، عن امير المؤمنين عليه السلام ، ان النبي «ص» قال له « ع » « يا علي ان عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن اجراها الله في الإسلام ، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس » وسأل الحلبي أبا عبدالله « ع » عن الكنز كم فيه ؟ فقال الخمس » .

الرابعة : ما يخرج من الماء بالغوص ، فانه يجب فيه الخمس ، قال حماد سألت أبا عبدالله « ع » عن العنبر وعوض اللؤلؤ ؟ قال عليه الخمس » وسأل موسى بن جعفر عليهما السلام عن ما يخرج من البحر ، من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وعن معادن الذهب والفضة هل فيهــا زكاة ؟ فقال اذا بلغت قيمته ديناراً ففيه الخمس .

الخامسة : أرباح التجارات والزراعات والصناعات ، وما اليها، فان فيها الخمس ، بعد اخراج مؤونة السنة ؛ وهذا هو الحق الذي جعله الله تعالى ، ليملأ فراغ الفقر ، ويقوم بالمصالح ، وانكره بعض الناس ، ولذا اضطر إلى جعل الزكاة ، فهذه الامور .! بدون دليل ، لكن شرع الله أحق بالاتباع ، قال محمد بن الحسن ، كتب بعض أصحابنــــا إلى أبي جعفر الثاني ، « ع »

اخبرني عن الخمس ، أعلى جميع ما يستفيد الرجل من قليل و كثير ، من جميع الضروب ؟ وعلى الصناع ، وكيف ذلك ؟ فكتب بخطه الخمس بعد المؤونة وقال سماعة سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس ؟ فقال « في كل ما أفاد الناس من قليل او كثير » وقال عبدالله بن سنان ، قال ابو عبدالله عليه السلام « على كل امر غنم او اكتسب الخمس مما أصاب حتى الخياط ليخيط ثوباً بخمسة دوانيق ، فلنا منه دانق .. »

السادسة : الأرض التي يشتريها الذمي من المسلم، قال الصادق عليه السلام « الذمي اذا اشترى من مسلم الارض ، فعليه فيها الخمس » .

السابعة : الاموال المختلطة حرامها بحلالها ، مما لا يعرف صاحبها قال عمار ، سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول « فيما يخرج من المعادن والبحر والغنيمة والحلال المختلط بالحرام اذا لم يعرف صاحبه ، والكنوز الخمس » .

هذه هي مصادر الخمس ، وتلك مواردها . وذلك مقدارها ، وذيك بساطتها ، أما سدها للحاجات الفردية والاجتماعية ، فيعلم عن مقايسة مصدرين فقط من مصادرها بحاجات المجتمع ، المصدر الاول ، الارباح ، فان خمسها رقم كبير جداً ، ومثله يجدر أن يسد نفقات الدولة ، وحاجات الافراد ، فكيف اذا أضيف اليه المصدر الثاني : وهو خمس المعادن ، واليك ما ننقله في كتاب (كفاح دين) ليعلم صدق ما نذكره ، قال « لقد ثبت لساهرينا ، ومحققينا ، ان الدول الطامعة الشرهة المحتكرة ، اختلست من ثرواتنا عام (١٩٥٥) فقط ما يساوي ربحه خمسمائة الف مليون دولاراً امريكياً . ! وقد تضاعف فيضان الآبار ، وعرفت آبار جديدة في برنا وبحرنا ، فتضاعف الربح هذين العامين ، واصبح تسعمائة الف مليون دولاراً على الأقل . ! هذا سوى ما يختلسه المستعمرون من مناجم الذهب والفضة و الكبريت » .

اننا لنفرض معدل أرباح الآبار والمناجم الاخرى الف الف مليون ، في كل سنة !.

فالخمس : مائتا الف مليون !!

فهل يبقى بعد ذلك فقير أو مصلحة معطلة !؟ كلا !

* * *

أشرنا سابقاً إلى مصارف الخمس اجمالاً ونقول :

ان الله تعالى يملك الدنيا وما فيها ملكاً طلقاً لا كأملاكنا ، التي هي مجرد اعتبار ، وإنما جعل لنفسه حصة من الخمس تشريفاً للرسول وذي القربى وسائر المصارف بأردافهم لنفسه ، ومن المعلوم ان النبي «ص» كان يصرف حصة الله وحصته وحصة ذوي قرباه في مصالح المسلمين بل لم يزل مديوناً حتى قبض وقام الإمام امير المؤمنين « ع » باداء دينه وكذلك الامام المرتضى عليه السلام استدان مبالغ طائلة ربما بلغ قرب المليون يصرفها في المصالح حتى انه وقت استشهاده كان مديوناً بسبعمائة الف، فقام الإمام الحسن باداثها مع انهما كانا رئيسي الدولة الاسلامية ويجبى اليهما الخمس والزكاة من كل ناحية .

بقي الكلام لأنصبة اليتامى والمساكين وابن السبيل ،

أما اليتامى والمساكين فمن الضروري وجوب قيام الدولة بمصالحهم وإلا فمن أين يعيشون ؟

والتكافل الاجتماعي الذي نراه اليوم كلمة جوفاء – غير مطبقة – ان هي إلا من تقاليد الغرب للاسلام تقليداً اسمياً فقط لا روح له كما ان دار العجزة التي تفتح في البلاد باسم العاجزين ولمدرائها وموظفيها القسم الأوفر من مقررات العجزة ، اقتباس من الاسلام حيث فتح النبي «ص» اول دار للعجزة في مسجده كانت تسمى بـ : (الصفة) يجتمع فيها خلق كثير من

الحطام الآدمي الذي يعجز عن كسب القوت وربما بلغوا ثلثمائـة وأكثر ولم يكن التكافل الاجتماعي خاصاً بالمسلم بل المعاهد في البلاد الاسلامية كان له ما للمسلم من الاحترام فيما عدا احكام خاصة لمصالح وعلل . روي محمد بن أبي حمزة قال مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل فقال امير المؤمنين « ع » ما هذا ؟! قالوا : يا امير المؤمنين نصراني فقال امير المؤمنين : استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه ؟! انفقوا عليه من بيت المال .

فكيف يرضى الاسلام ان يرى فقيراً في بلاده ولو كان نصرانياً ! ؟ انـه ليس من الانصاف أن يعمل الرجل – أياً كان دينه – في بلاد المسلمين ويستنفد قواه ثم يترك يستكفف ! انه الجماد الذي ينتفع به فاذا لم يوجد فيه نفع كان نصيب الحطب الحرق ومن نصيب الحجر الطرح أما الانسان فلقد كرمه الاسلام « ولقد كرمنا بني آدم وحملناه في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات » فكيف يرضى بأن يبقى هملاً يستجدي ؟!

أما ابن السبيل فللاسلام عناية خاصة به فوق العناية بسائر الفقراء انه فقير فيستحق العون وفوق ذلك يريد الاسلام بهذا الضمان أن يكثر السفر ويسهل للناس التنقل حتى تتوسع دائرة العلوم والمعارف ويعرف الناس بعضهم بعضاً ، فتقوى اواصر القرابة الانسانية ، فالاسلام بالاضافة الى حثه الأكيد بالمسافرة « أفلم يسيروا في الأرض ..؟ » « فامشوا في مناكبها » « فسافر ففي الأسفار .. » يضع قسطاً من الزكاة والخمس لمن انقطع في سفره ، ليسهل للناس السفر ، لاغراض التجارة ، والسياسة والتعلم ورؤية المشاهد العلميـة والتاريخية ، ودرس الأحوال الاجتماعية ، وزيارة الاضرحة المطهرة ، وتعرف الناس بعضهم مع بعض .

انهم يعلمـون مهما انقطعوا ، يمد الاسلام اليهم يد العون ، فلا يبقون حيارى لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، ومثل هذا القانون لا تجده في اي دين او مبدأ ، وان فرضنا وجوده ، فهو سواد على بياض وليس للتطبيق !!.

الحج

الانسان بما انه اجتماعي يمتاز عن سائر افراد الحيوان بالتعاطف والتواصل لا بد له من احتفالات واجتماعات يتبادلون فيهـا الآراء ويكتسبون خبرات واسعة ، بها تتحسن المعايش وتزدهي الحضارة وتتقدم البشرية الى الامام .

وللانسان بطبيعته الاجتماعية ميل ورغبة في الاجتماع مـع بني نوعه ولذا يشرع منذ الصغر الى تكوين خلايا اجتماعية صغيرة ثم كبيرة، ثم أكبر . فهو يجتمع مع العائلة حيث يظلهم سقف وتجمعهم دار، ثم يضيف الى ذلك القرين من زوج أو زوجة ، ثم الأولاد والأحفاد ، والى جنب ذلك يتخـذ أصدقاء ومعـارف واخلاء واخدان ، فهو يمتد في الطول الى الاجتماع وفي العرض الى الاجتماع كالشجر الذي يكون نواة ثم ينمو نحو السماء ، ويعترض حتى يكون شجراً باسقاً بديناً .

لكن الاجتماع الناشيء عن هذين الأمرين الطولي والعرضي اجتماع مصطنع تحت نطاق محدود، ثم يأتي بعد ذلك دور الاجتماعات العامة نسبياً كالاحتفالات بالاعيـاد والوفيات والاجتماعات في الأحزان والأفراح والحركات العامة الاصلاحية كالمظاهرات السلمية والعدائية ، والى هذا الحد يقف دور الاجتماع، أما اجتماع أرقى من ذلك فليس في قاموس الناس .

لكن الاسلام كبعض الاديان الأخر - يوسع دائرة الاجتماع الى الاجتماع العالمي ويتعدى الخلايا الصغيرة الى احتفال عام يجتمع فيه الاسود والابيض.. والشرقي والغربي.. والجنوبي والشمالي والسيد والمسود.. والعربي والعجمي.. والتركي والهندي .. والثري وغيره .. من غير فرق بين البلدان والأقطار والمناصب والأعمار وذلك فيما فرضه من الحج : حجة الاسلام التي هي واجبة على كل مستطيع بعد كونه بالغاً عاقلاً .

وبذلك يكون أكبر اجتماع عام يشهده التاريخ في كل سنة كما هو في نفس الحال اجمع اجتماع للاصناف المختلفة والامم المتباعدة والاجيال الصاعدة والنازلة فيأخذ المجتمع الاسلامي سطحاً واحداً حقيقياً أو نسبياً .

فتقوى الاواصر الانسانية، وتستحكم الصلات البشرية ويتركز النمو الاسلامي الذي هو نواة السعادة، في كتاب الاسلام والعلم الحديث. « والحج دعوة كبرى لعقد مؤتمر عالمي المسلمين ، يباشرون فيه امورهم ، ويحلون مشكلاتهم، ويتجاوبون به لمختلف رغبات المسلمين أينما كانوا .. وفي العصر الحديث نرى ان دول العالم كله تجد انه لا مناص من عقد المؤتمرات، التي تضم طوائف البلاد المتماثلة في سياستها أو مشاربها ، أو اتجاهاتها الاقتصادية ، لتقوية دول هذا المؤتمر ، واصبحت الدول تتسابق الى ضم أكبر عدد من حلفائها الى جانبها ، وظهرت التكتلات الدولية ، واخذت صوراً واسماء ، ولكنها ما زالت وستظل دون مؤتمر الاسلام الذي دعا اليه الله بالحج . فهذه مئات الالوف من كل بقاع العالم ، في شتى الدول وعديد البلاد فيهم كل ألوان البشر : من ابيض واسمر وأسود وأصفر .. ويمثلون كافة الاتجاهات السياسية فمنهم من روسيا ومنهم من انجلترا وآخرون من فرنسا وايطاليا .. والشرق الأوسط والأقصى .. ومن جزر المحيط أي محيط وكل محيط ، تربطهم عقيدة واحدة : هي الاسلام ، ويجمعهم الهدف الموحد : حج بيت الله الحرام . مندوبون عن كافة الدول ، ومختلف الشعوب يجتمعون مرة كل عام ، تجمعهم

رابطة أقوى من القومية ، أو المنفعة الاقتصادية، أو الجوار، الا وهي رابطة الدين .. فما اجمله من مؤتمر . وما اكمله من اجتماع » ..

قال هشام بن الحكم : سألت أبا عبدالله عليه السلام ، فقلت : ما العلة التي من أجلها كلف الله العباد الحج ، والطواف بالبيت ؟ فقال « ان الله خلق الخلق.. وامرهم بما يكون من امر الطاعة في الدين، ومصلحتهم من امر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ، ليتعارفوا ، ولينزع كل قوم من التجارات من بلد الى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال ولتعرف آثار رسول الله « ص » ، وتعرف اخباره ويذكر ولا ينسى، ولو كان كل قوم انما يتكلمون على بلادهم وما فيها هلكوا ، وخربت البلاد ، وسقطت الجلب والارباح ، وعميت الاخبار ولم يقفوا على ذلك » ..

والحج مع قطع النظر عن ناحيته الاجتماعية — المتقدمة — له ناحية اقتصادية، فان الاقتصاديات، كما هو معلوم انما تتحرك وتزدهر بالتنقل والأخذ والعطاء والبيع والشراء .. وما الى ذلك ، والحج من اظهر مصاديق تحرك الاقتصاد، وليست حركة ضئيلة ، بل انما هي حركة في عرض البلاد وطولها، وهو في عين الحال حركة في جوانب التجارة المختلفة : جوانب السفر ، والملابس ، والمآكل ، والمساكن .. وغيرها .

ولا بأس بنقل جملة من نشرة (الأخلاق والآداب) العدد السادس السنة الثانية ، باختلاف يسير لتطبيقه على الموضوع ..

« .. من فوائد الحج تنشيط الحركة الاقتصادية ، فان مسلمي العالم الذين يربو إحصاؤهم على الستمائة مليون : ربع نفوس البشر ، سواء كانوا متلاحمي الأراضي ، ام متناثري البلاد ، لو حاول كل فرد منهم الحج ، وزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين في المدينة المنورة . لرأيت البلاد الاسلامية كلها تدأب في حركة تجارية مستمرة ، نتيجة لتلاحق الوفود من هنا وهناك .. فلنعد القول بلهجة أبسط، ولنفرض المسلمين ٦٠٠،٠٠٠،٠٠٠

مليون نسمة فقط ، لا أكثر ، ولنقـدر المتمكن منهم للحج ١ ٪ فقط ، لا أكثر ، فكم يصبح عـدد الحجاج كل عام ؟ انه يكون ٦،٠٠٠،٠٠٠ ، مع العلم ان كل فرد منهم لا تكلف سفرته اقل من (٥٠) ديناراً.. بعد تكسير الزائد والنـاقص ، واعتبار الناتج ، فاذن كم يساوي مجموع مصارف الحج : ٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ مليون ديناراً ، وطبعاً انهم يعبرون جميع البلاد الاسلامية ، ويدرون عليها هاته الأموال السخية ، وذلك لا بد وان يحدث حركة تجارية متواصلة . واستخـدام الايدي العاملة ، دون ان يستخدم الاسلام في سبيلها شيئاً .! فهذه أموال المسلمين ، تنثر في بلاد المسلمين ، لمصلحة المسلمين ..!

وهناك حركة اقتصادية أخرى ، لا يستهان بهـا ، وهي ان المسلم بشر ، يضيق بمكانه ذرعاً ، ولا يفرض الاسلام عليه ان يعيش في مسقط رأسه حتى يموت ، ان ينعزل في الاديرة والصوامع !! بل لا بد من سياحات رحيبة أو ضيقة ، حسب امكانياته ، فان وجدها في البلاد الاسلاميه ، وإلا يتطلبها عند الاجانب والبعداء . ولكن يندفع فائض اموال المسلمين ، ليبحث عن مساربه في الكفار . وهذه خسارة ربما تخل بالتوازن الاقتصادي المنشود .

فاستفاد الاسلام من هذه الغريزة ، غريزة حب التجول والسياحة وشرع الحج ، وحث المسلمين على الوفود اليها ، بغية الثواب ، طوراً بلحن الوجوب ، وآونة في لهجة الاستحباب ، وبذلك يجد المسلمون ما يقتنعون به عن السياحة في بلاد الكفر ، وربما ينتزع غير المسلمين الى التجول في بلاد المسلمين — عند ذلك — غنيمة بلا بدل .. » .

يروي فضل بن شاذان عن الامام الرضا « ع » — في حـديث طويل — قال « انما امروا بالحج لعلة الودة الى الله عز وجل ، وطلب الزيادة ، والخروج من كل ما اقترف العبد ، تائباً مما مضى ، مستشفاً لما يستقبل مع ما فيه من اخراج الاموال وتعب الابدان ، والاشتغال عن الأهل والولد وحظر النفس

عن الذات ، شاخصاً في الحر والبرد ، ثابتاً على ذلك دائماً مع الخضوع والاستكانة والتذلل .

مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع: لجميع من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر ، ممن يحج وممن لم يحج ، من بين تاجر وجالب ، وبايع ومشتر ، وكاسب ومسكين ، ومكار وفقير ، وقضاء حوائج اهل الأطراف، في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها ، مع ما فيه من التفقه ، ونقل اخبار الأئمة الى كل صقع وناحية، كما قال الله عز وجل « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم ، اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون، وليشهدوا منافع لهم » .

وقد نبه القرآن الحكيم على هذه الناحية المهمة ، في سورة الحج، حيث يقول:

« وأذّن في الناس بالحج ، يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات. على ما رزقهم من بهيمة الانعام . فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ».

* * *

وللحج بالاضافة الى النواحي الاجتماعية والاقتصادية — المتقدمة — نواح أخلاقية ، لا توجد الا في الحج أو ما أشبه من الزيارات الاسلامية ، فان الانسان بطبعه ميال الى الشهوات ، سائر نحو الرذائل ، فانه كالبناء ينحو نحو الهدم ، وبقاءه يحتاج الى الترميم ، وهكذا الانسان يحتاج الى مطهرات خارجية ، والا فسد قلبه . وسار نحو الرذيلة . والحج تأمين لهذه الناحية المهمة من الحياة ، كل خطوة يخطوها الحاج ، وكل موقف يقف ، وكل عمل يعمل ، وكل منسك ينسك ، يربي في نفسه الملكات الفاضلة ، أو يغرس في ذهنه حب الخير والعدالة ، والاخاء والمساواة .

فالانسان أول ما يعزم الحج يعرض عن جميع أهله وولده وممتلكاته ، صميماً نحو بيت الله الحرام ، فليس السفر الا لله تعالى الذي خشعت له الاصوات، وعنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، ثم يخرج - بمجرد وصوله الى الميقات، حمى الله تعالى - من ملاذه الحسدية ليمتلىء بالملاذ العقلية ، انه يحرم جسده من اللباس ، وذوقه من اللحوم اللذيذة : الصيد ، وانفه من الروائح الطيبة : كالزعفران ، وملمسه من الشهوات الحقيقية ، وهكذا مبتهلاً الى الله تعالى ، مجيباً له دعوته « لبيك اللهم لبيك ».

ثم يسود هذه الجماعة الغفيرة ، الأمن والهدوء والسكينة والاطمئنان ، والاخوة والمساواة ، « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » لا قتال ولا جدال، ولا ضرب ولا سب، « ومن دخله كان آمناً » الكل في مظهر واحد، ويجتمعون في أمكنة كل في وقت واحد، هذا بيت الله الحرام ، وهذه عرفات، وهذا مشعر ، وهذا منى ، متحد العمل والتوجه والقول ، كلهم يلبون وكلهم يطوفون، وكلهم يصلون، وكلهم يسعون، وكلهم يقفون، وكلهم يرمون ويحلقون ويذبحون ، أليس في هذه كفاية لتقوية الاتحاد والاخاء وحب المساواة.

هذه وغيرها، تطهر الارواح من التفسخات الفكرية والرواسب الاخلاقية وتسمو بالنفوس من لوثاتها بالاوضار والرذيلة ، والسفاسف الموبوءة ، وتغذي الارواح بالمواد الصالحة ، والفضيلة والخير وتشفي الأبدان من الأسقام فان تغير الماء والهواء ، والسفر والسياحة مصحة للابدان ، اهل تستطيع أن تتصور شخصاً يقطع الجهاد والوهاد ويترك الأهل والبلد، ليطوف بالبيت ، ويتذكر بالله العظيم ، ثم لا تهدأ في نفسه عظمة الخالق، فتضل امام جبار السماوات والأرضين ، حتى تموت في نفسه جراثيم الفساد ، وتنبت في ذهنه مباهج الخضوع والخشوع ، امام الله ، فلا يظلم ولا يطغى.

روى الفضل بن شاذان عن الامام الرضا « ع » قال « وانما امروا بالاحرام ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وآمنه ، ولئلا يلهوا ويشتغلوا بشيء من أمور

الدنيـا وزينتها ولذاتها ، ويكونوا جادين فيما هو فيه قاصدين نحوه ، مقبلين عليه بكليتهم، مع ما فيه من التعظيم لله عز وجل ولبيته ، والتذلل لأنفسهم عنـد قصدهم الى الله عز وجل ، ووفادتهم اليه ، راجين ثوابه ، راهبين من عقابه ، ماضين نحوه ، مقبلين اليه بالذل والاستكانة والخضوع » .

قـال علي بن الحسين « ع » « حجوا واعتمروا لتصح أبدانكم وتتسع أرزاقكم ، وتكفون مؤنات عيالاتكم » .

* * *

للحج أعمال كثيرة كلها تطهر وعبادة ، واجتماع وانتفاع ، وعبر وعظات وهي :

١ ـ الاحرام .

٢ ـ الطواف .

٣ ـ ركعتا الطواف .

٤ ـ السعي .

٥ ـ التقصير .

وهذه الأعمال تسمى بالعمرة ، فتارة تقدم على أعمال الحج ـ كما في عمرة التمتع ـ وأخرى تؤخر كما في عمرة القران والافراد، وحيث ان فرض الناس النائيين التمتع ذكرناها مقدمة .

وبعد أعمال العمرة الخمسة تأتي أعمال الحج وهي :

١ ـ الاحرام .

٢ ـ الوقوف بعرفات .

٣ ـ الوقوف بالمشعر الحرام .

٤ ـ الافاضة .

٥ ـ رمي جمرة العقبة .

٦ ـ الذبح أو النحر .

٧ ـ الحلق أو التقصير .

٨ ـ طواف الزيارة .

٩ ـ ركعتا الطواف .

١٠ ـ السعي بين الصفا والمروة .

١١ ـ طواف النساء .

١٢ ـ ركعتا الطواف .

١٣ ـ المبيت بمنى .

١٤ ـ رمي الجمار .

فالحاج يحرم من الميقات ، ثم يذهب ويطوف بالبيت سبعة أشواط ثم يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم « ع » ثم يسعى بين الصفا والمروة سبع مرات ، ثم يأخذ بعض اظفاره أو شعره . وبعد ذلك يخرج من الاحرام ، ويحل له ما كان حرمه الاحرام .

ثم يحرم ثانياً من مكة ، ثم يقف بعرفات وهو موضع قريب من مكة ، ثم يقف بالمشعر وهو موضع قريب من مكة أيضاً ثم يفيض الى منى ثم يرمي جمرة العقبة ، ثم ينحر ابلا أو يذبح شاة أو بقرة ، ثم يحلق رأسه أو يأخذ بعض ظفره أو شعره ثم يذهب الى مكة ويطوف للزيارة سبعة أشواط حول الكعبة ، ثم يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم « ع » ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، ثم يطوف سبعة أشواط حول الكعبة للنساء ثم يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم « ع » ثم يرجع الى منى ليبيت بها الحادي عشر والثاني

عشر والثالث عشر – أحياناً – ، وفي كل يوم من هـذه الايام يرمي الجمرة الاولى والوسطى والعقبة بسبع حصيات .

وعنـد ذلك يتم اعمال الحج والعمرة ويرجع الحاج الى أهله مزوداً بروح طيبة ، وجسد صحيح وفكر وسيع عن مسلمي الارض ، فان المسلمين وان كانت كتلا كبيرة منهم مجتمعـة في بعض نقـاط الارض ، كباكستان ، واندونوسيا ، وايران ، ومصر ، والعراق ، والحجـاز . إلا ان كثرة منهم متناثرة في جبال الارض ووهادها أو متفرقة في بلاد الاجانب بـين جموع زاخرة من الكفار والملاحدة .. فهم ينظرون الى انفسهم بنظر القلة والازدراء ، ويرون انهم الأقلية المسحوقة ! بالاضافة الى ان المجتمعين من المسلمين في الممالك الاسلامية لا يرون إلا صقعهم ، ولا يعرفون في الأغلب إلا لسانهم ومقـدار قوتهم وربمـا خلبت البابهم قوى المستعمرين المسيطرين عليهم – في بعض الاحيان – وبذلك تضعف نفوسهم وتتخاذل أرواحهم .

فاذا جمع هؤلاء المسلمين المتباعدة الأقطار المختلفة اللغات المتباينة الاشكال والعادات من اندنوسي ، وباكستاني ، وهندستاني وايراني ، وقاهري وبغدادي .. وعرب وعجم ، وترك وأفغاني وهنـدي وكردي وأبيض وأحمر ، وأسود وأصفر .. وهكذا .. وهكذا .. أقول : اذا جمع هؤلاء الحج تتقوى نفوس الضعفاء ، وتزداد أرواح الاقوياء قوة ونشاطاً ، وعلم كل واحد منهم ان له في الأرض القريبة أو البعيدة ردءاً وظهيراً ومعيناً ونصيراً وبذلك تتقوى عرى الأخوة الاسلامية وتنمو روح العز والكثرة في نفوسهم ، ويستظهر كل واحد منهم بالآخر ويعـلم انه ليس بفرد امام الحـوادث والكوارث فتشتد عزيمته ويربط جأشه ويتصلد قلبه .

فيرجع من الحج وله فكر وسيع وقلب قـوي ونشاط كثير . ولذا نرى المستعمرين يهتمون بكامل قواهم لطمس معـالم هذه الفريضة العظيمة ويقفون جنباً الى جنب لصد هذه الفكرة المباركة .

وقـد أخذوا للمنع عن الحج خطوات بعضها نجحت وبعضها ابت بالخيبة فمن تلك الخطوات :

١ – ان غلادستون قال في مجلس العموم البريطاني « ان المستعمرين لا تقر أقدامهم في البلاد الاسلامية إلا اذا أخذوا القرآن من أيدي المسلمين ومنعوا عن الحج ! » وقد اتبعوا قوله وأخذوا يمنعون عن الحج بكل وسيلة .

٢ – منعت روسيا الشيوعية الحج بصورة عامة وعاقبت كل مخالف، ولذا لا يذكر المسلمون منذ مدة سيطرة هؤلاء على روسيا ان أحـــداً حج ، مع الكثرة الهائلة من المسلمين الذين كانوا يسكنون تلك البلاد وبالاخص تركستان، اللهم إلا نفر يسير قـــالت الدعاية بانهم حجوا !! ولو صحت لم يكونوا إلا بضعة عشر شخصاً .

٣ – منع مصطفى كمال ورضا شاه بهلوي ويس الهاشمي.. في تركيا وايران والعراق الحج، وقد طال المنع سنوات عديدة في بعض هذه الاماكن كما يعلمه الكل ، واخوة هؤلاء الثلاثة غيرهم .. وغيرهم ..

٤ – قطع المستعمرون الخط الحديدي الذي كان يمر بالبلاد الاسلامية حتى يدخل الحجاز ، وذلك لعدم تمكن المسلمين من الحج ، ولو بهذا القدر !

٥ – حرض المستعمرون بعض أفراد الحكومة في الحجاز لهدم قبور أئمة المسلمين الامام الحسن بن علي والامام زين العابدين والامام محمد الباقر والامام جعفر الصادق عليهم الصلاة والسلام وقبور غيرهم.. لأن يلقوا الفتن في ما بين أفراد الأمة الاسلامية وبذلك ينقطع بعضهم عن الحج كما حدث فعلاً ! ويشهد لذلك ان المبدأ الآمر بهذا الهدم كان منذ زمان ولم يكن يفعل هـــذا المفعول إلا بعد ان دخل المستعمرون . كما ان المبدأ القائل بذلك كان يفرق بين قبر الرسول « ص » وقبور الأئمة ، فعلام كان هذا الفرق ؟

٦ – أشار المستعمر الى بعض السلطات بتصعيب السفر الى الحـــج ومن جراء ذلك نشأت القوانين المعرقلة لمريدي الحـــج وفرضت الاتاوات واستنت

الدساتير والأنظمة لهذا الفرض حتى ان كثيراً من المستطيعين لا يتمكنون من الحج لهذه الأمور كما هو المشاهد في بعض البلاد الاسلامية .

٧ – أوعز المستعمر الى كثير من الجرائد بالهجـوم على الحج وعلى من يسافر اليـه بألسنة بذيئة وأقلام مستهزئة بعناوين مختلفة كي يتمكن بذلك من صد هذا التيار الذي يشمل المسلمين كل عام مرة ؟

٨ – أما المستشرقون المجندون للتنقيص من الحج وانه وثنية وخرافـة فحدث عنهم ولا حرج الى غير ذلك .. وقد نجحت هذه التدابير كثيراً .. حتى أصبح الحج لا يتمكن منه إلا القليل ولا يذهب اليه إلا الأقل والسلطات لا تزال تضيق الدائرة وتزيد في المهانة والازدراء لمريدي الحج تارة باسم الرجعية، وأخرى باسم الجمود وثالثة باسم انهم يريدون صرف أموال المملكة في البـلاد الأجنبية !! يالله الحجاز بلد أجنبي وهو مهبط الوحي ومحل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبلة المسلمين ؟؟ ورابعة بجعـل الإتاوات وخاصة باسم لزوم اختلال توازن الاقتصاد وهكذا .. وهكذا

والله غالب على أمره .

* * *

قـد حث الاسلام اكد الحث على الحج واجباً ومندوباً وذلك لما فيه من الفوائد البدنية والروحية ، والفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . كما تقدم شطر من ذلك ، قال الله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين » فقـد جعل تارك الحج مرتبة من مراتب الكفر وهو كذلك ، أليس تارك الحج مخـالفاً لله تعالى أمره ؟ والكفر هو ستر النعم أو الحقوق أعلاه انكار الله ، وأدناه عدم الشكر ، كما قال تعالى « لئن شكرتم لازيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » .

والحج في نظر الاسلام كالجهاد ؛ أليس الجهاد سبب لدفع العدو واعتزاز الدين ؟ والحج أيضاً سبب لهـذين ، قال زرارة قال الصادق « ع » « الحج جهاد كل ضعيف » وكما ان الجهاد يربط به بقاء الدين، كذلك الحج ، فلو ترك الحج قوضت دعائم الاسلام، قال أبو بصير : قال أبو عبدالله عليه السلام « لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة » فاذا قوضت الكعبة وترك الحج انهـدم الدين ، وليس ترك الحج ممـا يضر الله ، فانه لا يضره شيء انه الغني ! وانما يضر التاركين، قال الامام الصادق عليه السلام: كان علي صلوات الله عليه يقول لولده : « يا بني أنظروا بيت ربكم ، فلا يخلو منكم فلا تنـاظروا » وقال سدير: ذكرت لأبي جعفر عليه السلام: البيت فقال « لو عطلوه سنة واحدة لم يناظروا » .

والحج لا يمنع عنه مانع ، لا تجارة ولا أهـل .. ولا غيرهما قال الصادق عليه السلام فيقوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » هذه لمن كان عنده مال وصحة ، وان كان سوفه للتجارة فلا يسعه وان مات على ذلك ، فقد ترك شريعة من شرائع الاسلام اذا هو يجد ما يحج به » انه يحشر في الآخرة أعمى ، لانه ترك الحج بدون عذر قال أبو بصير سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى عز وجل « ومن كان في هذه أعمى ، فهو فيالآخرة أعمى وأضل سبيلا » قال « ذلك الذي يسوف نفسه الحج يعني حجة الاسلام ، حتى يأتيه الموت » .

ولا يقف الأمر الى هذا الحد بل انه أعظم وأعظم! روى ذريح المحاربي عن أبي عبـدالله عليه السلام قال « من مات ولم يحج حجة الاسلام ولم يمنعه من ذلك حاجـة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه ، فليمت يهودياً أو نصرانياً » انه لم تكن له حاجة ولم يك مريضاً ، ولم يمنعه سلطان ، فما كان عذره اذاً ؟ ان عذره الوحيد المال، فهل ادخر المال ليمتز به كما يفعل اليهود، فليمت يهودياً ! ام ادخره للتجمل كما يفعل النصارى فليمت نصرانياً .

وبالجملة : ففي الحج كل منفعة وخير وفي تركه كل ضرر وشر .

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له « فرض عليكم حج بيته الذي جعله قبلة للانام يردونه ورود الانعام ويألهون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعاً اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف أنبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الأرباح في متجر عبادته ، ويتبادرون عند موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام علماً وللعائذين حرماً فرض حجه وأوجب حقه و كتب عليكم وفادته ، فقــال سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين » .

والله تعالى جعل الحج على المستطيع واجباً — مرة واحدة — ثم جعله بعد ذلك له ولغيره مندوباً اليه .

قال محمد بن سنان ان أبا الحسن علي بن موسى الرضا « ع » كتب فيما كتب « علة فرض الحج مرة واحدة، لأن الله تعالى وضع الفرائض، على أدنى القوم قوة ، فمن تلك الفرائض الحج المفروض، واحداً ثم رغب أهل القوة على قدر طاقتهم » .

* * *

نلقي في هــذا الفصل أضواء على بعض جوانب الحج على قدر سعة نطاق هذه الكراسة ، فنقول للحج أعمال رتبت على نحو الحكمة والصلاح، وانتقيت كل واحدة منها انتقاء ، ولنذكر منها :

الاحرام ، وله أعمال أربعة :

١ ـ النية ومعناها أن يقصد الشخص ان هذا العمل لله تعالى ، فان توجه الانسان الى المبدأ القوي القدير العليم الحكيم ، يسبب له الارتياح في الضمير والفضيلة في النفس والتوازن في قوى الخير، وهذا هو السبب الذي يمنع المؤمن

من الفساد والافساد واقتراف الجرائم والآثام ، اذاً فليكن أول العمل النية حتى تكون زماماً للنفس عن الجموح وحفظاً لها عن المهالك والمعاطب .

٢ ـ لبس ثوبين نظيفين أبيضين غير مخيطين يرتدي أحـــدهما ، ويأتزر بالآخر ، وبذلك يبتعد عن عادات الملابس ، ولا يسكنها الحيـوان ويكون منظرهما انيقاً ، وبذلك يجتمع الجميع تحت قانون عام ، فلا فقير ، ولا غني ، ولا سيد ولا مسود .. وهكذا ، وذلك بعـد ان يغتسل للاحرام وينظف جسمه ويزيل وسخه .

قال الامـــام الصادق « ع » « اذا انتهيت الى بعض المواقيت التي وقت رسول الله « ص » فانتف إبطيك واحلق عانتك ، وقلم اظفارك ، وقص شاربك ولا يضرك بأي ذلك بدأت ، وفي حديث آخر عنه « ع » « .. ثم استك ، واغتسل ، والبس ثوبك » ..

« وقد احرم رسول الله « ص » في ثوبي كرسف » أي القطن .

قال الحلبي « سألت أبا عبدالله « ع » عن المحرم يحـول ثيابه ؟ قال نعم وسألته يغسلها اذا اصابها شيء ؟ قال نعم » .

وما ذكر انما هوحكم الاحرام – في الجملة – أما كونها واجبة أو مستحبة ، ومطلقة أو مقيدة فلها مقام آخر .

٣ ـ التلبية ، بان يلبي دعوة الله تعالى ، حيث دعاه الى الحج ، وبذلك يشعر الشخص انه امام الله العظيم فتذوب في نفسه الشهوات ، وتنحسر عن ذاته الانانيات ، وتنصهر روحـه فتطهر عن رواسب الرذائل ، قال عاصم بن حميد سمعت ابا عبدالله « ع » يقـول « ان رسول الله « ص » لما انتهى الى البيـداء حيث المسيل ، قربت له ناقة فركبها ، فلما انبعثت به لبى بالاربـع فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك (لبيك) خ » .

وهذه التلبيات شعار المحرم، بها يعرف انه محرم مقدم على الله تعالى واعظم بها من شعار ! قال أمير المؤمنين « ع » « جاء جبرئيل الى النبي « ص » ، وقال له « ان التلبية شعار المحرم ، فارفع صوتك بالتلبية » وقد نرى الوفود تجعل لها شعاراً تؤذن بمقاصدها، وتعلم ما تنوي من مطاليب، والاسلام سبقهم في هذا الأمر المرغوب ، ولذا يستحب رفع الصوت بالتلبية ، ويستحب ان تكرر بكل مناسبة « فقد كان النبي « ص » يلبي كلما لقي راكباً ، أو علا أكمة ، أو هبط وادياً ، ومن آخر الليل ، وفي ادبار الصلوات » قال جابر بن عبدالله – وهو أحد من كان بصحبة النبي « ص » حين حج: ما بلغنا الروحاء حتى بحت أصواتنا .

٤ – الاجتناب عن محرمات الاحرام وهي : الصيد ، الجماع ، مطلق مباشرتها بشهوة ، الاستمناء ، العقد ، استعمال الطيب ، لبس المخيط ، الاكتحال بسواد ، النظر في المرآة ، لبس الخف والجورب ، الكذب ، السباب ، المفاخرة ، الجدال ، قتل هوام الجسد : التختم للزينة لبس المرأة الحلي للزينة ، الادهان ، ازالة الشعر ، ستر الرجل رأسه والمرأة وجهها ، التظليل للرجل ، اخراج الدم ، تقليم الظفر ، قلع الضرس ، قلع شجر الحرم وحشيشه ، لبس السلاح .

ويجمع هذه الأمور كونها كبح النفس عن الشهوات الدنيا من مأكل وملبس وقول وشهوة جنسية، مع تعريض النفس للحر والبرد ، والتحفظ على حرمة الحرم ، والتجنب عن ايذاء الصيد والهوام مع ملاحظة الحرمة ، بنزع السلاح، وما الى ذلك، وهذه الأمور كما تراها امور عقلانية تطهيرية لا محيص المنصف عن الاعتراف بكونها موضوعة على نحو الحكمة، حتى انه لا زيادة فيها ولا نقصان .

والطواف : فبعد ان يحرم الحاج من الميقات يذهب الى مكة المكرمة ، ليطوف بالبيت (الكعبة) سبعة اشواط مبتدئاً من موضع يسمى بالحجر

الأسود ، وهذا زيارة لله بدخول بيته وتفدية من الشخص بنفسه ، ايماء الى انه فـداء لله ولاحكامه ، كما نرى في العادة ان الناس يطوفون حول محبوبهم ، اشارة الى كون الطائف يفدي المحبوب بكل ما لديه، وبروحه التي هي أعز الأشياء عليه ، وقد كانت من وسائل الغرب المهاجمة على هذه الشريعة الطاهرة بانها وثنية ! فهل التفدية وثنية ؟ وما معنى الوثنية ؟ أهل تكون طاعة الله في شيء تعتبر عبادة الوثن ؟

خطب أمير المؤمنين « ع » خطبة فقال في جملتها « الا ترون ان الله اختبر الأولين ، من لدن آدم ، الى الآخرين من هذا العالم باحجار ما تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام، الذي جعله للناس قياماً ، ثم أمر آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع اسفارهم، وغاية لملقى رحالهم ، حتى يهزوا مناكبهم ذللاً لله حوله ويرملوا على أقدامهم شعثاً غبراً له قـد نبذوا القنع والسراويل وراء ظهـورهم وحسروا بالشعور حلقاً عن رؤوسهم » .

وقال الامام الصادق عليه السلام « وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في اتيــانه فحثهم على تعظيمهم وزيارته وجعله محل أنبيائه وقبلة المصلين اليــه فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي الى غفرانه منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال » .

فالطواف لوذ بالخـالق وتفدية بالنفس وذل وخشوع لله تعالى وكفى بها حكمة رائعة .

وصلاه الطواف عبادة ودعاء لها ما لسائر الصلوات من آثار ومزايا ويزيد ههنا انها خلف مقام ابراهيم « ع » ومن ابراهيم ؟ هو الذي كان امة قانتاً فالناس كلهم امة وهو امة ! انه كان على التوحيد وقومه على الضلالة ومع ذلك فقد دعا الى الله منفرداً ، وجاهد وهجر دياره مرة بعد أخرى وقاوم الشرك ،

وكسر الاصنام ، وأوقـدت له النيران لتحرقه ، ولكن كانت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وهكذا ينصر الله أنبياءه ، انه بعد ما كان وحيداً في العالم صار له من المكانة السامية، والمرتبة العلية ـ عند الناس، مع الغض عن مراتبه عند الله ـ ما أبقى ذكره في هالة من الشرف والعز ، وهكذا يصدق قول الله تعـالى « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا » فلا يخاف من على الحق من قلة أهل الحق، وليقتد بأبي الانبياء ابراهيم عليه السلام .

ثم من هو ابراهيم عليه السلام ؟ هو الذي بنى هذا البيت الذي دعائمه أعز وأطـول من كل بيت ! وهكذا يبقي الله تعالى العمل الخالص لأجله حياً ، ويهلك ما سواه، فكم بنى الجبارون ! ولكنها ذهبت طي التاريخ أما البناء لله ، فيبقى .. ويبقى ، « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ! ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا امـة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » .

والسعي بين الصفا والمروة : خضوع لله تعالى ، وايماء الى ان العبد ساع في أوامر مولاه ، وهكذا يتسلسل : تلبية لله واجتناب عن الملاذ ، طواف حول بيته وتفـدية له بنفسه ، وخضوع بالركوع والسجود لعظمته : وسعي حسب أوامره تعالى ، حاسراً خاشعاً ، فهو كما يمشي الجند امام القـائد يوم الاستعراض ، ليعلم النـاس انهم منظمون تحت أوامر القـائد، وبذلك تزداد شوكة الجنـد وترهب قوته ويعرف كبر القائد وتلمس عظمته ، وفي السعي بالاضافة الى ذلك مذلة لكل متـكبر، قال الصادق عليه السلام « جعل السعي بين الصفا والمروة مذلة للجبارين » .

والتقصير : هو ان يقصر الانسان شيئاً من ظفره أو شعره دليلاً على تمام أعمـــال العمرة ، وحينئذ يحل له كل ما حرم بالاحرام ، وهذا مثل ما في

العادة ، من ان يأخـــذ الحداد ، لا يقصر من شعره دليلا على انه في حالة طارئة، توجب ان يكون على خلاف العادة، وعند تمام المدة يقصر من شعره، وعند هذه المقايسة البسيطة يتجلى بعض حكم التقصير . روى معاوية بن عمار عن الامام الصادق عليـــه السلام قال « ثم قصر من رأسك من جوانبه ، ولحيتك، وخذ من شاربك وقلم اظفارك وابق منها لحجك، فاذا فعلت ذلك فقد أحللت من كل شيء يحل منه المحرم واحرمت منه » .

وهذه هي أعمال العمرة .

وبعد ذلك يحرم الحاج لحج التمتع من مكة المكرمة .

وأعمال الاحرام كما تقدم ، وكأنه جعل هذا الفصل ليتمتع الحاج بما حرم منه أثناء الاحرام، فان النفوس تواقة الى الملاذ فمنعها عن ذلك مدة مديدة ، تورث الصعوبة البالغة وكثيراً ما تنتهك النفوس الضعيفة الحرمات، بتعاطيها سراً، ولذا نرى انالصيام لم يشرع متصلاً بل يفصل بينالايام بتخلل الإفطار وقد أشار الى هذا قوله تعالى « علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم وعفى عنكم ، فالآن باشروهن »

وبعد الاحرام يقف الحاج بموضع يقال له (عرفات) من ظهر يوم التاسع الى غروبه، وبعده يذهب الى موضع آخر، يقال له (المشعر) ويبقى هناك الى أول الشمس منالیوم العاشر من ذي الحجة ، وهذان الوقوفان من أروع مظاهر الحج ، فان الحجاج جميعاً ، على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ، ومراتبهم، وأعمارهم ، ومناطقهم .. يقفون في تلك الصحاري المقفرة تحت أشعة الشمس الملتهبة — كما في عرفات — متشابه اللباس، قد تحرروا من الملاذ والألبسة إلا ازار ورداء أبيضين ، يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم يتذكرون بذلك موقفهم يوم العرض الأكبر ، حيث لا علائق ولا وثائق ، ولا قوة ولا منعة وهكذا تنمو فيهم روح الأخـــوة الاسلامية ، ويقوى فيهم الشعور بالمسؤولية أمام الله فهم هنا امام الله للتوبة والضراعة ويأتي يوم يكونون أمام الله

للحساب والجزاء وفي ذلك من تطهير الأرواح وتنزيه النفـوس وتهييج غرائز الخير وكبت نوازع الهوى ما لا يدانيه دروس وعبر وعظات .

وبعد ذلك يأتي الحاج الى منى ليعمل فيها أعمالاً ثلاثة رمي الجمرة والحلق أو التقصير والذبح أو النحر : فالرمي انما هو شيء يعمله الشخص ليتذكر مثال الشر وهو الشيطان الممثل في الجمرة فيرميه ليتبرأ منه ومن كل شر يتبعه أرأيت تماثيل السلاطين ومن اليهم ؟ اذا غلب الشعوب على أولئك المفسدين ، رموا تماثيلهم ، وقلعوها عن أماكنها بكل تحقير وازدراء ، ان المثال حجر لا يسمع ولا يبصر ، ولكن هذا العمل كناية عن البراءة ممن يمثله هذا الحجر ، وهكذا جعل الله تعـــالى للخير علماً ، هو الكعبة تستلم ، وتقبل ، وتشاد اليها بالعظمة ويصلي قبلها ، وجعل للشر علماً هو الجمرة تهان وترمى وتزدرى وتحتقر والانسان الذي يعظم تلك ويهين هـذه لا يأتي بعملين أجوفين ، بل يتذكر الخير فينمو في نفسه حبه ، ويتذكر الشر فينمو في روحه كرهه .. وبذلك يكون رمي الجمرة عملاً عقلائياً ، يستمر الأجيال على مثله في كل مناسبة ، والله سبحانه جعـل هـذا في كل سنة ، لئلا ينسى الناس الشر ومثاله ، بل يكونوا دائماً على ذكر حتى يكونوا أقرب الى الرشاد وأبعد عن الشرور .

والذبح : قربان « لن ينـال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم » بذلك يتقرب العبد الى الله وقد جرت العادة عند كافة العقلاء بتقديم القرابين لكبرائهم مع ما في ذلك من اطعام الجائع واشباع الفقير .. وهكذا يكون الحج قـد أدى دوراً مهماً لتقوية الروابط وتعزيز الأخـوة الاسلامية وتنمية الروح الطيبة في الحـــاج لا يمكن ان تحصل هذه الامور في غيره .. وأعظم به من شريعة غراء وفريضة متناسقة الاعمال متكاتفة الاركان متشابكة المناسك وكلها للخير .. وللخير فقط !!

هذا بالاضافة الى ما في الحج من ذكريات الاسلام حيث كان لا ناصر له الا النبي «ص» ثم تبعه أمير المؤمنين « ع » وخديجة عليها السلام ثم اعتز وقوي

حتى بلغ شرق الأرض وغربها .. وبقي الى اليوم .. وسيبقى بعد اليوم فقد انتصرت عوامل الخير على عوامل الشر فهذا البيت موضع المشركين كيف أبيدوا ؟! وهذه كعبة محل الاصنام كيف بقيت لله وحده وزهقت الاوثان ؟! وهاتان الصفا والمروة موضعي (اساف ونائلة) صنمي الجاهلية كيف حل محلهما اسم الله تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله » وذهبت الاصنام في غياهب التاريخ .. وهذه الأودية البطاح كيف تتردد فيها أسماء الله بعد ان كانت تتردد فيها أسماء : لات وعزى ومنات وهبل ؟ وكيف يذكر فيها أسماء عظماء الاسلام: محمد وعلي وحمزة وجعفر.. عليهم الصلاة والسلام بعد ان كان تقدس فيها أسماء المشركين أبو جهل ولهب وعمرو وعتبة.. وهذه حرا.. وجبل الرحمة . وبدر . واحد . كلها تذكر بالله وبانتصار المسلمين وبهزيمة المشركين وهكذا يكون « الدين لله » ويتذكر المسلم شرفه التليد وعز الاسلام السابق وفي ذلك ما فيه: من شحذ همم المسلمين وايقاد روح العزيمة في نفوسهم.. فهي مدارس آيات وذكريات . ومهابط خير ومراكز انسانية .. لا تجد في العالم مثلها ولا في الأديان ما يشابهها « فيه آيات بينات مقام ابراهيم » فليحج الناس كل عام من كل ناحية (ليشهدوا منافع لهم) منافع روحية وبدنية دينية واجتماعية سياسية واقتصادية اعمالية وأخلاقية .

الجهاد

ليس الاسلام إلا سلسلة من الجهاد المتواصل ضد الشر والظلم والطغيان والرذيلة ، والاستهتار والاستعباد ، سواء تمثل الشر في الفرد أو الجماعة أو الحاكم او المحكوم ، أو الغني او الفقير .. ولهذا يقسم علماء الإسلام الجهاد إلى قسمين :

١ – جهاد مع النفس ، بتخليتها عن الرذائل : كالكذب والرياء ، والنفاق والغرور ، والكبر والجبن ، والبخل والقسوة ، وهكذا .

٢ – جهاد مع العدو ، وليس العدو في نظر الاسلام من لا يجمعك وإياه مبدأ أو قطر ، او ما أشبه ، بل هو الذي يتعدى حدود الانسانية ، ويطغى ويفسد ويعيث في البلاد ، حباً للسيطرة والاستعلاء .

وحيث كان الجهاد في الاسلام في هذا النطاق ، نطاق بسط العدل ، وانقاذ الناس من الظلمات الى النور ، كانت الغزوات والحروب الاسلامية أنظف الحروب التي عرفها التاريخ ، منذ ان خلق الإنسان إلى يوم الناس هذا ، فقد كانت كلها تتسم بالرحمة والحنان ، والجنوح إلى أقل ما يمكن من اهراق الدماء والميل إلى العدل والعطف ، ولذا يذكر التاريخ ان حروب النبي «ص» وغزواته التي بلغت نيف وثمانين لم يكن القتلى فيها من الطرفين : المسلمين وغيرهم اكثر من الف واربعمائة قتيل . وكان يجنح دائماً الى المسالمة

والرحمة ، كما امره الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله » .

والجهاد النظيف الذي لا دافع له إلا اعلاء كلمة الله دحضاً للخرافات والأوهام ، وإلا فك الأغلال عن البشر ، دفعاً للظلم والاستعباد في نطاق من العدالة والعطف، وعدم اهراق الدماء إلا بالقدر الضروري دفعاً للمفاسد، من واجبات الاسلام الذي لا يعذر المكلف بتركه ، ولا يبدأ القتال في نظر الاسلام إلا بعد الدعوه الملحة وإبانة الطريق ، حتى لا يبقى لمتذر عذر ، قال ابو حفص الكلبي قال ابو عبدالله « ع » « ان الله عز وجل بعث رسوله بالاسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال ، فالخير في السيف وتحت السيف والامر يعود كما بدء » .

فالإسلام لا يعتدي على أحد ، أما من اعتدى وتجبر ، وفسد وأفسد فعلاجه السيف ولا اورث الخزي والعار ، قال عبد الرحمان السلمي ، قال امير المؤمنين « ع » : « أما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة ، فمن تركه البسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماءة ، وضرب على قلبه بالاسداد ، واديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف » .

ولقد كان ألد أعداء رسول الله «ص» أهل مكة الذين آذوه وأهانوه وكذبوه وشتموه وضربوه ورضخوه بالحجارة ، وقتلوا بعض أصحابه ، ثم قاطعوه واهله وأخيراً ألجأوه إلى الهجرة ، فراراً بنفسه وأصحابه عن القتل . ومع ذلك لما فتح مكة لم يهرق دماً ، وعفى عنهم وقال اذهبوا فانتم الطلقاء .

* * *

والإسلام لا يحارب لأنه يحب السيطرة والاستعلاء ، وإنما تكون حروبه لخلاص النـــاس من اسار الكبراء والسلاطين ، وجور القادة والمستغلين ، ووضع الاغلال من الأعناق وتحرير البشرية من القيود والاسار ولذا نرى تاريخ الإسلام الطويل العريض يرينا الشيء الكثير من بساطة الجهاز الحكومي :

فقد كان رسول الله «ص» هو القائد الأعلى للمسلمين ينظم دينهم ودولتهم فهو ملك ورئيس أركان الجيش وبيده المالية والاقتصاد والمعارف.. وغيرها ، ومن بعـده قام خلفـــاؤه مقامه في هذه الخصوصية بالرغم من الانحرافات الموجودة في كثير منهم فمثلاً : لما فتح العراق كان من أعزم اليه من المدينة : عاصمة الدولة الاسلامية آنذاك ، نفرين فقط أحدهما للحكومة والآخر لتعليم القرآن وهكذا كان شأن الخلفاء المحقين والمبطلين ، فلقد كان الوالي من قبل الخليفة رجلاً واحداً او عدداً معدوداً لا غير ، وهـــذا هو طابع الاسلام العام ، فانه كلما كان الجهاز الحكومي أكثر افراداً كانت الحريات بقدر ذلك مسلوبة إذ كل فرد من أفراد الجهاز يسلب بقدره راحة الافراد ، فمثلاً إذا تشعبت دائرة المعارف كان لكل فرد موظف عمل يجب أن يقوم بـه وهذا العمـــل لا بد وان يربط عجلة افراد بنفسه . وهكذا قل في المالية والاقتصاد والزراعة والدفاع .

وعندما نقيس الآن الحكومات الحاضرة بالحكومات الاسلامية — حتى الذين كانوا منهم أبعد الناس عن فهم الاسلام وتطبيقه — نرى البون الشاسع بينها وبينهم فإن كل فرد من أفراد تلك الامبراطورية المترامية الأطراف كان حراً في كل شيء : يسافر بكل حرية ويقيم بكل حريـــة لا يطلب منه — لا سفراً ولا حضراً — الجنسيه والإقامة والتذكرة والتقرير ولا يصرف من أوقاته شهران وأكثر لتحصيل هذه العبوريات ولا يصرف مبـالغ طائلة للرشوة والرسوم وأجور المحاكم ، ومـــا اليها فهو حر في شخوصه وإقامته وجيئته وذهابه مع بقاء ماله ووقته يصرفهما في مصالحه لا لجيوب المرتشين

والسادة الأعلين ولا يخنع أمام موظف حقير أو حاكم يهدده بكل وقاحة لأنه أراد أن يسافر حراً ويبقى حراً .

ويتاجر بكل حرية لا جمارك تمنعه عن الإيراد والاصدار ولا مكوس ولا رسوم ولا أجناس ممنوعة ورودها وصدورها إلا اشياء ضارة فقط من خمر وخنزير وما إليها من المحرمات القليلة التي حظر عنها الإسلام لمصالح العامة والخاصة ، ولم يكن عمله منوطاً بوزارة أو إمارة او هوية أو جنسية .

ويتكلم ويخطب بكل حرية ، فلا جواسيس ولا سرية ولا عيون ولا رقابة ، ولا ، ولا .

ويطلب العلم بكل حرية ، فلا شهادة لحسن السلوك ، ولا .

وكذلك يكتب المقالات والكتب ، ويبيع ويهب ، ويقف ويرهن ، وينكح ويطلق ، ويعقد الحفلات والاجتماعات و ، وبكل حرية ، من غير ان تكلفه مالاً أو وقتاً ، او خنوعاً أو ذلة .

أما اليوم : قرن الظلمة والاستعباد ، والاستجهار والجهل والحروب والدموع والدماء و ، والتي انبثقت من الغرب الأثيم وعن ثوارته الموبوءة ، والتي كافت باسم العدل يظلم وباسم الحرية يستعبد وباسم المساواة يفرق ، فترى العالم كله في اضطراب وأسار ، وقيود واغلال ، ولف ودوران ، ولا نجاة للبشرية إلا بإعادة قياد الاسلام .

وهكذا كان الجهاد في الإسلام ، لأجل اعلاء كلمة الله وانقاذ الناس من الخرافة في الاعتقاد ، وتحرير البشر من عبودية الظالمين وهدايتهم الى الطريق المستقيم ، وارشادهم إلى الحياة الفضلى والعيش الرغيد .

* * *

وحيث ان الإسلام لا يريد بالجهاد إلا بسط العدل ، وإقامة الحق ، فالمجاهدون المسلمون يلزم ان يتبعوا سنن الحق حق في نفس الجهاد ، فليس لهم الفساد والإفساد ، كما هو شأن الحروب كافة ، بل يجب أن لا يحيدوا عن الحق قيد شعرة ، قال الإمام الصادق « ع » « كان رسول الله «ص» إذا أراد أن يبعث سرية ، دعاهم فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : سيروا باسم الله ، وبالله ، وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ، لا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا صبياً ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجراً إلا ان تضطروا إليها وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله ، فان تبعكم فأخوكم في الدين وإن أبى فابلغوا مأمنه واستعينوا بالله » .

أهكذا سمعت او رأيت في قوانين قرن العشرين قرن النور المضحك المبكي ؟ أو هل سمعت او رأيت مثل هذه التوصية عن أحد من الحكومات العالمية قبل الاسلام وبعده ؟ كلا ! ولن تسمعه ولا تراه ابداً ، انه الاسلام فقط الذي لا يميل عن الحق والعدل ، والعطف والرحمة .

وهذا كان امر النبي «ص» لسرية عامة ، اما اميرهم فاسمع إلى وصيته صلى الله عليه وآله وسلم له :

قال الإمام الصادق « ع » : « ان النبي «ص» كان اذا بعث اميراً له على سرية امره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه ثم في اصحابه عامة ثم يقول: اغزوا باسم الله ، وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا متبتلاً في شاهق ، ولا تحرقوا النخل ، ولا تغرقوه بالماء ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا زرعاً ، لانكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه ، ولا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه ، إلا ما لا بد لكم من أكله ، وإذا لقيتم عدواً للمسلمين فأدعوهم إلى احدى ثلاث فان هم أجابوكم اليها فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، ادعوهم إلى الاسلام فان

دخلوا فيه فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، وادعوهم إلى الهجرة بعد الاسلام فان فعلوا فأقبلوا منهم وكفوا عنهم .. فإن ابوا هاتين فادعوهم إلى اعطاء الجزية .. وان أبوا فاستعن بالله عز وجل عليهم وجاهدهم في الله حق جهاده ... » .

فالكافر يخير بين أحد امور ثلاثة :

١ ـ الاسلام الذي فيه سلامة الدنيا والآخرة وهو الصيغة الأخيرة لشرائع السماء وبذلك يحوز الإنسان كل فضل ويستريح إلى كل خير ثم الهجرة ـ وقت ذاك ـ .

٢ ـ الجزية وهي مقدار من المال يؤخذ ويقابلها تأمين الاسلام له الحراسة والحفظ وتوفير ضروريات الحياة له وبذلك يبقى الكتابي على دينه ويقيم شعائره في حدود المصلحة الاسلامية العامة حسب ما قرر لها من شروط وأحكام .

٣ ـ القتال بأنظف ما يمكن كما رأيت في وصايا النبي «ص» . أما سائر الحروب غير الاسلامية فانها ـ اولاً ـ لحب السيطرة ، وبعد ذلك يخير الطرف الآخر بين القتال بأفظع صورة أو النزول على رغبات العدو .

ولا بأس أن نذكر ههنا خبرين آخرين في كيفية القتال الاسلامي قال الإمام الصادق « ع » : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : نهى رسول الله «ص» أن يلقى السم في بلاد المشركين » .

قال حفص بن غياث : سألت أبا عبدالله « ع » عن النساء كيف سقطت الجزية عنهن ورفعت عنهن ؟ قال : فقال : (لأن رسول الله «ص» نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن يقاتلن فان قاتلن ايضاً فأمسك عنها ما أمكنك ولم تخف خللا . فلما نهى عن قتلهن في دار الحرب ، كان في دار الاسلام اولى .. وكذلك المقعد من أهل الذمة والأعمى والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب من أجل ذلك رفعت عنهم الجزية) .

* * *

والاسلام لم يكن بالمبدأ الذي يكتب في القرطاس ولا يعمل به كما هو شأن القوانين الوضعية اليوم وقبل اليوم بل طبق مبادىء الاسلام – في الجهاد وغير الجهاد – نبي الاسلام محمد «ص» وكثير من الحكام الذين انتهجوا مناهجه «ص» فكان جهادهم لله وفي سبيل الله ولانقاذ عباد الله ولبسط العدل في البلاد .

قال ابو جعفر « ع » . « وكانت المسيرة فيهم من أمير المؤمنين « ع » ما كان من رسول الله «ص» في أهل مكة يوم فتح مكة فانه لم يسب لهم ذرية وقال : من أغلق بابه فهو آمن ومن القى سلاحه فهو آمن وكذلك قال أمير المؤمنين يوم البصرة نادى : لا تسبوا لهم ذرية ولا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً ومن أغلق بابه والقى سلاحه فهو آمن » .

وقال شريك : « لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين « ع » لا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وقال علي بن الحسين عليهما السلام : « ان علياً كتب إلى مالك وهو على مقدمته في يوم البصرة بأن لا يطعن في غير مقبل ولا يقتل مدبراً ولا يجهز على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وفي حديث مالك بن أعين يصف حرب صفين : ان امير المؤمنين « ع » قال : « ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن اعراضكم وسببن امراءكم وصلحاءكم فانهن ناقصات القوى والانفس والعقول وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة فيعير بها وعقبه من بعده » .

قال أهل سمرقند لعاملهم سليمان بن أبي السري ان قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والإنصاف فاذن لنا فليفد منا وفد إلى الخليفة : عمر بن عبد العزيز يشكون ظلامتنا . فان كان لنا حق اعطيناه

فان بنا إلى ذلك حاجة ؟! فاذن لهم فوجهوا منهم قوماً إلى عمر فلما علم عمر ظلامتهم كتب إلى سليمان يقول: ان أهل سمرقند قد شكوا إليّ ظلماً أصابهم وتحاملا من قتيبـــة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتـابي هذا فاجلس لهم القاضي فلينظر في امرهم فان قضى لهم فاخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل ان ظهر عليهم قتيبة ..

فاجلس لهم سليمان (جميع بن حاضر) القـاضي فقضى ان يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحاً جديداً او ظفراً عنوة فقال أهل السند : بل نرضى بمـا كان ولا نجدد حرباً لأن اهل الرأي منهم قالوا : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمنونا وامنـاهم فان عدنا إلى الحرب لا ندري لمن يكون الظفر وان لم يكن لنا نكون قد اجتلبنـا عداوة في المنازعة فتركوا الأمر على ما كان عليه ورضوا ولم ينازعوا » .

ويرينا الإسلام الشيء الكثير من المعاملة الانسانية التي ابداهـــا قواد المسلمين وجيوشهم في حال الحرب والقتال وكان الخروج عن ذلك نادراً ومن أسباب الطعن على الخارج لا كالحروب الغربية التي هي المثال الواضح للوحشية والبربرية والغدر والخيانة وقتل الأبرياء ، وارتكاب كل قسوة وشدة وغلظة وفظاظـة !! .

وللجهاد الاسلامي بحث طويل ولنظـافته أدلة وشواهد لا تكاد تحصى ولنكتف بهذا القدر في هذه الرسالة .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

المجتمع كالأفراد تبقى سليمة ما دامت تتغذى بالأخلاق الفاضلة وتتجافى عن الرذائل فاذا انقطعت صلتها مع الفضائل انهارت انهيار البناء فانه مـا تعوهد بالعمران والترميم بقي صحيحاً قابلا للسكنى واذا تغوفل عنه آل الى الفناء والخراب .

والإسلام يريد المجتمع فاضلا تجري عليه نسائم العدل والحرية والمساواة والإخاء والكرم والشجاعة وما اليها ، ولذلك رسم خارطة الفضائل وحث عليها وذكر الرذائل وأمر بالتجنب منهـا وحيث ان التيـارات النفسية والشهوات المسيطرة على الروح لا تجري من هنا وهناك جعل الاسلام قانونين تحفظاً على الافراد والمجتمعـات من البوار والفساد وحرصاً على السلامـة من المعاطب والمهالك .

والقانونان هما :

١ ـ الأمر بالمعروف .

٢ ـ النهي عن المنكر .

والمعروف : كل أمر رأى الاسلام فيـه مصلحة للفرد او المجتمع سواء الزم بها كالصلاة والزكاة والصدق والوفاء والحدود والمواريث ، والقضـاء والجهاد .. أم ندب اليها كالضيافة والهدية والتزاور والتآلف وما اليها .

والمنكر : كل شيء يرى الاسلام فيه مضرة للفرد او المجتمع سواء حرمها كالزنا والقمار وأكل مال الناس بالباطل وشرب الخمر والنظر المحرم والكذب والغيبة والنميمة والتجسس والظلم والرشوة وما إلى ذلك .

وهذان الواجبان بمنزلة القوانين التنفيذية في القوانين المدنيـة بدونهما لا يستقيم النظـام وينتهك ناموس الإسلام فلو شرب رجـل الخمر أو ظلم في الحكم أو لم يعط حق الفقير .. وهكذا ، ثم لم يؤاخذ من ناحية السلطـة والأفراد لم يمض زمان حتى تسري العدوى ويستفحـل الشر وينهار الفرد والمجتمع ولذا أكد الإسلام تأكيدات بالغة على إقامة هذين الواجبين .

قال أبو عبدالله « ع » : « ان رجلا من خثعم، جاء إلى رسول الله «ص» فقال : يا رسول الله أخبرني ما أفضل الاسلام ؟ قال الإيمان بالله ، قال ثم ماذا ؟ قال صلة الرحم ، قال ثم ماذا ؟ قـال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال : فقال الرجل : فاخبرني أي الأعمال ابغض إلى الله ؟ قـال الشرك بالله ، قال ثم ماذا ؟ قال ثم قطيعة الرحم ، قال ثم ماذا ؟ قال الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف » .

فالايمان أول الفضـائل ، وصلة الرحم تبني وحـدات المجتمع الخير أي الاسرة والعشيرة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ببنيان أفضـل المجتمعـات .

وقال حسن : خطب امـير المؤمنين « ع » : فحمد الله وأثنى عليـه ، ثم قال : أما بعد : فانه انما هلك من كان قبلكم ، حيثما عملوا من المعاصي ، لم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك ، وانهم لما تمادوا في المعاصي، ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات ، فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، وأعلمـوا : ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لن يقربا أجلا ، ولن يقطعا رزقاً » .

وقوله « ع » : لم ينههم الربانيون والأحبار .. إشارة إلى قوله تعالى : (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم ، وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون) .

والعمل بالمعاصي – بطبيعة الحال – يسبب العقوبات الدنيوية ، قبل الاخروية ، فالخمر تورث الجنون ، والبغاء الامراض الزهرية ، وترك الزكاة اختلال توازن الطبقات المؤدي – بدوره – إلى الثورات وهكذا ... وهكذا .

ثم لم هذا الترك ؟ ألانه يخاف الشخص أن يقتله الناس لو أمرهم ونهاهم؟ أم لأنه يخاف أن يقاطعوه فيقع في حرج من العيش وانقطاع من الرزق ؟ .

فهل الآمرون الناهون قتلوا ؟ أم هل ماتوا جوعاً ؟ كلا : لا هذا ولا ذاك : بل بالعكس ، انهم اصبحوا سادة العالم ، والتف الناس حولهم ، وكانت الاموال رهن اشارتهم ، واليك بعض الامثلة من مختلف من قام بالامر والنهي ، دينياً كان أم غيره .

فالنبي العظيم محمد «ص» ووصيه الامام امير المؤمنين « ع » ، لم يزالا يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر ، حتى قبضا وهما من هما ! من السؤدد ، وتبذل الثروة امامهما ، في الحياة وبعد المات .

ومحرر الهند من نير الاستعمار : غاندي لم يزل يأمر وينهى ، حتى تدفقت السيادة والثروة على أعتابه في الحياة والمات لا نريد بذلك انه كان يأمر بالمعروف الاسلامي وينهى عن المنكر الاسلامي بل نريد اثبات ان الامر والنهي – أياً كان نوعهما – لا يسببان انقطاعاً في العمر او الرزق .

وهكذا ، وهكذا .

أما نسبة قتل الامام الحسين عليه السلام وصلب النبي الكريم عيسى عليه السلام حسب الظاهر عند اليهود والنصاري وفقر سقراط وما الى ذلك الى

قيامهم بالأمر والنهي فهو بعيد عن الواقع فالحسين عليه السلام قتل لعدم بيعته ليزيد الطاغية وكان يقتل على أي حال كما قتل أخوه الامام الحسن عليه السلام من قبل والمسيح عليه السلام لم يصلب (ولكن شبه له) وسقراط سقي السم لنقده الحكومة لا لأمره ونهيه ومن يعلم لعله كان يقتل في حرب أو صدفة وان لم ينقد ظلمة زمانه .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يورثان عزة لا ذلة، قال أبو جعفر عليه السلام (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزه الله ومن خذلهما خذله الله) يلتف الناس حول الآمر الناهي فيعز ويكال للتارك الذم والشتم فيذل أليس كل عزيز اجتماعي انما تسنم العزة لأمره ونهيه؟ وكل حقير فردوي خنع وجنح الى الراحة .

وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) فلو لم يأمر الانسان بالمعروف ولم ينه عن المنكر تصدى للسيطرة أشرار الناس لأنهم لا يجدون رادعاً وزاجراً وعند ذلك لا ينفعهم الخصام اذ بيدهم القوة ولا ينجي المجتمع الدعاء — ولو كان الداعي خيراً — لأن الله تعالى لم يجعل أمور الكون بالدعاء فقط فانه تعالى جعل لكل شيء سبباً ولو أراد ان يستجيب كل دعوة كان عالماً آخر لا عالم الاسباب والمسببات وقد كان أول الداعين ورئيسهم رسول الله « ص » ومع ذلك كان « ص » يدعو الى جنب انه يعمل، ويعمل، ويعمل . ولا أنسى ما ذكره بعض الخطباء قال : هيأ النبي « ص » جيش المسلمين لمواجهة العدو في الخندق وحرضهم على القتال واخرج معه بطل المسلمين الامام أمير المؤمنين عليه السلام وحفر هو وأصحابه الخندق بكل صعوبة وتعب وندب المسلمين لمقابلة فارس المشركين وبعد ذلك .. بعد أن هيأ جميع الأسباب الممكنة المادية والادبية — حسب الظاهر — رفع يديه الكريمتين الى السماء ودعا لنصرة المسلمين.. ألم يكن يعلم « ص » تأثير الدعاء؟

أم لم يكن قرأ قوله تعالى (قل : ما يعبأ بكم ربي لولا دعائكم) ؟ كلا ، وألف كلا ! وانما كان يعلم ان الدعاء في جنب العمل وهو الأسوة الحسنة لنا (ولكم في رسول الله أسوة حسنة) فعلى المسلم ان يقتدي به « ص » في دعوته ودعائه ويستضيء بانوار أقواله وأعماله ولا يجنح الى الدعاء فقط فراراً عن العمل كما اعتاده كثير من الخالفين .

ومن هنا يفوز الانسان بخير الدنيا وسعادة الآخرة .

قال النبي « ص » (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الارض ولا في السماء) ومن نظر الى حالة المسلمين في هذا النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري وما أحاط بهم من البلاء والفتن وكيف انهم ذلوا وديسوا تحت الأرجل يتيقن صدق مقالة الرسول « ص » فقد تواكلوا وتركوا هذه الأركان الثلاثة للرقي : الأمر والنهي والتعاون .

وربما استغرب بعض الناس هذه الرواية قال رسول الله « ص » (ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي) ولكن منطق الواقع يصدقه فان قيام أعمال البر انما يكون بالجهاد والجهاد انما يفيد تأسيس الدين أما بقاؤه مدى الأزمان والأجيال فلا يكون الا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهكذا يوجه قوله « ص » (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء) فان الشهيد انما يؤسس والمداد يبقى ولولا المداد ذهبت أتعاب الشهداء ادراج التيارات النفسية حتى لا ترى منها باقية .

* * *

كثيراً ما يأمر الانسان بمعروف أو ينهى عن منكر زاعماً انه ادى فريضة عظيمة لكن عقله الباطن ومحركه الى ذلك ليس الا دواعي الشهرة أو السمعة

الطيبة او السيادة أو حب الانتقام من التارك للمعروف أو الآتي بالمنكر ومثل هذا لا ينفع نفسه ولا مجتمعه فان مسير المجتمعات ومهذب النفوس هو الحقائق أما الالفاظ الفارغة والكلم المجردة فليست الا كالسراب يحسبه الظمآن ماء ولا يروي عطشاناً ولا ينفع من غلة ولهذا يحرص الاسلام الحرص كله للاخلاص في العمل مهما كان نوعه حتى ولو كان بناء دار أو شراء عقار ولذا قال رسول الله « ص » (انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى) .

والجهاد الذي هو أعظم من كثير من الواجبات لا يقبل الا اذا كان المجاهد مخلصاً في عمله ، حتى ولو قتل المجاهد ان الشيء الذي ليس لله تعالى لا ينفع ولو كانت الدنيا فكيف بعمل ضئيل: كجهاد فرد أو أمر بمعروف.

وفي الخبر : « ان رجلاً من المسلمين قتل في سبيل الله بايدي بعض الكفار ، وكان يدعى بين المسلمين : قتيل الحمار ، لانه قاتل رجلاً من الكافرين نية ان يأخذ حماره وسلبه ، فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته وهاجر رجل إلى الجهاد مع اصحاب النبي «ص» وكانت نيته من المهاجرة أن يأخذ امرأة ، كانت في عساكر الكفار ويتزوجها ، وتسمى ام قيس ، فاشتهر هذا الرجل عند اصحاب النبي «ص» : بمهاجر ام قيس .

***

لكل واحد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرائط :

١ — ان يكون الامر بالمعروف والناهي عن المنكر عالماً بهما حتى لا يأمر بغير معروف ولا ينهى عن غير منكر .

٢ — ان يجوز التأثير ، ولو بعيداً أو غير مباشر ، وإلا فلو علم انه لا يترتب على الأمر والنهي اية ثمرة ، سقط الوجوب ولكن .. هناك شيء ، وهو ان الغالب هو التأثير ، ولو بعيداً ، أو غير مباشر مثلاً : لو امر التارك اشخاص متعددة اثر الأمر ، فان الواجب على كل فرد أن يقوم

بحصته . فلا يصح أن يقول كل واحد منهم انه لا يؤثر الاثر الكافي .. ومن هنا يجب القيام بالأمر والنهي على كل أحـد إذ ولو لم تكن هنـــاك جماعة معاضدة ، أما احتمال ان يتعقب امره أمر شخص آخر .. وهكذا .. كاف في احتمال التأثير ، ومثله : ما لو كان التكرار مؤثراً ، فان المرة الأولى اول لبنة في التأثير .

وكذا لو كان احتمال التأثير بطريق غير مباشر ، مثلاً : الجو قد يتسمم بالأفكار والأفعال المنحرفة ، فاذا اشتغل الفرد أو الجمـاعة بتلطيف المحيط وتنقيته عن الوباء الأخلاقي اثر ذلك على المحيط فيكون كل فرد ينبت في ذلك الجو ، يكون صالحاً .. أما ما يتذرع به الجبناء والمخلدين الى الدعـة ، من عدم التأثير في الفرد بكلمة واحدة فهو فرار من المسؤولية ..

وبعد هذا وذاك ، فهل يبقى للفارين من معذرة ؟ إنا نرى الأديان القائمة اليـوم من اسلام ومسيحية ، ويهودية .. والمبـــادىء السائدة : من مختلف الأفكار ، لم تقم إلا بجهود ومجاهدات وبالحاح واصرار وتكرار ، من حملة بذورها الأولين ، فهل بعد هذا ان يقول قائـل لا يؤثر البلاغ ؟ أو لا ينفع الأمر والنهي ؟.

٣ ـ أن يكون الفاعل للمنكر ، والتـــارك للمعروف غير عازم على العدم ، فلو كان رجل أرتكب محظـوراً ، او ترك مأموراً ، ثم ندم وعزم على الاقلاع ، لم يبق مجال للأمر والنهي .

٤ ـ أن لا يكون هناك ضرر على الآمر الناهي أو غيره من المسلمـين ، ضرر يوجب ترك الواجب ، فلو كان هناك ضرراً يرجع على ذلك المنكر او المعروف المتروك لم يكن القيام بهما واجباً «ما جعل عليكم في الدين من حرج» و « لا ضرر ولا ضرار في الإسلام » .

وهذا الشرط مفر كثير من العاطلين، ان الضرر متوجه اليهم أما الاتهام! أو الإهانة ! أو خوف سقوط المكانة عن القلوب ! أو . أو ..! لكن هذا

العذر بالمهزلة أشبه أليس الصادعون الأولون من المسلمين ، لقوا من العنت والإرهاق لقاء هذين الواجبين الخطيرين .

قال أبو جعفر « ع » : « يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراءون ، فينفرون وينسكون ، حدثاء سفهاء لا يرجون أمراً بمعروف ، ولا نهياً عن منكر ، إلا اذا آمنوا الضرر ، يطلبون لانفسهم الرخص والمعاذير ، ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم ، لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض واشرفها ، ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فريضة عظيمة ، بها تقام الفرائض . هنالك يتم غضب الله عليهم ، فيعمهم بعقابه ، فيهلك الأبرار في دار الأشرار ، والصغار في دار الكبار ، ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سبيل الأنبياء ، ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة ، بها تقام الفرائض ، وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الأرض ، وينتصف من الأعداء ، ويستقيم الأمر » .

« يهلك الابرار .. » ان الذي يعمل حسب دستور دينه ولكن لا ينهى ولا يأمر ، بر ليس بشرير ، لكنه يهلك ، لتركه هذا الواجب العظيم وكذلك يهلك صغار القوم بترك كبار القوم وزعمائهم هذين الواجبين ، أما من زعم ان الرطب واليابس يحرقان معاً فهو غلط ! مخالف للعدل !

قال عبد السلام بن صالح للرضا « ع » : لأي علة اغرق الله الدنيا كلها في زمن نوح « ع » وفيهم الاطفال ، ومن لا ذنب له ؟! فقال : « ما كان فيهم الأطفال لأن الله عز وجل ، أعقم اصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاماً ، فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم ، ما كان الله ليهلك بعذابه من لا ذنب له ، وأما الباقون من قوم نوح فاغرقوا لتكذيبهم لنبي الله نوح وسائرهم اغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين ، ومن غاب عن أمر فرض به كان كمن شاهده وأتاه » .

* * *

يجب على المسلم أن ينكر المنكر بقلبه .

وينكره بلسانه .

وينكره بيده .

والانكار باللسان واليد له مراتب ، يتدرج من الأضعف منهما الى الاقوى .. حتى يبلغ القتل لكن فيه خلاف بين العلماء وهو مشكل على أي حال !

قال أمير المؤمنين « ع » : فمنهم المنكر المنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده ، بذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ، ومضيع خصلة ، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيّع اشرف الخصلتين من الشك وتمسك بواحدة ، ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء ، وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي ، وإن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق وأفضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر » .

قال عبد الرحمن بن ابي ليلى الفقيه : سمعت علياً عليه السلام يقول — يوم لقينا أهل الشام — أيها المؤمنون انه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى اليه ، فانكره بقلبه ، فقد سلم وبرىء ومن أنكره بلسانه فقد آجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين » .

لكن .. المنكر بقلبه يسلم ويبرىء ، إذا لم يتمكن من غير ذلك .

روى حسن بن علي بن شعبة عن الحسين « ع » قال : ويروي عن علي « ع » .

« اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به اولياءه من سوء ثنائه على الاحبار ، إذ يقول : « لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم » وقال « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل الى قوله : لبئس ما كانوا يفعلون » وإنما عاب الله ذلك عليهم لانهم كانوا يرون من الظلمة ، المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك ، رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون والله يقول « فلا تخشوا الناس واخشون » وقال « المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فبدء الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا اديت واقيمت ، استقامت الفرائض كلها وهينها وصعبها ، وذلك ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع رد المظالم ، ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم ، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها .. » .

قال جابر : قال ابو جعفر « ع » : « فانكروا بقلوبكم والفظوا بالسنتكم ، وصكوا بها جباههم ، ولا تخافوا في الله لومة لائم فان اتعظوا وإلى الحق رجعوا ، فلا سبيل عليهم ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق ، اولئك لهم عذاب أليم ، هنالك فجاهدوهم بابدانكم وابغضوهم بقلوبكم ، غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ، ولا مريدين بالظلم ظفراً ، حتى يفيئوا إلى امر الله ويمضوا على طاعته » .

وهذان الواجبان على العالم آكد ، كسائر التكاليف الدينية والمدنية فانه يعفى عن الجاهل ما لا يعفى عن العالم ، قال حرث : ان أبا عبدالله « ع » قال له : « لاحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم .. ما يمنعكم اذا بلغكم من الرجل منكم ما تكرهون ، وما يدخل علينا به الاذى أن تأتوه فتؤنبوه ، وتعذلوه وتقولوا له قولاً بليغاً ؟ قلت : جعلت فداك اذاً لا يقبلون منا ؟ قال : اهجروهم واجتنبوا مجالسهم » .

وكثيراً ما يعم النساء ، لا من ترك الامر والنهي . بل من مخالفة الآمر الزاجر ، لما يقول ، وهو كبير عند الله تعالى مفسد للناس « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟! كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ».

قال أمير المؤمنين « ع » – في خطبة له – « فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ظهر الفساد فلا منكر مغير ، ولا زاجر مزدجر ، لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له ، والناهين عن المنكر العاملين به » .

وقال علي بن الحسين عليهما السلام (والمنافق ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي) .

* * *

لكل شيء مقياس ، إذا تعداه اورث الدمار وكذلك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ان لهما موازين يلزم على الشخص القائم ان يعرفها وإلا كان فساده أكثر من صلاحه مثلاً : بعض المواضع يلزم استعمال اللين حتى ان الشدة تفسده وبعض المواضع يلزم استعمال الشدة حتى ان اللين يجرىء المرتكب وعلى الآمر الزاجر أن يقدر الظروف والاشخاص حق التقدير فلا يستعمل اللين موضع الشدة والشدة موضع اللين .. ان الصبي المتوجه نحو بئر أو نار لا ينفعه اللسان الطيب فيلزم أن ينهره وليه والعنود المقترف لا تنفعه الشدة بل يزداد عتواً وعناداً وإنما يجب أن ينذر إليه باللين .

قال عمر بن حنظلة ، قال ابو عبدالله « ع » « يا عمر لا تحملوا على شيعتنا وأرفقوا بهم فان الناس لا يحتملون ما تحملون » .

قال الزهري : قال علي بن الحسين عليهما السلام « كان آخر ما اوصى به الخضر موسى عليهما السلام قال : لا تعيرن أحداً بذنب ، وإن أحب الأمور إلى الله ثلاثة : القصد في الجدة والعفو في المقدرة والرفق بعباد الله وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل » .

التولي والتبري

الاسلام لم يهمل جانباً من جوانب الحيـــاة إلا مد اليـــه يد التكليف والتهذيب والتحسين والتجويد فان لكل جانب نشاطاً ونماء فلو اهمل نمي كما تنمو الطفيليات فيفسد الزرع ولا ينتفع به والحب والبغض عاطفتان من عواطف الحيوان وغريزتان من الغرائز لو لم تشملهما يـد التوجيه والتربيـة سلكا غير مسلك الصواب وفسدا وأفسدا كما في سائر الغرائز والصفات .

ان من لا يدري أين يوجه عطفه وحبه ربما وجهه نحو فتاة غيـداء او ملك عضوض وبذلك فساد اولاه وأخراه .. ومن لا يعلم أين يصرف غضبه وبغضه كثيراً مـا يبغض من يربيـه ويهديه وبهذا يتلف دنياه وعقبـاه ثم لا ينال خيراً .

وليس الإسلام بالدين الذي يوجه الحب بدون مبرر الى شيء خاص او يصرف البغض بدون عـلة إلى شيء معين كما في كثير من الحكومات : انهم يقولون أحبوا فلاناً وصوتوا له ، ولكن لم ؟ لأنه خير والكل يعلم انه ليس بخير ! فكيف يحبه ؟ ويقولون : اكرهوا فلاناً وسبوه ، ولكن لماذا ؟ لأنه شرير والكل يعلم انه ليس بشرير ! فكيف يكرهه ويسبه .

بل الإسلام يؤمن الجانبين جانب العاطفة والحب ، والكراهة والبغض.. وجانب المحبوب والمكروه ، حتى ينمو الحب والكره حسب مقتضى الطبيعة البشرية والفطرة الانسانية لا ينحرفان ذات اليمين وذات الشمال ، فيضران

ويفسدان .. وحتى يقع الحب موقعه من المحبوب والكره موقعه من المكروه كي لا يكون الأمر بالحب ينافي طبيعة المحبوب ، بأن لا يكون قابلا للحب ، وإنما يكون طفيلياً على هذه الغريزة وكذلك الأمر في المكروه .

مثلا : حتى لا يحب الشخص فتاة عذراء في عرض الشارع .. ولا ملكاً فاسداً لا يسبب إلا هلاك شعبه وكذلك جانب الكراهة وبالجملة ينمو الحب مهذباً .

والتولي والتبري: اللذان هما فرعان منفروع الاسلام يراد بهما هذه الغاية .

والله سبحانه ، لما كان هو الأولى بالحب والتولي ، كان الأول في هذا الباب ، واعداء الله تعالى لما كانوا هم أولى بالتبري ، كانوا هم أولى بالبغض، وبعد ذلك يأتي دور الرسول والأئمة ، وصلحاء الناس فانهم اولى بالحب . واعداؤهم أولى بالبغض .

يقول الله تعالى : « قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها : ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا » وقال رسول الله «ص» « لا يؤمن أحدكم حتى يكونالله ورسوله أحب اليه مما سواهما » وقال «ص» « احبوا الله لما يغدوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله » .

ولماذا لا يحب المرء الله تعالى ويتولاه ؟ انه خالقه ورازقه ومنعمه والمتفضل عليه وهاديه إلى الرشاد واليه مرجعه حيث يسكنه جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . أم لماذا لا يحب رسوله ؟ أليس هو الوسيط بين الله وبينه ؟ أرشده إلى أحسن السبل ودعاه إلى الإسلام الذي فيه سعادته وسيادته وعزه ورفعته وخيره ورفاهه .. ولماذا لا يحب أئمة المسلمين عترة النبي «ص» وأهل بيته الكرام وهم الذين نهجوا له الطريق وأوصلوه إلى مناهل علم النبي «ص» وهم ابواب حكمته وخزان وحيه ؟

أيمكن أن يكون هناك اولى منهم بالولاية والمحبة ؟ كلا ! ثم .. هل هنـاك أحد اولى بالكراهة والبغض ممن حادوا الله ورسوله وناصبوا اهـل بيته ؟ انهم اعداء الإنسان يمنعون عنه الضياء والدفء والعلم والرفـاه .. فهم اولى الناس بالبراءة والمعاداة .

والإنسان – بطبعه – إذا أحب شخصاً عمل على هواه واذا كره شخصاً جانب مماثلته في قول أو عمل فهل هناك أفضل من مماثلة الله ورسوله والأئمة في خلق أو عمل ؟ خلقهم الفضيلة وعملهم الخير .

فحبهم يورث تهذيب النفس ، وتحسين العمـل وبالعكس قل في اعدائهم يتصفون بكل رذيلة ويعملون كل شيء فتولى الله ورسوله والائمة داع إلى كل خير والتبري من اعدائهم وقاية عن كل رذيلة .

* * *

ويأتي بعد تولي الله ورسوله والأئمة ، والتـبري من اعدائهم ، دور الحب في الله والبغض في الله . حتى تكون كل حركة وسكون تصدر من الشخص متسمة بالفضيلة مبتعدة عن الرذيلة . قال النبي «ص» « ود المؤمن للمؤمن في الله أعظم شعب الايمـان . ألا ومن احب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من اصفياء الله » .

وقال «ص» لاصحابه : أي عرى الايمان اوثق ؟ فقـالوا : الله ورسوله أعلم فقال بعضهم الصلاة ، وقال بعضهم : الزكاة ، وقال بعضهم : الصيام ، وقال بعضهم : الحج والعمرة وقال بعضهم : الجهاد .

فقال رسول الله «ص» (لكل ما قلتم فضل وليس به ولكن أوثق عرى الايمان : الحب في الله والبغض في الله وتوالي اوليـــاء الله ، والتبري من اعداء الله) .

وهذا الحب هو ميزان كل خير فمن كان فيـه رجى لكل خير ومن لم يكن فيه فليس فيه أي خير .

قال الإمام الباقر « ع » (اذا أردت أن تعلم ان فيك خيراً فانظر إلى قلبك فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك واذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحب اهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من احبه) .

انه ليس هذا فحسب بل الدين هو الحب والحب هو الدين فعلى المرء ان يحتاط في حبه وبغضه حتى يتعافى موقعهما ، روى زياد الحذاء عن ابي جعفر عليه السلام قال (يا زياد ويحك ! وهل الدين إلا الحب ألا ترى إلى الله قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) .

أولا ترى قول الله لمحمد «ص» (حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) وقال (يحبون من هاجر اليهم) ؟ فقال (الدين هو الحب والحب هو الدين).

وقال فضيل بن يسار ، سألت أبا عبدالله « ع » عن الحب والبغض أمن الايمان هو ؟ فقال وهل الايمان إلا الحب والبغض ؟ ثم تلا هذه الآية « وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، وأولئك هم الراشدون » .

هذه عشرة من عبادات الاسلام ، التي قررها الكتاب والسنة فهل ترى فيها إلا الخير العام للفرد والمجتمع ؟ وهل يمكن ان تصل اليها يد البلى ، في زمان او جيل؟ وهل يعقل أن يأتي دين او مبدأ بخير منها ؟ كلا لا يكون ذلك ولا ذاك ولا هذا . فحلال محمد «ص» حلال إلى يوم القيامة ، وحرام محمد «ص» حرام الى يوم القيامة .. والله الهادي .

كربلاء المقدسة : محمد بن المهدي

الفهرس



صفحة

ما هو الاسلام ؟

صفحة

في ظل الاسلام

عبادات الاسلام